الآداب العربية
في
القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي

مدير مجلّة المشرق

الجزء الأوّل

من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠

(نقلاً عن مجلّة المشرق)

طبعة ثانية مصحّحة مع زيادات شتّى

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

بيروت سنة ١٩٢٤

الآداب العربيّة

في

القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي

مدير مجلّة المشرق

الجزء الاوّل

من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠

(نقلًا عن مجلّة المشرق)

طبعة ثانية مصحّحة مع زيادات شتّى

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

بيروت سنة ١٩٢٤



المقدمة

على هذه الطبعة الثانية

تحيا الامم بآدابها لانَّ الآداب ترقّي المرء فوق الحياة المادية وتسمق بهِ الى المدارك الشريفة وتقرّبهُ الى عالم الارواح والى الجمال الالهي الذي منهُ يستعير كل مخلوق جمالهُ . وعليهِ فان اراد العاقل ان يعرف درجة التمدُّن التي بلغها شعب من الشعوب بحث عن انتشار الآداب بين اهلهِ ولذلك ترى المؤرخين يقدّمون في تاريخهم تاريخ الآداب على تاريخ الوقائع وربَّما افردوا للاداب تاريخاً قائماً بذاتهِ يثبت ما يختصّ بالعلوم والمعارف في كل ملّة مخبراً عن نشأة الاداب بينها واتساع نطاقها واسباب ترقيها ونتائجها الطيبة في اصلاح العموم وتحسين اخلاقهم ودفعهم الى المشروعات الاثيرة والمساعي الخطيرة

ومن عجيب امور اللغة العربية انك لا تجد حتى اليوم تاريخاً ممتعاً لآدابها مع وفرة كتبتها وتعدُّد مصنفاتها في كل ابواب العلوم واتساع دائرة نفوذها الى حدود الهند والصين ومجاهل افريقية وسواحل اوربا وقد احسَّ بهذا النقص فئة من المستشرقين المحدثين في فرنسة والنمسة والمانية وانكلترة وروسية وايطالية فارادوا نوعاً سدَّ هذا الخلل بعض التآليف التي اودعوها اوصاف العلوم العربيَّة وتراجم اصحابها وقائمة الكتب التي صنفوها . وكذلك جرى على آثارهم بعض كتبة الشرق في مصر فاستقوا من مناهلهم اخصهم المرحوم جرجي زيدان في كتابهِ تاريخ الاداب العربيَّة الذي انتقدنا اقسامهُ تباعاً في مجلّة المشرق

على ان تلك التآليف مع فوائدها ليست سوى بواكير اعمال اوسع واكمل لا نزال اليها في حاجة ماسَّة فنتمنى ان تتألف فرقة من الادباء تقوم بهذا المشروع الجليل فتتبع اثار اللغة العربية في كل اطوارها مباشرة بعهد الجاهلية وبين القبائل المتفرقة في انحاء الجزيرة ثمَّ تدوّن نشأة تلك اللغة وما طرأ عليها من الطوارئ في اوائل

الاسلام وفي زمن الخلافتين الاموية والعباسية مع وصف الاسباب التي زادتها انتشاراً كفتح المدارس وانشاء المكاتب ونوادي العلوم وتنشيط الملوك. ثم تعرّف ائمة الكتبة والذين اشتهروا في كل زمن وكل بلد واختصوا بكل صنف من العلوم. وتعرض تآليفهم على محك الانتقاد فتميز غثها من سمينها ولا تكتفي بذكر اسمائها وتعريفها اجمالاً. فكم هناك من المصنفات المموّهة باسماء جليلة وهي بمضامينها ومعانيها هزيلة. وتواصل دروسها حتى اذا بلغت القرون الاخيرة تذكر خمود تلك الآداب مبيّنةً لعللها ومعلولاتها. ثمّ تختم ذلك بفصل مطوّل عن النهضة الادبية التي حدثت في القرن الاخير فتطري على محاسنه وتضرب على مشاينهِ

فلا غرو ان كتاباً مثل هذا يتهافت عليهِ الادباء ويتخذونهُ كدستور دروسهم واساس ابحاثهم. وذلك ما حدا بنا ان نكتب في المشرق فصولاً في الآداب العربية في القرن الاخير رجاء ان تمهد الطريق لمن يتوخى ذلك التاريخ الذي يتوق اليهِ المستشرقون. فلمّا انسنا في جمهور القرّاء اقبالاً على مطالعتها وطلبوا الينا جمعها في كتاب مستقل تسهيلاً لمراجعتها لبّينا الى ملتمسهم وطبعنا على حدة القسم الاوّل الذي يتناول تاريخ الآداب العربية من غرّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٧٠ ثم اردفناه بقسمهِ الثاني الى اواخر القرن التاسع عشر

هذا ونحن نعلم حق العلم انهُ فاتتنا اشياء كثيرة من احوال الآداب التي أردنا وصفها والادباء الذين قصدنا تعريفهم وما كنا لنجتري على مباشرة هذا العمل لولا خوفنا بان يتلف القليل ممّا جمعناه عن آداب القرن المنصرم فتأخذهُ ايدي الضياع. وأملنا الوطيد بان يتلافى غيرنا ما يجدوه في هذا المجموع من الخلل بابراز ما عندهم من الذخائر المصونة والكنوز المدفونة. ونشكر الذين لبوا دعوتنا واتونا ببعض الفوائد لاصلاح ما وقع من الخلل في طبعتنا الاولى وتحسين هذه الطبعة الجديدة. وقد ختمنا هذا الجزء بفهارس المواد واعلام الادباء الشرقيين والمستشرقين الذين مرّ ذكرهم في مطاوي الكتاب لتتم بها الفائدة وتزيد العائدة. ان شاء الله

الآداب العربيّة

في

القرن التاسع عشر

توطئة

انّ الآداب كصرحٍ منيف لا تزال ايدي الافاضل تُفرغ المجهود في بنائهِ فكلٌّ منهم يأتيه بحجرهِ ليزيدهُ علوًّا وكمالاً. على انهُ يطرأ على هذا الصرح طوارئ شتّى فطورًا يبسق ويتعالى وطورًا يتخلّف بناؤهُ فيصيب بناتهُ الخمول ولعلّ صروف الدهر تتحامل عليهِ فتقوّض اركانهُ او تسقطُ بفعل الزمان بعض حجارته

وكلٌّ يعلم ما كان للآداب العربيّة في القرون السابقة من الرونق والبهاء فترقّت الى اوج عزّها وماست بمفاخرها مدّة اجيالٍ متوالية الى ان خمدت همّة بُناة صرحها حيناً على وفق سُنن الطبيعة التي لا تبقى على حالٍ واحدة كما قال الشاعر:

لكلّ شيء اذا ما تمَّ نقصانُ

وهذه الدنيا لا تُبقي على احدٍ ولا يدوم على حالٍ لها شانُ

لكنَّ هذا الخمول والحمد لله لم يدم زمناً طويلاً بل كان سباتاً بين يقظتين طيّبتين او شتاء بين ربيعَين كما سترى فازدهرت شجرة الآداب بعد جفافها وراجت اسواق العلوم بعد كسادها حتى بلغت ما نراهُ اليوم من امرها بعناية ارباب الشأن وهمّة افاضل الادباء

واشتهر ايضاً بالكتابة في الوقت عينه غير هؤلاء كميخائيل سكروج واخيه بطرس وابراهيم ابي قالوش ويوسف مارون والياس بن ابراهيم اده الذي دوّنا سيرتهُ وشعرهُ في المشرق (٢ [١٨٩٩]: ٦٩٣ و٧٣٦) وكذلك فضّول الصابونجي واخوهُ خدموا كلهم احمد باشا الجزّار وذاقوا حلوهُ ومرّهُ. وفي عهدهم اشتهر عند الامير بشير الشهابي الشيخ سلوم الدحداح ثمّ ابنهُ الشيخ منصور وبعدهما بطرس كرامه. كما حظي عند الامير يوسف الشيخ سعد الخوري. وعُرف في ذلك الوقت جرجس باز وعبد الاحد اخوهُ خدما اولاد الامير يوسف وهم حسين وسعد الدين وسليم الذين كانوا يزاحمون الامير بشير على الحكم

وكان في مصر قوم غير هؤلاء يشتغلون في الدواوين في غرّة القرن التاسع عشر. الّا ان شهرتهم في الكتابة كانت دون شهرة السوريين. وممّن امتازوا اذ ذاك المعلّمان القبطيّان جرجس الجوهري وغالي. فكان الاوّل رئيس الكتبة في ايام ابرهيم بك وحظي لدى محمّد باشا خسرو ثم نُكب. وقد ذكره الجبرتيّ في تاريخهِ عجائب الآثار وجعل وفاتهُ في شعبان السنة ١٢٢٥ هـ. (١٨١٠). وقام من بعده المعلم غالي وكان زاحمهُ في حياتهِ فصار في خدمة محمّد علي باشا وابنهِ ابراهيم متوليًا رئاسة الكتابة وكان من جملة كتّابه قومٌ من نصارى السوريين وغيرهم كجرجس وحنّا الطويل والمعلم منصور صريون وبشاره ورزق الله الصبّاغ والمعلّم فرنسيس اخي المعلّم فلتاوس وقد تضعضع امرهم بموت المعلّم غالي الذي قُتل سنة ١٨٢٠

وممّا ساعد اهل مصر على صيانة الآداب العربية في ظهرانيهم مدرسة زاهرة كان يعلّم فيها نخبة من العلماء المسلمين. نريد بها المدرسة الازهريّة التي مرّ في المشرق وصفها (٤ [١٩٠١]: ٤٩). وكان متولّي تدبيرها في ذلك الوقت الشيخ عبدالله بن حجازي الشهير بالشرقاوي مولدهُ في شرقية بلبيس سنة ١١٥٠ هـ. (١٧٣٧) درس في الازهر وانتقلت اليه مشيختهُ سنة ١٢٠٨ وبقي عليها الى سنة وفاته في ٢ شوال سنة ١٢٢٧ (١٨١٢) ولهُ عدّة تصانيف دينيّة في التوحيد والعقائد والتصوّف. ومن تآليفه مختصر مغني اللبيب في النحو ولهُ في التاريخ كتاب طبقات فقهاء الشافعيّة المتقدّمين والمتأخرين وكتاب تحفة الناظرين في من ولي مصر من الولاة والسلاطين وقد طُبعت هذه التحفة غير مرّة

وممّن اصابوا لهم سمعةً في ذلك الوقت من الازهريين الشيخ محمّد الخالدي المعروف بابن الجوهري فكان اقرأ الدروس في الازهر وطار صيتهُ ووفدت عليهِ الوفود من الحجاز والمغرب والهند والشام. توفي في ١١ ذي القعدة ١٢١٥ (١٨٠١) وتركتهُ العلميَّة كثيرة وانَّما مدارها على الفقه ومتعلّقاته خاصَّةً

ومن أُدباء الازهريين في ذلك العهد الشيخ مصطفى بن احمد المعروف بالصاوي لزم شيوخ الازهر وبرع في العلوم الدينيَّة واللسانيَّة وكان لطيف الذات مليح الصفات محبًّا للآداب لهُ النثر الطيّب والشعر الحسن روى منهُ الجبرتي شيئاً في عجائب الآثار (٣: ٣١٣ — ٣١٥) من ذلك قولهُ في وصف دار ابتناها الجبرتي المذكور:

بناءٌ يروقُ العينَ حسنُ جمالهِ ورونقهُ يشفي الصدورَ صدورُهُ
سما في سماء الكون فابتهج العلا برفعتهِ وازداد سرًّا سرورُهُ
ومن مجد بانيهِ تزايد بهجةً وقُلِّد من درّ المعالي نحورُهُ
فلا زال فيهِ الفضلُ تسمو شموسهُ وتنمو على كل البدور بدورهُ
ودام بهِ سعدُ السعود مؤرخاً حِمى العزّ بالمولى الجبرتيّ نورهُ (١١٩٢)

ومنهم الشيخ حسين بن عبد اللطيف العُمري الشهير بابن عبد الهادي القادري الدمشقي الخلوتي لهُ تأليف في تراجم اسلافهِ العلويين سمّاهُ المواهب الاحسانيَّة في ترجمة الفاروق وذرّيتهِ بني عبد الهادي. توفّي سنة ١٢١٦ (١٨٠١)

*

وممّن ساعدوا على النهوض الادبيّ في اوائل القرن التاسع عشر رؤساء الطوائف الكاثوليكيَّة الاجلّاء فكان يسوس الطائفة المارونيَّة البطريرك يوسف التيّان الذي كان تخرّج في مدرسة الموارنة في رومية وبرّز بين اقرانهِ في العلوم فلمَّا صار اليهِ تدبير امور الطائفة سعى بتنشيط المعارف بين رعيتهِ لاسيما الاكليريكيين. وممَّا عني بهِ توجيه نظرهِ الى مدرسة عين ورقة التي كان انشأها خلفهُ البطريرك يوسف اسطفان لمَّا كان اسقفاً فصارت هذه المدرسة بهمّتهِ منارًا استضاءت بهِ الامّة المارونيَّة في القرن التاسع عشر ومنها خرج العدد العديد من بطاركة واساقفة وكهنة وادباء كانوا فخرًا لوطنهم بعلومهم فضلًا عن برّهم وسوف يأتي عنهم الكلام. ولهذا البطريرك آثارٌ لا تزال تدلُّ على طول باعهِ في الآداب الكنسيَّة. توفّي في ٢٠ شباط سنة



١٨٢٠ وكان تنزَّل قبل ذلك بعشر سنوات عن البطريركيَّة

وكان الروم الكاثوليك خاضعين ايضاً لبطريرك يحبُّ العلوم ويهتمُّ بترقيتها بين طائفتهِ نريد البطريرك اغابيوس مطر وهو الذي انشأ مدرسة عين تراز لتهذيب ابناء ملتهِ في العلوم الاكليريكية سنة ١٨١١ وقد اثبتنا في المشرق (٨ [١٩٠٥]:٥٠٨) الرسالة التي وجَّهها الى طائفتهِ في هذا الصدد .

وكان السريان الكاثوليك في بدء القرن التاسع عشر فقدوا بطريركهم ميخائيل جروه الطيّب الذكر في ١٤ تموز سنة ١٨٠٠ (اطلب ترجمة حياتهِ في المشرق ٣ [١٩٠٠] :٩١٣) ولهُ الفضل في وضع اساس مدرسة الشرفة وفيها جمع مكتبة حسنة هي الى اليوم من اغنى مكاتب لبنان . ثم خلفهُ اغناطيوس بطرس جروه وكان متضلّعاً بالعلم وهو الذي عرَّب مختصر كتاب اللاهوت النظري والعملي لتوما دي شرم في مجلّدين وكتب ترجمة عمهِ ميخائيل جروه ولهُ مواعظ لا تزال مخطوطة (المشرق ٩ [١٩٠٦] :٦٩٧)

وكان يرعى الارمن الكاثوليك منذ ١٧٨٨ غريغوريوس الاوَّل وكان رجلاً عريقاً بالفضل والقداسة يعرف ما للعلوم من المنفعة لخلاص النفوس فلبلوغ هذه الغاية انشأ في لبنان لطائفتهِ مدرسة في بزمَّار كانت بمثابة المدارس التي ذكرناها للطوائف الاخرى وهي لا تزال منذ مئة سنة مورداً يستقي منهُ المرشَّحون للكهنوت من الارمن الكاثوليك وقد ساعدهُ في هذا العمل الخطير القس اندراوس شاشاتي فنظَّم معهُ مدرسة بزمَّار ورتَّب قوانينها (اطلب المشرق ٩:٣٦٦)

وفي اوائل ذلك العصر عينهِ ازداد عدد الكلدان الكاثوليك في العراق على عهد البطريرك يوحنَّان هرمزد وقد اتاح الله لتلك الطائفة رجلاً غيوراً يُدعى جبرائيل دنبو كان من تجار ماردين المعتبرين فانشأ في الجبال المجاورة للموصل قريباً من ألقوش ديراً جعلهُ كمقام للعيشة النسكية وللعلوم معاً . وفيهِ تخرَّج كثيرون من الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر بتقاهم وآثارهم العلميّة بين الكلدان

فترى مما سبق انَّ الله جعل في انحاء الشرق كخميرة بها اختمرت عقول أهل الاوطان فلم تزل تترقّى الى ان جرت في مضمار الاداب جري المذكيات السوابق

الفصل الثاني

الآداب العربيَّة في اوربَّة في بدء القرن التاسع عشر

هلمَّ بنا نوجّه الآن الانظار الى احوال الاداب العربية بين الاوربيين في مفتتح القرن التاسع عشر ليظهر للقرَّاء كيف تمَّت بعد ذلك تلك النهضة العجيبة التي جعلت الدروس العربيَّة في مقام ممتاز كما نراها اليوم في حواضر اوربَّة واميركة

ليس درس اللغات الشرقية عموماً والعربيَّة خصوصاً امرًا مستحدثاً بين علماء اوربَّة كما يزعم البعض بل ابتدأت الافكار تتوجَّه الى احراز معانيها والتقاط لآليها منذ الفتوحات الاسلامية التي قرَّبت امم الشرق من تخوم البلاد الغربيَّة ولو تتبعنا الآثار المُنبئة ببيان هذه القضية لتعدَّدت لدينا الشواهد لاسيَّما في جهات الاندلس وبعض جهات الروم. لكنَّ تلك الحركة زادت قوَّةً وانتشارًا في القرن الثاني عشر لِما جرى في ذلك العهد من الامور الجليلة والاحداث الخطيرة التي كادت تمزج طرَفي الشرق والغرب مزج الماء بالراح

والكنيسة الكاثوليكية كانت اعظم ساعية في ادراك هذه الغاية. فممن اشتهروا اذ ذاك في الدروس الشرقية واعتنوا بنقل الآثار العربيَّة الى اللاتينيَّة او بنوا ابحاثهم على احوال الشرقيين رئيسُ دير كلوني بطرس المكرَّم (١٠٩٢-١١٥٦ م) وكان رحل الى الاندلس ورقب شؤون العرب فيها فأُعجب بآدابهم فلمَّا عاد الى ديرهِ عُني بانتقاد كتبهم. وفي عهدهِ عُرف جيرَرد دي كريمونا (١١١٤-١١٨٧) وكان مولعاً بنقل تآليف العرب في فنون الحكمة وكان اتقن درس العربيَّة فترجم الى اللاتينيَّة نحو ستين مصنَّفاً جليلًا لمشاهير الكتبة كالرازي وابن سينا في الرياضيَّات والهيئة والطب طُبع منها قسمٌ صالح وفُقد منها الكثير

وأمَّا أُنشئت في ذلك القرن رهبانيَّتا القديسين دومنيك وفرنسيس الاسيزي صرف من ابنائهما عددٌ يُذكر عنايتهم الى درس العلوم الشرقية. فانَّ الدومنيكي النابغة البرتوس الكبير (١١٩٣ — ١٢٨٠) لمَّا كان يفسّر كتب الفيلسوف ارسطاطاليس في كلية باريس كان يستند في شروحهِ الى ترجمة منقولة عن العربيَّة ويستعين في تحصيل

معانيها بما كتبهُ في ذلك الفارابي وابن سينا والغزَّالي . وجاراهُ في حبّهِ لآثار الشرق احد اخوتهِ في الرهبانيَّةالفرنسيسية الاسباني ريمند لول (R. Lull) (١٢٣٥-١٣١٥) وكان من اكبر انصار اللغات السامية في كليَّة اوربَّة . واهتمَّ روَّساء الدومنيكان منذ السنة ١٢٥٥ بانشاء مدرسة منظَّمة يعلّمون فيها العبرانيَّة والعربية والسريانيَّة في باريس وبلاد الكتّلان . اما الرهبان الفرنسيسيُّون فلم يكونوا اقلَّ غيرةً في تخصيص بعض طلبتهم بدرس العربية . اشتهر بينهم ميشال سكوت (M. Scot) الذي انكبَّ في طليطلة على اتقان اللغة العربيّة سنة ١٢١٧ ونقل عددًا وافرًا من تآليفها . واشهرُ منهُ الراهب الانكليزي روجار باكون (R. Bâcon) (١٢١٤-١٢٩٢) فريد عصرهِ ونسيج وحدهِ في العلوم الفلسفيّة والطبيعيّة فانهُ سعى ما امكنهُ بنشر الدروس الشرقية وعلى الاخصّ العربية

امَّا الاحبار الرومانيون فسبقوا كل ملوك اوربَّة في تنشيط درس اللغات الساميَّة التي منها العربيَّة . وممَّا يُذكر فيشكر انَّ البابا هونوريوس الرابع كان تقدَّم بفتح مدرسة للغة العربيَّة في باريس في العشر الاوَّل من القرن الرابع عشر . ولمَّا عُقد في ڤينة من اعمال فرنسةَ المجمع المسكونيّ سنة ١٣١١ كان احد قوانين الآباء ان تنشأ للغات مدارس العبرانيَّة والعربيَّة والكلدانيَّة في رومية على نفقة الحبر الاعظم وفي باريس على نفقة ملك فرنسة وفي بولونية واكسفورد وسَلَمَنكَة على حساب الرهبان والاكليروس . وممَّا يدلُّ على انَّ هذه اللغات كانت تُعلَّم في كليَّة باريس براءةٌ للبابا يوحنَّا الثاني والعشرين تاريخها سنة ١٣٢٥ يحتم فيها على قاصدهِ هناك بان يراقب تدريس العربيَّة

ولمَّا اكتُشف فنّ الطباعة في اواسط القرن الخامس عشر كان كبير الاحبار يوليوس الثاني اوَّل من سبق الى طبع كتاب عربيّ (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٨٠) ووليّهُ اغوسطينوس جوستنياني اسقف نابيو من اعمال كورسكا الذي طبع كتاب الزبور في اربع لغات منها العربيَّة سنة ١٥١٦ . وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر فتحت الرهبانيَّة اليسوعية مدرسة للعبرانية وللعربيَّة في رومية علَّم فيها الاب حنَّا اليانو الشهير وانشأ مطبعةً طبع فيها بعض الكتب الدينية كان نقلها الى العربية منها التعليم المسيحي واعمال المجمع التريدنتيني . ثمَّ زاد اهتمام الكرسيّ الرسولي بتعليم العربيَّة والعبرانيّة والسريانية لمَّا أُنشئت المدرسة المارونية ونقل المرسلون

والساعنة الى مكتبة الفاتيكان عددًا لا يُحصى من كنوز الشرق الادبيَّة بينها المئون من تآليف العرب اقتنوها بايعاز الباباوات كما أشرنا الى ذلك (المشرق ١٠ [١٩٠٧]: ٢٥). ثمَّ اتَّسعت تلك النهضة في كل اقطار اوربَّـة فتوفَّر عدد الدارسين للُّغات الشرقيَّة وحفلت المكاتب بآثار العرب والسريان لا سيما خزائن كتب باريس ومجريط ولندن واكسفرد وليدن ونُشرت تآليف عربيَّة جليلة لأعظم أُدباء العرب واشهر كتبة الشرق

ولم يكتفِ المرسلون بذلك بل انصبُّوا على دراسة العربيَّة انصباباً بلَّغ بهم الى ان أتقنوا اصولها وألَّفوا فيها التآليف المتعدّدة منها دينيّة ومنها ادبيّة ونقلوا اليها عددًا دثرًا من طُرف المصنَّفات الاوربيَّة. وهو بحثٌ استوفيناه في مقالاتنا التي ادرجناها في اعداد المشرق عن المخطوطات العربية لكتبة النصرانية

لكنَّ هذه الحركة مع سعة نطاقها لم تتجاوز حدودًا معلومة بل خمدت في آخر القرن الثامن عشر بعض الخمود لِما طرأ على انحاء اوربَّة من الدواهي بنشوب الحروب واستشراء الفساد وكثير من المدارس الشرقيَّة أُقفلت لسوء احوال الزمان

وما عتَّمت فرنسة ان ادركت حاجتها الى علماء يحسنون لغات الشرق وخصوصاً اللغات الحيّة وفي مقدمتها العربيَّة فانشأ اربابُ امرها في باريس في ٢٩ نيسان من السنة ١٧٩٥ مدرسةً لتعليم اللغات الشرقيَّة الحيَّة اعني العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة وهي المدرسة التي اضحت مثالًا لما أُنشيء بعدئذٍ على هيئتها من المدارس الشرقيَّة العمليَّة في عواصم شتى من الممالك الاوربيَّة. وتلك المدرسة لم تزل تترقَّى في معارج التقـدُّم الى يومنا هذا خرج منهـا عددٌ لا يُحصى من العلماء المستشرقين من فرنسويين والمـان وايطاليين وسويسريين وغيرهم نذكر فيما بعد لمعةً من اخبارهم. وقد أُقيمت للمدرسة المذكورة اعياد شائقة قبل ٣٠ سنة بنسبة يوبيلها المئوي وطُبعت بعدئذٍ المطبوعات المفيدة لتسطير تاريخها مع عدَّة آثار من قلم اساتذتها وتلاميذها. وممَّا اضافتهُ هـذه المدرسة الى تعليمها لغات الشرق الاقصى اي الصينيَّة واليابانيَّة والأنَّامية. وكذلك ادخلت في جملة دروسها الارمنيَّة والهندستانيَّة وفيها يدرس الذين يترشَّحون للمناصب القنصليَّة في الشرق

وكان اعظم السُّعاة في فتح هذه المدرسة رجلان هُمامان احدهما يُعرف بكبير

المستشرقين وإمامهم البارون سلوستر دي ساسي الذي سنعود الى ذكره الطيّب قريباً والآخر لويس لنغلاي (L. T. Langlès) (١٧٦٣ — ١٨٢٤) وكان من اساتذة اللغات الهنديّة ألف فيها التآليف المفيدة التي نُشرت بالطبع وعُني بنشر التآليف العربيّة ولهُ رحلةٌ الى بلاد الشام وفلسطين ومصر طُبعت سنة ١٧٩٩

وممَّا ساعد على نهضة الآداب الشرقيَّة في اواخر القرن التاسع عشر بعد هبوطها الجمعيَّاتُ الاسيويّة كان الفضل في تشكيل اوَّل جمعية منها في باتافيا من اعمال الهند الهولنديَّة سنة ١٧٧٨ لكنَّها كانت تقتصر على ما يختصّ بالمستعمرات الهولنديّة. ثمَّ انشأ احد الانكليز وهو سير وليم جونس (١٧٤٣ — ١٧٩٥) جمعيَّة اسيويّة عمومية في كلكوتة سنة ١٧٨٤ فنجحت نجاحاً عظيماً. وكان منشئها من افاضل المستشرقين لهُ عدَّة تآليف في فنون العلوم الشرقيّة من جملتها شرح المعلّقات في الانكليزية. وعلى مثال هذه الجمعيَّة عُقدت محافل اسيويّة أُخرى في الهند لا سيَّما محفل بنغالي سنة ١٧٨٨. وهذه النوادي العلميَّة لم تبلغ ما بلغتهُ محافل القرن التاسع عشر الوارد ذكرها لكنَّها افادت بما نشرتهُ من المصنَّفات الادبية والصناعيّة والتاريخيّة والعلميّة في مجلّات كانت تظهر في اوقات معلومة والبعض منها لم يزل طبعها جارياً حتى الآن

اما المستشرقون الذين نالوا لهم بعض الشهرة في خاتمة القرن الثامن عشر فكانوا من الافرنسيين يوسف دي غيني (J. de Guignes) (١٧٢١ — ١٨٠٠) مدرّس اللغة السريانيَّة في مكتب باريس العلميّ ومؤلف تاريخ واسع للتتر والمغول والترك في خمسة مجلَّدات ضخمة. ثمَّ انكتيل دوپرون (Anquetil-Duperron) (١٧٣١— ١٨٠٥) درس وهو شاب اللغات الشرقيَّة ثمَّ ساح في اطراف الشرق وجمع المخطوطات الهنديّة الجليلة ونشر تآليف عديدة في اخبار الهند وآثار الهنود والفرس والعرب وهو اوَّل من نقل كتاب زرادشت المعروف بزند أوستا الى الافرنسيّة وبعض كتب البدّ (Védas) ولهُ مقالات عديدة في مجلّة العلماء. ومنهم المستشرق هربان (A. Herbin) (١٧٨٣ — ١٨٠٦) كتب في اصول اللغة العربيّة العاميّة وألف معجمَين عربي فرنسويّ وفرنسوي عربي وكتبَ في الموسيقى عند قدماء العرب وفي آداب الفرس

وكان قبل ذلك بعشر سنوات توفّي مستشرق كبير من كهنة فرنسة الخوري

جان جاك برتلمي (J. J. Barthélemy) (١٧١٦ — ١٧٩٥) اشتغل في آثار الفينيقيين والتدمريين ولهُ مقالات لا تُحصى في كلّ ضروب المعارف. وهو الذي كتب « رحلة اناكرسيس » الشهيرة ضمّنها اخبار اليونان القدماء وآثارهم. وقد حذا حذوهُ وطنينا المرحوم جميل مدوّر في كتابهِ حضارة الاسلام في دار السلام

وممّا زاد الفرنسويين ترقياً في الآداب الشرقية ان نابوليون لما قصد مصر سنة ١٧٩٨ اخذ في صحبتهِ بعضاً من العلماء المعدودين الذين انتهزوا الفرصة لتعلّم العربية بين المصريين . وكانت فئة من السوريين اجتمعوا بهم بصفة تراجمة منهم ميخائيل صبّاغ ونيقولا الترك والقس رافائيل الراهب المخلصي وغيرهم . فاستعان اولئك العلماء بهم لدرس العربيّة ولمّا عادوا الى فرنسة نشروا تلك اللغة بين مواطنيهم

وكان ايضاً في اواخر القرن الثامن عشر بعض العلماء من غير الفرنسويين الذين انقطعوا الى درس العربيّة وألّفوا فيها التآليف منهم في المانية جان جاك رَيسك (J. J. Reiske) (١٧١٦ — ١٧٧٤) نشر عدداً كبيراً من كتب العرب ونقلها الى اللاتينية وعلّق عليها التعاليق كمقامات الحريري وتاريخ ابي الفداء ومعلّقة طرفة ومنهم جان داود ميكائيليس (J. D. Michaelis) (١٧١٧ — ١٧٩١) علّم اللغات الساميّة في غوطا وصنّف التصانيف المفيدة في العبرانيّة والسريانية والعربية منها كتب في اصول هذه اللغات وآدابها . واشتهر تيكسن (O. G. Tychsen) (١٧٣٤— ١٨١٥) في غوتنغن لهُ تآليف شرقية من جملتها تأليف واسع في النقود الاسلامية

واشتهر غير الالمان السويسريّ بوركهرت (J. L. Burckhardt) (١٧٨٤ — ١٨١٧) الذي طاف متنكّراً في بلاد النوبة وبادية الشام وجهات الحجاز وعُرف بالشيخ ابراهيم ولهُ تآليف جليلة في وصف رحلاتهِ الى الشام ومصر وبلاد العرب . ومن جملة كتبهِ تأليف في الامثال العربية وتوفي في القاهرة

وكانت العربيّة في خاتمة القرن الثامن عشر لا تزال معزّزة في انكلترّة في كلّيتي كمبردج واكسفرد . وكان في اكسفرد مطبعة عربيّة شهيرة نُشرت فيها كتب شرقية متعدّدة نخصّ منها بالذكر تآليف ادورد بوكوك (E. Pocock) (١٦٠٤ — ١٦٩١) وابنهِ توما . وكان ادورد رحل الى الشرق وسكن مدّةً في حلب ثمّ درّس في اكسفرد ونشر تاريخي ابي الفرج ابن العبري وسعيد بن بطريق . ونال الشهرة بين

الانكليز في الشرقيات في خاتمة القرن الثامن عشر كَرْليل (J. P. Carlyle) (١٧٥٩ — ١٨٠٤) ساح في بلاد الشرق ثمَّ تولَّى تدريس العربية في كلّية كمبردج لهُ كتاب في آداب العرب وشعرهم في الانكليزيَّة ونقل الى اللاتينيَّة قسماً من مورد اللطافة لجمال الدين ابن تغري بردي . وكذلك اشتهر معاصرهُ يوسف وَيت (J. White) (١٧٤٦ — ١٨١٤) من علماء اوكسفورد الذي نشر لاوَّل مرَّة كتاب عبد اللطيف البغدادي في الامور المشاهدة بمصر سنة ١٧٨٩ ثمَّ نقلهُ الى اللاتينيَّة سنة ١٨٠٠ ولهُ غير ذلك

امَّا الهولنديُّون فكانوا في ذلك العهد يعشون في درس العربيَّة على آثار اسلافهم الافاضل كغوليوس (Golius) (١٥٩٦ — ١٦٦٧) واربنيوس (Erpenius) (١٥٨٤—١٦٢٤) وشولتنس (A. Schultens) (١٦٨٦—١٧٥٠) وابنهِ جان جاك (J. J. Schultens) (١٧١٦ — ١٧٧٨) وكلُّهم من المبرَّزين جعلوا مدينة لَيْدن كمنار الآداب الشرقيَّة وابرزوا في مطبعتها المؤلفات العديدة التي اصبحت اليوم عزيزة الوجود يتزاحم العلماء في اقتنائها كتاريخ جرجس ابن المكين المعروف بابن العميد وسيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شدَّاد وتاريخ تيمورلنك لابن عربشاه وامثال الميداني ومطبوعات اخرى جليلة . وممَّن اشتهروا من الهولنديين في اواخر القرن الثامن عشر هيتسما (A. Haitsma) نشر سنة ١٧٧٣ مقصورة ابن دريد ونقلها الى اللاتينيَّة وذيَّلها بالحواشي . ومنهم شَيْد (J. Sheid) (١٧٤٢ — ١٧٩٥) نقل صحاح الجوهري الى اللاتينيَّة والَّف كتاباً في اصول العربيَّة ونشر منتخبات ادبيَّة شتَّى

وبرَّز بين النمساويين في نهاية القرن الثامن عشر في درس الآثار الشرقية فرنسوا دي دومباي (E. de Dombay) (١٧٥٦ — ١٨١٠) نشر تاريخاً للعرب وقسماً من امثال الميداني مع ترجمتها اللاتينيَّة (١٨٠٥) ثم انقطع الى درس احوال مرَّاكش فابرز عدَّة آثار مختصَّة بتلك البلاد كتاريخ ابن ابي زرعة ونقود مرَّاكش وغير ذلك . واصاب الكاهن جان ياهن (J. Jahn) (١٧٥٠ — ١٨١٦) شهرة في تدريس اللغات الشرقية في ڤينة ولهُ من التآليف غراماطيق عربيّ ومعجم عربي لاتيني ومجانٍ ادبيَّة

وكان الدنيمركيُّون ايضاً قد وجَّهوا بانظارهم الى الشرق فاشتهر منهم في آخر

القرن الثامن عشر نيبوهر (C. Niebhur) (١٧٣٣ — ١٨١٥) الذي طاف في انحاء جزيرة العرب ودوَّن ملحوظاتهِ واخبار رحلتهِ في ثلاثة مجلَّدات اضاف اليهـا مقالات حسنة في عادات الشرق واحوالهِ . ومنهم جرج زويغا (G. Zoëga) (١٧٥٥— ١٨٠٦) خرج من بلاد دنيمرك وتوطَّن رومية العظمى وصار كاثوليكياً وانقطع الى درس الآثار الشرقيَّة لاسيا آثار مصر

ولم ينطفئ منار العلوم الشرقية بين الاسبانيين والبرتغاليين وخصوصاً الرهبان . وممَّن عُرف منهم الراهب الفرنسيسيّ كانيس (Fr. Canes) (١٧٣٠ — ١٧٩٥) عاش مدَّةً في فلسطين والشام ودرَّس العربية مرسلي رهبانيَّتهِ وقد صنَّف كتباً مدرسيَّة في الاسبانيَّة لتعليم العربيَّة اخصُّها غراماطيق ومعجم كبير للمفردات ومختصر التعليم المسيحيّ . وفي عهدهِ كان الراهب حنَّا سوزا (J. Souza) (١٧٣٠—١٨١٢) ولد في دمشق من ابوين مسلمين فتنصَّر على يد المرسلين ثمَّ رحل الى البرتغال ودخل الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة وعلَّم اللغة العربية في لشبونة . ومن مطبوعاتهِ كتاب الالفاظ البرتغاليـة المشتقَّة من العربية . وكتاب نحو العرب ونصوص عربيـة لمؤرخي العرب في امور البرتغال

وكذلك الايطاليُّون فانَّهم لم يسهوا عن درس لغات الشرق ومآثرهِ فربح منهم شكر العموم روزاريو غريغوريو (R. Gregorio) الكاهن البالرمي (١٧٥٣ — ١٨٠٩) الذي تفرَّغ لدرس آثار صقلية وتاريخها واحوالها لا سيَّما في ايَّام العرب فألَّف في ذلك التآليف الواسعة في عدَّة مجلَّدات ضخمة نخصُّ منهـا بالذكر كتابهُ « الآثار العربية في تواريخ صقلّية » ضمَّنهُ كتابات ونقوشاً بديعة واوصافاً غاية في الفائدة — وعُرف الكاهن الرحالة ج . ماريتي (G. Mariti) (١٧٣٦ — ١٨٠٦) زار بلاد فلسطين والشام ومصر ودوَّن اخبار رحلتهِ وعنها نقلنا في المشرق (٨ [١٩٠٥]: ١٠٨ و١٢٠) وصفةً لدير القلعة وكذلك كتب في تاريخ الصليبيين وغير ذلك

ولا يجوز لنا في هذا النظر الاجماليّ عن حالة العلوم الشرقية في ختام القرن الثامن عشر أَن ننسى ما كان لمواطنينا من الفضل في نشر الآداب الشرقية في اوربَّة . فان ذلك القرن هو قرن السَّماعنة الذين اشير اليهم بكل بنان فصار اسمهم مرادفاً للنشاط في تذليل العقبات واحياء مفاخر الشرق . اوَّلهـم وإمامهم المونسنيور يوسف سمعان

السمعاني (١٦٨٧ — ١٧٦٨) رئيس اساقفة صور صاحب المكتبة الشرقية وتآليف أُخرى لا تُحصى (١ . ثمّ اسطفان عوّاد السمعاني نسيبهُ (١٧٠٩ — ١٧٨٢). ثمّ يوسف لويس السمعاني (١٧١٠ — ١٧٨٢) ثمّ شمعون السمعاني (١٧٥٢—١٨٢١) وكان كلّ هؤلاء تلامذة المدرسة المارونية في رومية واثارًا طيّبة من دوحتها الفاخرة تُعدّ تآليفهم بالمئات بين مطوَّلة وقصيرة. وكان جلّ اهتمامهم في نشر الآثار السريانية لكنّهم ايضاً اخرجوا من زوايا النسيان عدّة تآليف عربية لاسيا في التاريخ والآثار الدينية والادبية. وسنعود الى ذكر الاخير منهم الذي يدخل في دائرة مقالتنا اذ لم يمت الّا في العشر الثاني من القرن التاسع عشر —. ومن هؤلاء الشرقيين الذين شرّفوا الآداب في اواخر القرن الثامن عشر القسّ ميخائيل الغزيريّ وهو ايضًا من تلامذة الآباء اليسوعيين في المدرسة المارونية رافق السمعاني وحضر معهُ المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ثمّ درّس اللغات الشرقيّة وتعيّن ترجمانًا لملك اسبانيا كرلوس الثالث ومن اعماله الاثيرة وصف المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال قرب مجريط وهذا التأليف مجلّدان كبيران يدلّان على سعة معارف صاحبها طُبعا من السنة ١٧٦٠ الى ١٧٧٠ باللاتينيّة والعربية — واشتهر منهم ايضاً في ڤينّة عاصمة النمسا الخوري انطون عريضة الطرابلسي وعلّم فيها اللغات الشرقية ولهُ من التآليف كتاب علم صرف العربيّة ونحوها وضعهُ لتلامذته في اللاتينيّة وطبعهُ سنة ١٨١٣ في ڤينّة

وفي هذا النظر العموميّ كفايةٌ ليعرف القرّاء حالة الدروس العربية في منتهى القرن الثامن عشر . وانّما يترتّب علينا الآن ان نقتصّ آثار الكتبة الذين زيّنوا الآداب بحلية معارفهم واغنوها بثمرات اقلامهم ومصنّفاتهم في القرن التاسع عشر . واننا نقسم ذلك فصولًا ليسهل على المطالع تتبّع التفاصيل التي نثبتها فيحرزها دون عناء ويعرف ما لكل كاتب من المزايا والاعمال

---

١) اطلب ترجمتهُ وجدول تآليفهِ في برنامج اخوية القديس مارون للمرحوم يوسف خطّار غانم (ص ١٠٥ — ١١٣) . اطلب ايضاً كتاب سِفر الاخبار في سفر الاحبار للخوري يوسف الدبس (٢٠٩ — ٢١١)

الفصل الثالث

الاداب العربيّة في غرّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٣٠

كان افتتاح القرن التاسع عشر في ايّام السلطان الغازي سليم خان الثالث وكان من افضل ملوك دولتهِ دمث الاخلاق مغرماً بالآداب محبًّا لترقية رعاياه في معارج الفلاح. ثمّ صار الملك الى ابن عمهِ السلطان مصطفى خان الرابع الذي لم يملك اكثر من سنة فضبط من بعدهِ سنة ١٨٠٨ زمام السلطنة اخوه محمود خان الثاني فطالت مدّتهُ وكان كالسلطان سليم هائمًا بترقي شعبهِ ساعياً في اسباب نجاحهِ في فنون الاداب وللشاعر نقولا الترك قولهُ يوم جلوسهِ:

توّلى التختَ سلطانُ البرايا   وأيّدهُ الالـهُ بمرتقاهُ
فصاح الكون لمّا ارّخوهُ   نظامُ الملك محمودٌ بجـاهُ

ومن مساعي السلطانين سليم ومحمود المشكورة تعزيزهما لفنّ الطباعة في دار السعادة فطُبعت فيها عدّة تآليف عربيّة فضلًا عن المصنّفات التركيّة. ويبلغ عدد المصنّفات العربيّة التي نُشرت بالطبع في هذه الثلاثين سنة نيفًا واربعين كتابًا كقاموس المحيط للفيروزابادي (١٨١٤) مع شرحهِ في التركيّة وكحاشية السيلكوتي على مطوّل التفتازاني (١٨١٢) ومراح الارواح لاحمد بن علي بن مسعود مع مجموع تآليف أخرى نحويّة وصرفيّة (١٨١٨) وكافية ابن حاجب (١٨١٩) وغير ذلك ممّا مرّ لنا ذكرهُ في مقالتنا عن فنّ الطباعة في الاستانة (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ١٧٤ — ١٧٩) وفي ملحق تاريخ تركيًّا للمؤرخ الالماني هامّر (J. de Hammer) جدول هذه المطبوعات كلها في ٩٧ عددًا (اطلب الجلد ١٤ ص ٤٩٢ — ٥٠٧). وكان الولاة يساعدون السلاطين في ادراك غايتهم الشريفة في جهات المملكة كسليمان باشا في عكّا ويوسف باشا كنج في دمشق وداود باشا في بغداد وغيرهم

وجاء في لغة العرب (١: ٩٨) ان الوزير سليمان باشا القتيل كان اوّل من ايقظ العلوم والمنتمين اليها في ديار العراق بعد سُباتها العميق وانشأ في بغداد عدّة مدارس. ثمّ جاء بعدهُ بقليل داود باشا فانهضها النهضة التي خلدت لهُ الاثر المحمود والذكر الطيّب

وكذلك في مصر كان محمّد علي باشا راغباً في نشر المعارف فاستعاد الادوات الطبعيّة التي كان الفرنسويّ مرسال اتخذها في ايام بونابرت وانشأ مطبعة بولاق الشهيرة سنة ١٨٢٢ وكان اول كتاب طُبع في تلك السنة قاموس ايطاليانيّ عربيّ وأردف في السنة التالية بكتاب قانون صباغة الحرير. ومطبوعات بولاق الى سنة ١٨٣٠ تربي على الخمسين في اللغات الثلاث العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة (١ الّا انَّ الكتب العربية المهمّة لم تُطبع الّا بعد هذه المدّة وانّما جدّدت في الغالب المطبوعات المنشورة في الاستانة

وما يُقال اجمالًا في هذا القسم الاوّل من القرن التاسع عشر انّ الذين اشتهروا فيهِ كانوا ابناء انفسهم لم يتعلّموا في مدارس منظَّمة بل نبغوا بشغلهم الخاصّ تحت نظارة بعض الافراد الذين سبقوهم في دواوين الكتابة ودوائر الانشاء

التاريخ

ونبتدئ هنا بذكر الكتَبة الذين وقفوا نفوسهم على تصنيف التاريخ فنقول: انحصر التاريخ بين ادباء المسلمين في بعض الافراد الذين لا يتجاوز عددهم اصابع اليد فذكرنا منهم (ص ٤) الشيخين عبد الله الشرقاويّ وحسين ابن عبد الهادي. وممَّن يضاف اليهما السيّد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشّاب المتوفى في ٢ ذي الحجّه سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) كان مولعاً بالدروس الادبية واخبر الجبرتي في تاريخهِ (٤: ٢٣٨) «انّ الفرنساويَّة عيَّنوهُ في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيهِ كلّ يوم لانّ القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليوميَّة في جميع دواوينهم واماكن احكامهم ثمَّ يجمعون المتفرّق في ملخَّص يُرفع في سجلّهم بعد ان يطبعوا منهُ نسخاً عديدة يوزّعونها في جميع الجيش حتَّى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الارياف فتجد اخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم. فلمّا رتَّبوا ذلك الديوان كما ذُكر كان هو المتقيّد برقم كلّ ما يصدر في المجلس من امر او نهي او خطاب او جواب او خطأ أو صواب وقرّروا لهُ في كل شهر سبعة آلاف نصف فضَّة فلم يزل متقيّداً في تلك الوظيفة مدَّة ولاية عبدالله جاك منو (Menou) حتى ارتحلوا من الاقليم». فهذه كما ترى جريدة يوميَّة وهي اوّل جريدة ظهرت في العربية وكان الجبرتي رأى منها عدَّة

---

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الفرنساويَّة (Journ. As. 1843, II, 31—38)

كراريس . وذكر ايضاً لاسماعيل الخشّاب ديوان شعر صغير الحجم جمعهُ صديقهُ الشيخ حسن العطّار

واشهر من هؤلاء في التاريخ العلّامة عبدالله بن حسن الجبرتي المذكور وُلد في مصر ١١٦٧ (١٧٥٣ — ١٧٥٤) كما ذكر في تاريخهِ (١ : ٢٠٣) وروى هناك بعض ما حدث لهُ في صباه وكان من طلبة الازهر . جعلهُ بونابرت من كتبة الديوان فاحرز لـهُ عند الجميع اسماً طيّباً . وانقطع الى الكتابة والتأليف . وفي آخر حياتهِ قُتل احـد اولاده في حيّ شبرا فبكاهُ بكاء مرًّا افقدهُ البصر ولم يلبث ان تبعـهُ في القبر . وقال كاتب فهرست مخطوطات المكتبة الخديويّة (٥ : ٨٣) انهُ توفي مخنوقـاً في رمضان سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) . وقد جعل المسيو هوارت في تاريخ الاداب العربية (١ مولدهَ سنة ١٧٥٦ ووفاتهُ سنة ١٨٢٥ وفي كليهما غلط . اما تاريخهُ فيُدعى عجائب الآثار في التراجم والاخبار ضمّنهُ حوادث مصر التي جرت في اواخر القرن الثاني عشر واوائل الثالث عشر جارياً في ذلك على سياق السنين منذ فتوح السلطان الغازي سليم خان الاوّل للقطر المصريّ الى غاية سنة ١٢٣٦ ذاكرًا للوقائع المعتبرة مع تراجم الاعيان المشهورين وقد ادخل فيهِ قسماً كبيراً من تاريخ آخر وصف فيه وقائع بعثة بونابرت الى مصر دعاهُ « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » كتبهُ سنة ١٢١٦هـ (١٨٠٢) وتاريخ الجبرتي قد نُقل الى الفرنسيَّة بهمّة بعض افاضل نصارى مصر وهم شفيق منصور بك وعبد العزيز كحيل بك وجبرائيل نقولا كحيل بك واسكندر بك عمون . وقد ترجم الفرنسوي كردين (A. Cardin) تأليفهُ الآخر مظهر التقديس

وممّن كتبوا في التاريخ الشيخ ابو القاسم بن احمد الزيّاني كان من عمّال مراكش متولّياً على مدينة وجدة . ثمَّ اعتزل الاشغال في تلمسان وألّف سنة ١٨١٣ كتاب الترجمان المُعرب عن دُول المشرق والمغرب طبع الاستاذ هوداس (O. Houdas) الفرنسويّ قسماً منهُ يحتوي تاريخ مراكش من السنة ١٦٣١ الى ١٨١٢ . والباقي لا يزال مخطوطاً . ولهُ كذلك كتاب « البستان الظريف في دولة مولاي عليّ الشريف »

(١ اطلب كتابه (Ch. Huaurt : *Littérature arabe*, 415 416)

وللكتبة النصارى في هذه الاثناء بعض التواريخ يترتّب علينا ذكر اصحابها. واوّل من اشتهر في ذلك القس حنانيا المنيّر احد رهبان الرهبانيّة الحنّاويّة الشويريّة. ولد المذكور في زوق مصبح سنة ١٧٥٧ وترهّب سنة ١٧٧٤. اما بقيّة اخباره في الرهبانيّة فلا نعلم منها شيئاً كما اننا نجهل سنة وفاته. وممّا يظهر من مآثره ومصنّفاته انهُ كان رجلًا اديباً كثير الاطّلاع سليم الذوق نشيطاً في جمع الآثار والاخبار عارفاً بفنون الكتابة يُحسن النثر والشعر. وكان ذلك نادراً في زمانه. وقد نعت نفسهُ في كتابٍ لهُ عن الدروز بالطبيب ما يدلّ على انهُ كان يتعاطى الطبّ. امّا اخصُّ تآليفهِ فتاريخان الاوّل مدني سبق لنا وصفهُ في المشرق (٤ [١٩٠١]: ٤٢٧ و٩٧٢) وهو تاريخ «الدرّ المرصوف في حوادث الشوف» اثبتنا منهُ مقدّمتهُ وبعض فقراته: وهذا التأليف يتناول الوقائع التي جرت في لبنان من السنة ١١٠٩هـ (١٦٩٧م) عند ظهور الامراء الشهابيين الى السنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) وهو يتّسع خصوصاً في حوادث الجبل والساحل في الاربعين السنة الاخيرة. ومن هذا التأليف قد استفاد الامير حيدر احمد الشهابيّ في تاريخهِ الشهير المعروف بالغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان والشيخ طنّوس الشدياق في كتاب تاريخ الاعيان في جبل لبنان

اما التاريخ الثاني فهو تاريخ دينيّ قد جمع فيهِ المؤلف اخبار الرهبانيّة الحنّاويّة منذ اواسط القرن الثامن عشر الى نهاية السنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) ولعلهُ استفاد من تاريخ آخر لاحد اخوتهِ الرهبان المدعو رفائيل كرامة الحمصي (راجع دوالي القطوف ص ٢٠١). وليس هذا التاريخ كلهُ دينيًا فانَّ فيهِ ايضاً اموراً عديدة تختصّ باخبار الامراء واحوال لبنان وبلاد الشام والقطر المصريّ. والكتاب عبارة عن ٢٠٠ صفحة تقريباً وكلا التاريخين نادر قد امكنّا الحصول على نسخة منهما فاستنسخناهما لمكتبتنا الشرقية. ولابن المنيّر ما خلا ذلك تآليف شعريّة وادبيّة نذكرها في باب الأدب

واشتهر ايضاً في التاريخ من نصارى الملكيين الكاثوليك رجلان من بيت الصبّاغ كانا حفيدين لابراهيم الصبّاغ طبيب ظاهر العمر (اطلب المشرق ٨ [١٩٠٥]: ٢٦) اسم احدهما عبود بن نقولا بن ابرهيم والآخر ميخائيل. وكان اهلهما بعد وفاة جدّهما ابراهيم سنة ١٧٧٦ هربوا الى مصر حيث نشأ الولدان وتخرّجا بالآداب على اساتذة القطر

المصري(١ . ثمَّ لمَّا قدم نابوليون الى مصر ومعهُ عدد من مشاهير العلماء اتَّصل عبود وميخائيل بهؤلاء الكرام وصارا في خدمتهم الى ان انتقلا معهم الى فرنسة. وقد اتَّسعنا في المشرق (٨ [١٩٠٥]: ٣١–٣٣) في ما خلَّفهُ ميخائيل من التركة العلميَّة الثمينة اجلُّها قدرًا تآليف تاريخيَّة لا تزال مخطوطةً في مكتبتي باريس ومونيخ منها تاريخ اسرتهِ بيت الصبَّاغ وبيان احوال طائفتهِ الملكيَّة الكاثوليكية. ولهُ ايضاً متفرّقات ضمَّنها تاريخ قبائل البادية في ايامهِ وتاريخ الشام ومصر. هذا فضلًا عن كتبهِ اللغويَّة والادبيَّـة كالرسالة التامَّة في كلام العامَّة ومسابقة البرق والغمام في سُعاة الحمام وكلاهما قد طُبع في اوربَّة. ولهُ مآثر من النظم نذكرها في الادبيَّات. امَّا عبُّود فانَّ لهُ في مخطوطات باريس تاريخاً (Fonds arabe, *Paris*, 4610.) جمع فيهِ اخبار ظاهر العُمر دعاهُ الروض الزاهر في تاريخ ضاهر (كذا) » وطريقة عبُّود وميخائيل في تدوين التاريخ سهلة الالفاظ واضحة المعاني حسنة السبك تدلُّ على ضلاعتهما في الكتابة هـذا مع ضعف في التعبير لا سيَّما في تاريخ عبُّود الذي يشبـه كلامهُ بركاكتهِ كلام العامَّـة. وتوفّي ميخائيل سنة ١٨١٦ امَّا عبُّود فلا نعلم سنة ومكان وفاتهِ

وقد عُرف في عهد الصبَّاغين المذكورين كاهن من اسرتهما كما نظنُّ نضيفـهُ اليهما وهو انطون صبَّاغ من تلامذة رومية يستحقُّ الذكر بما عرَّبهُ من التآليف المتعدّدة البالغة نحو ٥٠ مجلَّدًا منها كتاب تاريخ الكردينال اورسي في ٢٤ جلدًا كبيرًا انتهى من تعريبهِ نحو السنة ١٧٩٢ وكانت وفاتهُ في العشر الاوَّل من القرن التاسع عشر (المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٦٩٥)

ومن ادباء الروم الملكيين الذين احرزوا لهم فخرًا في التاريخ نيقولا بن يوسف الترك كان اصل والدهِ من الاستانة العليَّة ثم سكن دير القمر حيث ولد ابنهُ نيقولا سنة ١٧٦٣ وفي وطنهِ مات سنة ١٨٢٨. كان نيقولا محبًّا للآداب منذ حداثتهِ فلم يزل يتعاطى النظم والنثر الى ان نال فيهما نصيباً صالحاً. وقد خدم الامير بشير الشهابي زمناً طويلًا وقصائدهُ فيهِ شهيرة نعود الى ذكرها عند وصف ديوانهِ. اما التاريخ فلهُ فيهِ مصنَّفان احدهما تاريخ الامبراطور نابوليون من سنة وفاة الملك لويس السادس عشر

١) اطلب ترجمة ميخائيل الصبَّاغ التي اثبتناها في المشرق (٨: ٢٩ – ٣٠)

الى موت نابوليون سنة ١٨٢١ في نحو ٤٥٠ صفحة كتبهُ بانصاف وحُسن ذوق مع تعريف اسباب الحوادث وسوابقها ولواحقها والحكم في جيّدها وسيّئها . وهذا الكتاب قد طُبع نصفهُ الاوَّل في باريس سنة ١٨٣٩ بهمّة المسيو ديغرانج (M. Desgranges) الذي نقلهُ الى الفرنساوية وألحقهُ بعدَّة ملحوظات وهو يحتوي تاريخ نابوليون الى آخر بعثة مصر سنة ١٨٠١ . امَّا النصف الثاني فلا يزال مخطوطاً . ولنيقولا الترك تاريخٌ آخر ضمَّنهُ اخبار احمد باشا الجزّار منهُ في مكتبتنا الشرقية نسخة في ١٢٦ صفحة وهو غاية في الافادة لتعريف احوال الشام من السنة ١١٨٥ هـ الى السنة ١٢٢٥ (١٧٧١ — ١٨١٠) وانشاء الكاتب بسيط مطبوع خالٍ من التعقيد والتقعير كما يليق بالتاريخ

والغالب على ظنّنا انَّ المعلّم نيقولا الترك هو مؤلف تاريخين آخرين لم يُذكر اسم كاتبها فالاوَّل هو « مجموع حوادث الحرب الواقع بين الفرنسوية والنمساوية في اواخر سنة ١٨٠٥ مسيحيَّة الموافقة لها سنة ١٢٢٠ لتاريخ الهجرة » وهو تاريخ واسع في ٣٠٦ صفحات من قطع الربع طُبع في باريس سنة ١٨٠٧ وُصفت فيه وقائع تلك الحرب التي انتهت بانتصار نابوليون في أُسترلتس . والتاريخ الثاني من مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة (Fonds arabe.n° 1684) اسمهُ « نزهة الزمان في حوادث لبنان» في ١٤٨ صفحة يحتوي تاريخ الامراء الشهابيين منذ اول قدومهم من الحجاز الى حوران ثم الى لبنان مع تفصيل اخبارهم الى ايّام الامير بشير الشهابي ونهايتهُ بالحوادث التي جرت سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠)

ويلحق بهذا التاريخ تاريخٌ آخر لاحد الموارنة كتبهُ مؤلفهُ « انطونيوس ابن الشيخ أبي خطّار الشدياق من بيت الحاج عبد النور من قرية عين طورين في جبَّة بشرّاي من اعمال طرابلس » سنة ١٨١٩ دعاهُ « مختصر تاريخ لبنان » وهو كتاب في ١٥٠ صفحة ضمَّنهُ المؤلف عدَّة امور تاريخيَّة دينية ومدنيَّة على غير ترتيب كما حضرتهُ او كما اقتطفها من تواريخ اخرى او سمعها من اهل زمانهِ منها فصلٌ واسع نقلناهُ عنهُ في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٧٦٩ , ٨٢٠) عن اصل الامراء والشيوخ في لبنان

وممَّا كُتب في هذا العهد من الأسفار رحلةٌ لاحد الحلبيين « فتح الله ولد انطون ابن الصائغ اللاتيني » الذي زعم انهُ رحل في خدمة احد الاجانب اسمهُ تيودور لسكاريس في اواخر سنة ١٨١٠ من حلب الى انحاء الشام فجهات العرب وقد وصف

ما جرى لهما من الاخبار وضمّن رحلتهُ اشياء كثيرة عن احوال المدن التي زاراها وعن قبائل العرب وبلاد الوهابيين. وقد كتب ذلك بعبارة رائقة الّا انّها قليلة التّهذيب لا تكاد تخالف لغة العامّة والكتاب يُصان في خزانة باريس (Fonds arabe, n° 2298). وقد وقف الشاعر الفرنسويّ لامرتين على هذه الرحلة فاستعان ببعض المستشرقين ونشرها مترجمةً الى الافرنسيّة في كتابهِ الشهير « سفرٌ الى الشرق » (Voyage en Orient) في القسم الرابع من طبعة باريس ١٨٣٥ (ص ٥٥ — ٢٨٥). اما المؤلف فعاش بعد ذلك زمناً طويلاً وسيعود اسمهُ في مطاوي مقالتنا ثانيةً. ثمَّ وجدنا في المجلّة الاسيويّة (g. As. 1872²) فصلاً في انتقاد هذه الرحلة فيثبت كاتبهُ انّها مصنوعة

ونختم هذا النظر في مؤرخي الثُّلث الاوَّل من القرن التاسع عشر بذكر احد مسلمي طرابلس الغرب وهو الشيخ محمَّد بن عبد الكريم ولد في طرابلس الغرب وتلقَّى العلوم عن اعلام عصرهِ وفحول مصرهِ وكان واسع العلم كثير الحفظ تولَّى النيابة في وطنهِ بعد والدهِ وحسنت سيرتهُ وألَّف كتاباً سمَّاهُ « الارشاد بمعرفة الاجداد » ضمَّنهُ ذكر اسلافهِ الكرام وكان اصل اجدادهِ من الاندلس ثمَّ انتقلوا الى طرابلس وعُرفوا بآل النائب وكان ابوهُ فقيهاً شاعراً توفي سنة ١١٨٩ ه (١٧٧٥ م) اما ابنهُ محمَّد فكانت وفاتهُ سنة ١٢٣٢ ه (١٨١٧ م)

الشعر والادب

انَّ الشعر والادب كما التاريخ كانت سوقها كاسدةً في اوائل القرن التاسع عشر لم يشتهر فيها الَّا بعض الافراد في مقدَّمتهم بين المسلمين الاديب السيّد احمد ابن عبد اللطيف بن احمد البربير الحسنيّ البيروتيّ ولد سنة ١١٦٠ (١٧٤٧) في ثغر دمياط وتوفّي في دمشق في ١٨ ذي الحجّة ١٢٢٦ (١٨١١) لهُ تآليف ادبيّة ومنظومات اخصُّها مقاماتهُ التي منها نسخة خطّيّة في المكتبة الخديويّة (انظر قائمتها ٤: ٣٢٨) يبتدئ اوَّلها بقولهِ « حكى بليغ هذا الزمان والعصر من حديث الذّ من سلافة العصر ». وقد طُبع من هذه المقامات مقامة « المفاخرة بين الماء والهواء » في دمشق سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣). ولهُ بديعيَّة علّق عليها شروحاً مصطفى بن عبد

الوهاب بن سعيد الصلاحي تُصان بين مخطوطات برلين (ع ٧٣٨٨) ولهُ «كتاب الشرح الجلي على بيتي الموصلي» وهو تأليف واسع طُبع في بيروت سنة ١٣٠٢ (١٨٨٥) اودعهُ صاحبهُ فنوناً من الآداب وفصولاً في كلّ علم من العلوم. والموصليّ المذكور هو عبد الرحمان بن ابراهيم الصوفي الموصلي من ادباء القرن الثامن عشر. اما البيتان اللذان شرح البربير رمزهما فهذان:

ان مرَّ والمرآةُ يوماً في يدي   من خلقهِ ذو اللطف أسما مَنْ سما
دارت قناديلُ الزجاج ولم تزلْ   تقفوهُ هدواً حيثُ سار ويمَّما

اما منظومات السيّد احمد البربير فكثيرة لكنَّها متفرّقة. وكنَّا قد نشرنا منها شيئاً في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ١٤ — ١٨) مما داربينهُ وبين مخائيل البحريّ من المراسلات الادبيَّة. ثمَّ اتحفنا جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف بنُخبة أُخرى من اقوالهِ الشعريَّة تجدها في المجلّة المذكورة (٤ [١٩٠١]: ٣٩٦) ولعلّ السيّد احمد البربير نظم ديواناً كاملاً لكنَّنا لم نقف لهُ على اثر ومما قرأنا من لطائفهِ قولهُ في طبيب:

رأيتُ طبيباً لهُ نفارٌ   يتيهُ في مشيهِ دلالا
فقلتُ: من انت يا حبيبي   هل راحمي انتَ قال: لا لا

ولهُ في التوحيد:

لقد آمنتُ باللهِ   واصبحتُ بهِ آمنْ
هو الاوَّل والآخر   م والظاهرُ والباطنْ

وقال: خرجتُ من سجن نفسي   ومن حظوظي والجاهْ
وفي جميع اموري   اسلمتُ وجهي للهْ

وقال في كبح الشهوات:

انَّ الذين يجاهدو   نَ النفسَ شبَّاناً وشيبا
منَّ الالهُ بنصرهم   وأثابهم فتحاً قريبا

وقال في تاجر سها عن الآخرة:

يا تاجراً لا يزالُ يرجو   ربحاً ويخشى من الخسارهْ
عبادةُ الله كلَّ حينٍ   خيرٌ من اللهو والتجارهْ

وقال يصف دار اسعد باشا وكان حلّها ابو السعود محمَّد بن عليّ:

يا دارَ اسعدَ باشا   لكِ النعيمُ المخلَّدْ   بطلعة ابن عليٍّ   ابي السعود محمَّدْ

بدرٌ يزيد كمالًا من النجوم تولّدْ ذو همّةٍ غارَ منها حدُّ الحُسام المجرّدْ
أما ترى السيف منها في جفنهِ بات مُغمدْ ولطفهُ في البرايا ممَّا فشا وتأكّدْ
حتّى غدا كلُّ شخصٍ بـهِ يقرُّ ويشهدْ كانهُ من نسيم الـقَبُول بات مجسّدْ
أما ترى وَرْد خدّ الـرياض منـهُ توردْ والبحر لمّا رآهُ يجودُ ارغى وازبدْ
والدهر بات غلامًا لمن عليـهِ تردّدْ فتىً بهِ ابيضَّ حظّي من بعد ما كان اسودْ
يا سيّدي عش سعيدًا فانَّ جدّك اسعدْ وسوف ترقى لأوجٍ من الكواكب ابعدْ
فاحفظ بشارة عدلٍ بها الفراسةُ تشهدْ واسلمْ ودم في سرورٍ ما طائر الصبح غرّدْ

ومن مراثي السيد احمد البربير قولهُ في الامير منصور الشهابي لما توفي سنة ١١٨١هـ (١٧٦٧ م):

سقا هذا الضريحَ سحابُ فضلٍ وعمَّم بالرضى مَنْ في ثراهُ
اميرًا كان في الدنيا شهابًا ومنصورًا على قومٍ عصاهُ
فان يكُ من عيوني قد توارى فحسبي انَّ قلبي قد حواهُ
فلمَّا سار للفردوس فورًا وقرَّبهُ المهيمن واصطفاهُ
أتى تاريخهُ في بيت شعرٍ يودُّ البدرُ أن يُعطى سناهُ
فمهملهُ ومعجمهُ وكلٌّ من الشطرين تاريخًا تراهُ
شهابُ الرحمة المولى عليهِ هوى للقرب بدرٌ من رُباهُ

وكان لاحمد البربير تلامذة أخذوا عنهُ اخصُّهم السيد عبد اللطيف بن علي المكّي بفتح الله المفتي البيروتي الحنفي وكان شاعرًا الّا انَّ شعرهُ مفقود. وممّا يروى عنهُ قولهُ يمدح ميخائيل البحريّ لما جاء بيروت في ايّام الجزّار:

ولمّا أتى البحريُّ بيروتَ زائرًا الينا فكم أهدى عقودًا من الشعرِ
فلا بدعَ أنْ أُهدي لهُ الدرَّ ناظمًا فناهيكَ انَّ الدرّ يبدو من البحرِ

فأجابهُ البحري بابيات رويناها في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ١٧-١٨). ومن الشعراء المسلمين الذين نظموا الشعر الجيد في اوائل القرن التاسع عشر الشيخ الوفاء قطب الدين عمر ابن محمّد البكري الدمياطي الاصل واليافي المولد ولد سنة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ م) في يافا ودرس على مشاهير شيوخ زمانهِ في وطنهِ ورحل الى مصر وأخذ عن ائمّتها. ثمّ عاد الى غزّة وتجوّل في انحاء الشام والحجاز وتوفي في دمشق في غرة ذي الحجّة سنة ١٢٣٣ (١٨١٨ م) وقد رثاهُ شاعر زمانهِ الذي نترجمهُ في اوانهِ الشيخ امين الجندي بقصيدة رنّانة اوّلها:

قِسِيُّ المنايا ما لأسهُمها ردُّ فما حيلتي والصبرُ قد دكّهُ البُعدُ

دهيتُ برُزْءِ لا يُطاق عناؤهُ وكربٍ وحزنٍ ما لغايتهِ حدُّ

وهي طويلة. ومن لطيف ما قالهُ فيهِ الشاعر نقولا الترك وقد ضمّن فيهِ اسمهُ عُمَر:

شمس العلوم تبدّى نورًا الى كلّ راءِ
مقرّها ضمن ميمٍ ما بين عين وراءِ

اما تآليف السيد عُمر اليافي فاخصّها ديوانهُ وبعض مخاطبات أُلحقت بديوانهِ (ص ٢٤١ — ٢٨٤) وقد عُني بطبع هذهِ الآثار حفيدهُ السيد عبد الكريم بن محمّد أبي نصر في المطبعة العلميَّة سنة ١٣١١ ﻫ (١٨٩٣ م) وهو مجموع واسع فيهِ قصائد متعددة دينيَّة على منهج المتصوّفين وكان السيد عُمر على الطريقة الخلوتية ولهُ في هذه الطرائق عدَّة رسائل منها رسالة في الطريقة النقشبنديَّة ورسالة في معنى التصوُّف والصوفيّ وغير ذلك. ومن ادبيَّاتهِ رسالة لهُ في الحضّ على برّ الوالدين. أمَّا شعرهُ فهو رقيق اللفظ رشيق المعنى كثير التفنن فيه قسمٌ للموشّحات والأدوار الغنائيَّة والخمريَّات وها نحن نورد منهُ طُرَفًا تنويهاً بفضلهِ. قال في الاعتصام والثقة بالله:

انا بالله اعتصامي لا ارى في ذاك شكًّا موقنًا ان لا سواهُ كاشفٌ ضرًّا وضنكا
راجيًا فيهِ نوالا ورشادًا ليس يُحكى لم ازل لله عبدًا وبهذا اتزكّى

ولهُ مستغيثاً مبتهلًا من قصيدةٍ:

الهي الهي ليس الّاك يُرتجى وحقّكَ ما وافيتُ غيركَ راجيا
ومن ذا الذي اشكو لهُ سوءَ فاقتي ويعلمُ قبل المشتكى سوءَ حاليا
لقد دكّ دهري طودَ قصري فأصبحتْ منازلُ قصري بالمطلوب خواليا
وفوّقَ لي الخطبُ المبرّح اسهمًا من الوجدِ والتبريح فيها رمانيا
وشنَّ ليَ الغارات تعدو وقد غدتْ عليَّ بعادي الجور تعدو العواديا
فيا ربّ ما للعبدِ في الدهر ملتجىً سواكَ فانّي بالتضرّع لاجيا
تداركْ بألطافٍ وأسعفْهُ بالمنى وحقّقْ لهُ فضلًا لديك الامانيا

ومن جيّد قولهِ ما كتبهُ في برّ الوالدين:

كم جرَّ برُّ الوالدَيْن فوائدًا للمرء جمَّهْ
منها رضى الله الذي يكفي الفتى ما قد أهمَّهْ
واخو العقوق كميّتٍ قد صار في الأحياء رِمَّهْ
والكلبُ احسنُ حالةً منهُ وأحفظُ منهُ ذمَّهْ

ومن محاسنهِ قولهُ في نوفرة على رأسها ليمونة :

ونوفرةٍ تبـدي من الماء قامةً زهت بكمال الصفو حسناً ومنظرا
عمودٌ من البلّور من فوقِ رأسهِ زُمرُّدةٌ خضراء تنثر جوهـرا

ومن اوصافهِ قولهُ يذكر ديرعطيّة من قرى الشام بين النبك والقريتين :

حاديَ الركْب سِرْ وحثَّ المطيّه لديار العطـا بدير العطيّـه
فبتلكَ الربوعِ تلقى ربيع الـأُنس فاحت ازهارهـا العبهريّه
جنّةٌ قد تزخرفتْ في رباها بثمارٍ من البهاء جنيّهْ
تجري من تحتها المياهُ بأنها رِ التهاني للواردين مَرِيّهْ
وغصون الرياض تهتزُّ تيهاً حيثُ غنّت نسائمٌ سَحَرِيّهْ
حبّذا حبّذا معاني الاغاني لتهاني المعـالم الانسيّهْ

وقد اشتهر بين المسلمين غير هؤلاء في الشعر والادب لكنّ قصائدهم وتآليفهم لا تزال في خزائن الخاصّة او اخذتها ايدي الضياع نذكر منهم من اتصل بهِ علمنـا بمطالعة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة

فمن هؤلاء الادباء المسلمين اسمعيل بن الحسين جعان لهُ ديوان صغير الحجم في احد مجاميع لندن المخطوطة (Supplement of the Catal. of the Arabic Mss, n° 1323, 3°) يحتوي على قصائد ومراسلات ومقالات شتى كتبها بين السنة ١٢٢٧ وسنة وفاتهِ ١٢٥٠ (١٨١٢ — ١٨٣٥) .

ومن مشاهير المسلمين في اوائل القرن التاسع عشر السيد محمّد الامير الكبير المولود في سنبو في مديريّة اسيوط سنـة ١١٥٤ ﻫ (١٧٤١ م) والمتوفى في مصر في ذي القعدة سنة ١٢٣٢ (١٨١٧ م) . درس الفقه باقسامهِ في الازهر وتولى مشيخة السادة المالكية والّف كتباً عديدة في فنون شتى . وكان كلامه حِكماً منهُ قولهُ :

دع الدنيا فليس بها سرورٌ يتمُّ ولا من الاحزانِ تسلَمْ
وكن فيها غريباً ثمَّ هيِّىء الى دار البقا ما فيهِ مَغنَمْ

ومنهم الشيخ عبدالله الحلبي كان شاعر زمانهِ في الشام لهُ ديوان مفقود وقد وقفنا لهُ على بعض فقرات في ديوان نيقولا الترك منها قولهُ في جملة قصيدة يذكر تآليف الترك :

أنت بسحرِ بيانٍ ابانَ فضلًا جزيلا
عن فضل ذي الفضل يبني عقدًا بديعاً جميلا

صحيحٌ معناهُ يروي عن الصحاح نقولا
يا درّ درّ قوافٍ ترتّلت ترتيـلا
قسّ الفصاحة فيـهِ سحبانُ اضحى ذهولا
لم يترك الاوّلون الى الاواخر قيلا
عنهُ التواريخُ تُروى براعةً وشمولا
قد سار ذكرًا شهيرًا بين الانام جليلا

وجاء في الديوان عينهِ ذكر شاعر آخر وهو الشيخ صالح نائب طرشيحا روي لهُ قصائد منها قولهُ يمدح آل شهاب والشيخ بشير جنبلاط ويذكر قرية المختارة قال:

واصبو الى لبنان وهي مواطنٌ عرفتُ بها ظلًّا هناك ظليلا
بآل شهابٍ كمّل الله عزّها وشرّف منها اربعًا وطلولا
وبالجَنْبَلاطيِّ البشير تشامخت جبالٌ بها تعلو المجرّةَ طولا
فتىً ما لهُ في الدهر ثانٍ وانهُ ابو قاسمٍ حاز الكمال جميلا
همام اذا ما الحرب شدّت وثاقها ترى اسدًا للمرهفات سَلولا
يصولُ بقلبٍ كالجبال ثباتهُ فيوقع في قلب العدوّ نحولا
يجودُ وفيضُ الجود يحسُد جودهُ اذا جرّ من بحر المكارم نيلا
بهِ شرُفت مختارةُ العزّ في الورى وباروكها للفضل جاء دخيلا
تُذكّرنا جنّاتِ عدنٍ قصورُها واشجارها شيئًا تراهُ جليلا
فلا مثلها عيني رأت ذات بهجةٍ تكلّلها من صيّب الماء اكليلا
وبابن عليّ عظّم الله قدرها واحيا لها اسمًا في البلاد فضيلا

وقال يمدح نقولا الترك:

هات زدني من ذكر وصف نقولا ثمَّ أورد ادلّةً ونُقولا
حيثُ جئنا لنشهر الفضلَ منهُ وبما نال ينبغي ان نَقولا
عيسويٌّ حوى اللطافة حتّى صار للُطف حجّةً ودليلا
شاعر العصر اوحد الدهر حقًّا ما وجدنا لمثل ذاك مثيلا
هو يُدعى بالتُرْك فاترك سواهُ من بني العُرْب واتخذه خليلا

واشتهر في الجزائر محمّد أبو راس الناصري من معسكرة وُلد سنة ١٧٥١ ونبغ في الفقه ورحل الى تونس ومصر والحجاز وتوفي سنة ١٨٢٣ . لهُ قصيدة في فتح وهران على يد الباي محمّد بن عثمان سنة ١٧٩٢ وقد شرحها في كتاب دعاهُ عجائب الاسفار. ولهُ وصف لجزيرة جربة طُبع في تونس سنة ١٨٨٤

هذا ما وقفنا عليهِ من تاريخ شعراء المسلمين في الثلث الاوّل من القرن التاسع

عشر. ونُلحق بهؤلاء بعض الذين اشتهروا باللغة والادب فنهم الشيخ الشرقاوي الذي سبق لنا ذكرهُ (ص ٩) والشيخ القلعاوي مصطفى بن محمّد الشافعيّ لهُ كتاب مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى. والشيخ محمّد ولهُ منظومة في آداب البحث ومنظومة في المنطق وديوان شعر دينيّ سمّاهُ اتحاف الناظرين في مدح سيّد المرسلين (١. ولد سنة ١١٥٨ وتوفي سنة ١٢٣٠ (١٧٤٥ — ١٨١٥)

ومنهم الشيخ محمّد الحنفي المعروف بالمهدي وُلد من والدين قبطيين في مصر سنة ١٧٣٧ وكان اسمهُ هبة الله ثمّ أسلم وهو صغير دون البلوغ وتقدَّم في المناصب وألقى الدروس في الأزهر ورافق طوسون باشا في حرب الوهابيين وصارت اليهِ رتبة شيخ الاسلام سنة ١٢٢٧ ﻫ (١٨١٢) وتوفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م) ولهُ كتاب روايات على شكل الف ليلة وليلة دعاهُ «تحفة المستيقظ والآنس في نزهة المستنيم الناعس» وخدم البعثة الفرنسويَّة العلميَّة لمَّا قدمت مصر مع نابوليون وذكرهُ بالثناء المستشرق مرسال (٢

ومنهم الشيخ محمّد الدسوقيّ وُلد في دَسوق من قرى مصر ودرس علوم اللغة والحكمة والهيئة والهندسة وفنّ التوقيت. قال الجبرتي (٤ : ٢٣١) : «لهُ تأليفات واضحة العبارة سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح المشكل» وعدَّد تآليفهُ التي معظمها في العلوم البيانيَّة والفقهيَّة. توفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م)

واشتهر في الموصل من الادباء الشيخ ياسين ابن خير الله الخطيب العُمَريّ لهُ تواريخ مخطوطة في خزائن كتب لندن وبرلين كالدرّ المكنون في مآثر الماضية من القرون وهو تاريخ واسع للاسلام بلَّغهُ الى السنة ١٢٣٦ (١٨٢١ م) وافاض خصوصاً في أمور الموصل (Brit. Museum, n° 1263) ولهُ منية الادباء في تاريخ الحدباء (Ibid. n° 1265) وكتاب عنوان الاعيان في ملوك الزمان (Berlin, n° 9484). وجرى ابنهُ عليّ بن ياسين على آثارهِ فكتب نحو السنة ١٢٢٣ ﻫ (١٨٠٨ م) روضة الاخبار في ذكر افراد الاخيار وهو مختصر تاريخ العالم والدول

---

١) اطلب تاريخ الجبرتي (٣ : ٣٢٧)

٢) اطلب الجبرتي (٤ : ٣٣٣) وكتاب الاداب العربيَّة لهوارت (Cl. Huart: *Littérature arabe, 417)*

الاسلامية: وذكر في المقالة الثامنة ولاة بغداد من حسن باشا سنة ١٠٠٦ الى سليان باشا ١٢٢٣ وله كذلك فصل في ادباء الموصل وشعرائها (Brit. Mus., nº 1266)

وعُرف ايضاً الشيخ ابو الفوز محمد امين السويدي البغدادي صاحب كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب اختصره عن القلقشندي نحو السنة ١٢٢٩ (١٨١٤) والكتاب قد طُبع على الحجر في بمباي سنة ١٢٩٤ توفي كاتبه سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢١م).

وفي السنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) مات ببغدادي آخر الاديب عثمان بن سند النجديّ

*

وان انتقلنا الآن الى ذكر النصارى الذين ابقوا لنا من قرائحهم الوقّادة ثمارًا جنيّة بالنظم والنثر لوجدنا قوماً منهم زانوا بآثارهم جيد الآداب واستحقوا شكر السلف مع قلّة ما كان لديهم في ذلك الوقت من الوسائل للترقّي في العلوم البيانيّة

واوّل من نذكر منهم رجل عصره الذي ترجمناه سابقاً في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٩–٢٢) وهو ميخائيل البحريّ الشاعر الروميّ الملكيّ الحمصي الاصل. كان متفنّناً بالآداب العربيّة وينظم الشعر الرائق كما ترى في الامثلة التي اثبتناها عنهُ في سيرته وقد شهد لهُ ادباء عصرهِ بجود القريحة. قال الشيخ احمد البربير يمدحهُ:

رعى الله حمصاً اذ صبت نحوَ مَنْ لهُ بيانُ معانٍ في البديع من الشعرِ
بليغٌ غدا كالبحر والنظمُ درُّهُ وهل يُستفادُ الدرُّ الّا من البحرِ

ازهر ميخائيل البحريّ في اواخر القرن الثامن عشر وخدم الجزّار في ديوان عكا وبعد مدّة تغيّر عليهِ والقاهُ في السجن. قال الامير حيدر الشهابي في تاريخ سنة ١٢٠٣ هـ (١٧٨٨م): «وفي هذه السنة أعتق الجزّار مخائيل البحري الذي كان مسجوناً بعد ما قطع اذنيهِ وانفهُ». وكنّا روينا في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ١٢) عن بعض الرواة انهُ ادرك القرن التاسع عشر ثمّ وجدنا في ديوان الشاعر المجيد بطرس كرامة (ص ١٠٤) تاريخاً لوفاة المذكور في سنة ١٧٩٩ قالهُ نظماً:

لكَ الرحمات يا لحدًا ثواهُ بديعٌ فضلهُ سامي الارائكْ
ويا لهفي على من فيكَ امسى ويا اسفي لدرٍّ في ترائكْ
حويتَ الكوكبَ البحريّ علماً فيا عجبي لبحرٍ في حبائكْ
ولمّا ان ثوى نُودي اليهِ هلمّ الى سرورٍ في علائكْ
وفي الملكوت أرّخْ ناطَ فوزًا بميخائيلَ تبتهج الملائكْ (١٧٩٩)

ولميخائيل البحري ذرّيّة كريمة جرت على آثاره نخصُّ منهم بالذكر ابنهُ عبّودًا او عبدالله البحري الذي ذكرنا بعض تفاصيل حياته وتقلُّبهُ في المناصب العالية عند ولاة الشام ولدى امراء مصر وكان رئيس قلم الانشاء عندهم · لدينا من آثاره عدَّة رسائل دوليَّة واهليَّة وكان بلغ النهاية في حسن الخط · وفي عبّود البحري قال الترك في موشّحه الذي كتبهُ سنة ١٨٠٩ يمدح بعض اصحابهِ في دمشق :

كم تباهت دُرَرُ البحري على ... كل ذي نظمٍ بديعٍ ونثارْ
وشدت من فوق أعلى الصحف لا ... يُنبت الدرَّ الصفي الَّا البحارْ
زُمَرُ الكتَّاب طرًّا والملا ... من أُولي الألبابِ توليهِ الوقارْ
كم نراهُ جاذبًا ان رَقَما ... بمدنَ الارواحِ كالمغنطسِ
بل وكم يسبي عقولًا حين ما ... يُظهرُ الآياتِ فوقَ الطرسِ

وممَّن مدحوا عبّودًا من الشعراء سليمان صوله قال فيهِ :

مولىً أبى الفضلُ الَّا ان يلازمَهُ ... فلم يُقِمْ بمكانٍ فيهِ لم يَقُمِ
لله منهُ ملاكٌ يرتقي فرسًا ... وكوكبٌ ناطقٌ يسعى على قدمِ
لهُ يدٌ تُخجِل الابحار بالكرمِ الـزخَّار والذابل الخطَّار بالقلمِ
اضحى لدائرة المعروف والكرم الـموفور قُطبَ علًا لولاهُ لم تدُمِ
اهديكَ يا خلَف البحريّ عاتقةً ... لعاتق المجد تهدي جوهر الحِكَمِ
اذا قبلتَ بها كان القبولُ لها ... اعلى واغلى من الياقوت في القِيَمِ

وكانت وفاة عبّود سنة ١٨٤٣ فرثاهُ المعلّم بطرس كرامة بقصيدةٍ طويلة قال فيها :

يا للمنيَّة قد جازت وقد غدرتْ ... ببدر فضلٍ لهُ الآدابُ هالاتُ
مولى البراعة عبدالله مَنْ فُقدت ... لفقده وانقضت تلكَ البراعاتُ
يا طالما سبكتْ اقلامهُ دررًا ... تقلَّدت بلآليها الرسالاتُ
وكم على وجنة القرطاس في يده ... تفاخرت ببديع الخطّ لاماتُ
ما لاعبتْ قلمًا يومًا اناملهُ ... الَّا نَبَتْ مَشرفيَّاتٌ صقيلاتُ
لمَّا اتى الناسَ ناعيهِ بكت اسفًا ... من البراعة دالاتٌ وميماتُ

وكذلك اشتهر اخوه حنا البحريّ فمدحهُ الشاعر المذكور غير مرَّة (اطلب ديوانه ص٢٨٧، ٢٨٩، ٣٠٢) ونظم تاريخًا لوفاتهِ سنة ١٨٤٣ كما مدح اخاهما جرمانوس فمن قولهِ في هذه الاسرة وكان ميخائيل البحريّ خالًا لبطرس كرامة (ص ٢٨٨)

بنو البحر الّا انهم درر العُلى ... واهل الوفا لكنّ دأبهم البرّ
وما منهم الا نبيهٌ مهذب ... نراه بديوان اليراع هو الصدرُ
بجرمانس ساد الحساب واصبحت ... دفاتره الزهراء يعشقها الزهرُ
يريك اذا هزّت يراعًا بنانهُ ... عقودَ جمانات معادنها الحبرُ
وفاخرَ يوحنّا بانشائه الصبا ... فرقّت لالفاظٍ بها انعقدَ الدرُّ
تودُّ ذؤاباتُ الحسان اذا انتضى ... ليكتب سطرًا انّها ذلك السطرُ
هما فرقدا اوج اليراعة والنُّهى ... وابناء بيتٍ مهدُهُ النظمُ والنثرُ

وللمعلّم بطرس مدائح اخرى في بني البحري منها تاريخهُ لوفاة اندراوس البحري سنة ١٨١٦ (ص ٢٦١) ختمهُ بهذا البيت:

تلقّاهُ الاله يقولُ أرّخْ ... رِث المُلْك المعدّ لذي اليمينِ

ومنها تاريخهُ لوفاة عبدالله البحريّ ابن اخي ميخائيل سنة ١٨١٩ (ص ٢٦١) قال في ختامه:

برٌ بغفران الاله مؤرّخٌ ... ومُنعّمٌ في روضة الاملاكِ

وتاريخ وفاة ابرهيم البحريّ (سنة ١٨٢٢) المختوم بهذا البيت (ص ٢٦٢):

وفي الملكوت حازَ لدى الهٍ ... مع الأبرار أرّخْ خيرَ روضهْ

وكان ميخائيل الصبّاغ الذي ذكرناهُ في جملة مؤرّخي زمانهِ شاعرًا وسطًا استحسنَ الاوربيّون شعرهُ العربيّ فنقلوهُ الى الفرنسيّة فمن ذلك ما مدح بهِ البابا بيُّوس السابع لمّا قدم فرنسة لتتويج نابوليون قال:

دُهشتْ لرؤيةِ وجهكَ الابصارُ ... وأضتْ لرؤيةِ مجدكَ الامصارُ
هذي العروسةُ يا سليمان انجلت ... في حسنها ولها العظامُ فخارُ

ومنها في المدح:

اليوم تحسدنا الملائكُ في السما ... لمّا نرى ممّا العقولُ تُحارُ
سامحْ نواظرنا اذا بكَ كرّرت ... نَظَراتها او زادها التكرارُ

ولهُ موشّح قالهُ في ميلاد ابن نابوليون الاوّل سنة ١٨١١ اوّلهُ:

هلّلوا في الارض يا كلَّ الامم ... واهتفوا فيها بالحان النغمْ

ومنها:

ايها القيدرُ بُلّغتَ المنى ... كلُّنا بالبكرِ نهديكَ الهنا
انتَ منّا مستحقٌ للثنا ... قد حبانا ربُّنا هذي النعمْ

ولهُ غير ذلك ممَّا لا نتعرَّض لذكرهِ والركاكة ظاهرة في معظم هذه القصائد والموشَّحات ما يدلُّ على انَّ صاحبها لم يُحسن علم العروض وانَّما تعاطى النظم استعطافاً لبعض الذوات وحظوةً برضى العلماء المستشرقين

وممَّن اشتهروا ايضاً بالآداب والنظم بين النصارى في مفتتح القرن التاسع عشر القس حنانيَّا منيِّر الزوقي (١ الذي ذكرناهُ في باب التاريخ (ص ٢٢) . فانهُ برع ايضاً في الفنون الادبيَّة فمن ذلك مجموع امثال لبنان وبلاد الشام يبلغ نحو ٤٠٠٠ مثل وكتاب مقامات بديعة جامعة بين فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني (المشرق ٤ [١٩٠١]: ٩٧٣) هذا فضلًا عن كتاب في شرح عقائد الدروز طبعهُ المسيو غويس (Guys) في باريس ونقلهُ الى الفرنسوية . وكان لهُ ديوان شعر اخذتهُ يد الضياع لم نحصل منهُ الَّا على بعض مقاطيع روينا بعضها سابقاً (المشرق ٤ [١٩٠١]: ٩٧٠ — ٩٧٢) منها قصيدته

١) افادنا حضرة المنسنيور جرجس منش الماروني انَّ اسرة القسّ حنانياً منيِّر (بكسر الياء المشدَّدة كما هو المتداول بين الحلبيين او بفتحها كما هو الغالب في لبنان اشارة الى صنعة النير او من بيع النسيج المنيَّر) اصلها من حلب ثمَّ هاجرت الى لبنان فاستوطنت الزوق في تضاعيف القرن الثامن عشر في جملة الأُسَر التي خرجت من الشهباء في ذلك العهد وفي اوائل القرن التاسع عشر فرارًا من شرّ الاضطهادات التي اثارها الروم المنفصلون على ما ذكره روفائيل مخلوطا المعروف بالغالي وغيرهُ من كتبة ذلك الزمان . ثمَّ انقرضت اسرة المنيّر من حلب فلم يبقَ منها احد بعد ان كانت نامية متعدّدة الافراد . ويؤخذ من سجلّ مواليد الملكيين الكاثوليك في حلب انَّ هذه الاسرة انقسمت الى ثلاثة بطون عُرف الاوَّل منها بالمنيّر على الاطلاق والثاني غلب عليه لقب الحكيم من جدّها ابراهيم المنيّر الحكيم ويظنّ حضرة مكاتبنا انَّ القس حنانياً تلقَّب بالطبيب اشارةً الى لقب هذا الفرع بالحكيم ليس كما ذكرنا (المشرق ١٠ : ٤١٤) لمزاولته فنّ الطبّ . والثالث غلب عليه لقب ارميا من جدّهم عبدالله بن ارميا من بيت المنيّر . وممّا ذُكر من مواليد هذه الاسرة جرجس بن توما ويوسف بن الياس (بن المنيّر) وزينب بنت ابراهيم (المنيّر الحكيم) وعبدالله بن ارميا (من بيت المنيّر) في سنة ١٧٣٥ وجبرائيل بن منصور (١٧٣٦) وكاسيا بنت نعمة (١٧٢٧) وجرجس ابن ارميا (١٧٣٨) وسارة بنت يعقوب (١٧٣٩) ويعقوب ابن جبرائيل وجرجس الآخر بن ارميا (١٧٤٠)وترازيا بنت توما(١٧٤٢) وسيدة بنت جبرائيل ونعمة الله بن توما (١٧٤٣) ويوسف بن منصور (١٧٥٧) . وليس غير ذلك في السجل الملكي . وكذلك عُرف من افراد هذة الاسرة القسّ بولس (ولد عيسى المنير) الذي خدم ابرشيّة حلب الملكية الكاثوليكية واوقف بعض المخطوطات على مكتبتها في آخر القرن الثامن عشر

الرّثانة التي قالها في تهنئة سليمان باشا لما اتى عكا ليتولّاها بعد وفاة الجزّار . اوّلها :

لِهوى الاحبّة في الفؤاد مُخيّمُ نيرانهُ بين الجوانح تُضرَمُ

ومنها : صيدا أبشري عكّا افرحي حيفا اطربي والقاطنون بهنّ فليترنّموا

كن يا سليمان الوزير مؤازرًا الخاضعين وجارماً من يجرموا

واعظم وسدْ وارحمْ وعُدْ وانعمْ وجُد واسلمْ ودمْ بسعادةٍ لك تخدمُ

وختمها بهذا التاريخ :

واذا انتهى شعري بمدحك مرّةً ارّختُ يبدأُ مدحك لا يُختمُ

وممّا قالهُ في الزهد والدعاء قولهُ في مقدّمة تاريخهِ الرهبانيّ :

اني لفي عِظَم الوجلْ من قُرْب ايّام الأَجلْ
من بعده لا بُدَّ ما يعروني في الدين الخجلْ
اذ انني قضّيتُ عمري بالملاهي والبَجَلْ
والحكم لم يُقبَل بهِ عذرٌ ولم ينفع وجلْ
أَلجا لعونكِ مريماً فأعطفي نحوي النجَلْ
وتشفّعي بي يا بتو لُ وأدركيني بالعجلْ

ولمّا توفي الجزّار سنة ١٢١٩ (١٨٠٤ م) وكان بالغ في الظلم وجنح الى العصيان وضع كلُّ شعراء ذلك العصر من مسلمين ونصارى قصائد هجوهُ فيها وارّخوا وفاتهُ (اطلب المشرق ٢ [١٨٩٩] . ٧٣٨) فقال القس حنانيّا ابياتاً اثبتها في آخر تاريخهِ للشوف ورواها الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٩٧٠) . ومن رثائهِ قصيدة قالها في البطريرك اغناطيوس صرّوف لمّا قتلهُ الياس عماد سنة ١٨١٢ اوّلها :

علامَ دمعي من عيوني يُذرفُ وإلامَ لا يرقا ولا يتكفكفُ
هل كابدت كبدي لظىً لا ينطفي أم في الحشا جذوةُ نارٍ تنطفُ

ومنها في مدح الفقيد :

يا شمسَ أفق الشرق ذاع ضياؤهُ في الغرب انّى شمس فخرك تكسَفُ
يا راس كهنة بيعة الله التقي ثِق انتَ ايضاً في الاعالي اسقفُ
اوّاهُ وا اسفي ولوعاتي على مَن كلُّ من يدري بهِ يتأسّفُ
قسماً فلو يُفدى لكنتُ فديتهُ بالروح مرتاحاً ولا اتوقّفُ

وكان القس حنانيا يتفنّن بالنظم ولهُ قصائد بالشعر العاميّ غاية في اللطف منها

قصيدة في الخمّارة والعرق لم نحصل عليها . وهو الناظم للزجليّة الشهيرة المعروفة بالبرغوث كنّا اثبتناها اوّلًا في كتابنا علم الادب سنة ١٨٨٦ ثمّ وجدناها تامّة وافية في كتاب مخطوط من ايّام المؤلف وفي اخرها اسمهُ نرويها هنا بحرفها تفكهة للقرّاء :

١ اعدّ بيوت مع قصدانْ   واخبركم بما قد كانْ   طول الليل وانا قلقانْ
واصبح جلدي كالجربانْ

٢ جا البرغوت وانا نائمْ   وصار على صدري حائمْ   وقال لي من شهرين صائمْ
في حسابي خلص رمضانْ

٣ قلتلو لا تجادبني   علامك انت تكاربني   بالله عليك لا تتعبني
كل النهار وانا تعبانْ

٤ قال لي ايش انا جمّلكْ   ان كان سرّك او غمّكْ   عشاي الليلي من دمّكْ
وبكرا يفرجها الرحمانْ

٥ قلت يابرغوت انا بداريكْ   وبين الناس انشد فيكْ   روح لغيري يعشيكْ
واتركني الليلي نعسانْ

٦ قال لي ما هو عا كيفك   وهلليلي انا ضيفك   عيب عليك يا حيفكْ
آكون عندك وابات جيعانْ

٧ لا تحسب اني بهابكْ   بجي وبدخل في عبابك   بدور حول جنابكْ
ان كنت نائم او سهرانْ

٨ قلت يابرغوت اسمع مني   وهلليلي ارجع عني   ودعني راقد متهني
يبقى لك عندي احسانْ

٩ قال لي شوارك مرذولهْ   وعندي ما هي مقبولهْ   ومواعيدك هي مجهولهْ
وعمري ما بصدّق انسانْ

١٠ قلتلّو ويلك يا عقوقْ   لا يا اسود يا مسحوقْ   بتخدعني وما عندك ذوقْ
وعجزك هو قريب يبانْ

١١ قال انا بالعين صغيرْ   ولي في الليل فعل كبيرْ   انا ما بفزع من وزير
ولا من حاكم ولا سلطانْ

١٢ بتعيّرني بسوادي   وانا اليوم لك معادي   لأجيك انا واولادي
وبعلمك فعل السودانْ

١٣ قلتلو ما انا جسّكْ   ولا اولادك ولا اولاد عمّكْ   لاحرق ابوك مع امكْ
وبناتكم مع الصبيانْ

١٤ قال بخليك حتّى تنامْ   اجيك انا واولادي قوامْ   لمّا تلبس ثوب الحمّامْ
وعن مسكي تبقى عجزانْ

١٥ وحالاً بتصير تتقلّبْ وانا في جلدك مكلّبْ وانت تبقى متغلّبْ
بصبغ جلدك والقمصانْ

١٦ قلت يابرغوت ان كنت عائق إمتحنّي وانا فائقْ وضوء الشمس يكون شارقْ
لننظر من هو الغلبانْ

١٧ قال انا بالنهار بصومْ بقضيها ارتياح ونومْ عند غياب الشمس بقُوم
وادور حول السيقانْ

١٨ وان صار لي بالنهار فرصهْ لا بدّ ما إقرص لي قرصهْ ولولا خوفي من جرصهْ
ما كنت بسبّب انسانْ

١٩ قلت الرهبان لا تقرّبهمْ والشرّير محاربهمْ روح عنهم لا تعذبهمْ
يكفاهم شرّ الشيطانْ

٢٠ قال الراهب هو ملزومْ بالسهر والصلاة والصومْ لئلا يتادى بالنومْ
ما هو مليح يكون كسلانْ

٢١ وانا من يومي بجبّهْ بجي وبدخل في عبّهْ كي يقوم يعبد ربّهْ
ويطلب للعالم غفرانْ

٢٢ وانت ما فيك تربطني وانا ربي مسلطني ولمّا بدّك بتلقطني
بصير بفرّ كالغزلانْ

٢٣ وبعرف لمّا بتمسكني ما بتصور تتركني حالاً بتصير تفركني
وفي قتلي بتبقى شمتانْ

٢٤ وانا في اول الليلْ بتصيّد بقوّه مع حيل وبصير بركض مثل الخيلْ
وعا صدرك بعمل ميدانْ

٢٥ قلت يا برغوت يا محقورْ حقًّا من جنسك مقهورْ لا بد ما اعملّك تنّورْ
واحميه بالشوك والبلّانْ

٢٦ قال لي كلامك كله فشارْ قرائبي واولادي كتارْ وتربّوا عند الجزّارْ
وتسلّطوا على البلدانْ

٢٧ وعلى ايش حتى تحرقني حيث ربّي خالقني وانا الدم يوافقني
وطالب من دمك فنجانْ

٢٨ قلت يابرغوت بالك قاضي وعليك ما انا راضي لا بد اشكيلك القاضي
واخرج في قتلك فرمانْ

٢٩ قال حكم القاضي انا عاصيهْ ومن يومي انا معاديهْ وفرمانه لا يعمل فيّ
وعليّ ما لهُ سلطانْ

٣٠ قلت يا برغوت قلّي كارك واهديني لباب داركْ قصدي اقطع جداركْ
واحرق نسلك بالنيرانْ

٣١ قال لي لعشيه بقلّك وعلى باب داري بدلّك حتّى ادخل في ظلّك
وارقّصك رقص السعدانْ

٣٢ قلت يابرغوت صدقة عنّك عرّفني طريق فنّك وكيف بقدر خلص منّكْ
صرت في امري حيرانْ

٣٣ قال ان كان تعرف فنّي طاوعني واسمع مني انا نصيحك أمّني
قصدي خيرك يا انسانْ

٣٤ كانس بيتك في طيّون ورشّه بزوم الزيتون وخليه انضف من ماعونْ
وطيّنهُ بتراب والقانْ

٣٥ وثيابك قبال تلبسها برغتها او شمّسها وارض الدار كنّسها
كذلك اعمال بالدكّانْ

٣٦ لمّا يضيمك شوبكْ عند النوم غيّر توبك ما احد يجي صَوبكْ
وعلى التخت افرش ونامْ

٣٧ هذا ما قد صار فيّي عند السهرا من عشيّي وكان في بدء الصيفي
في آخر يوم من نيسانْ

(تمّت القصة من القس حنانيا منيّر)

☆

وكذلك اشتهر بين شعراء ذلك الدهر المعلم الياس اده وكان مولدهُ في قرية اده من اعمال جبيل سنة ١٧٤١ وتوفي في بعبدا سنة ١٨٢٨ وهناك ضريحهُ وقد صحب الامراء الشهابيين ومدحهم لاسيما الامير يوسف والامير بشير وكذلك خدم مدةً احمد باشا الجزّار في عكا حتى هرب منهُ خوفاً على نفسهِ. وقد اتسعنا في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٦٩٣ و٧٣٦) في ترجمة الياس اده واعمالهِ وشعرهِ فلا حاجة الى الاطالة هنا. ومما وقفنا لهُ بعد ذلك من الآثار الادبيّة مجموعة ذات ٢٣٥ صفحة ضمّنها نخبةً من اقوال الادباء والعلماء واللغويين جمعها وهو في حلب الشهباء سنة ١٢٠٧ (١٧٩٢ م) وسمّاها «الدرّ الملتقط من كل بحر وسفط» وجدنا منها نسخة تاريخها ١٢٤٧ (١٨٣١ م) وهي عند احد ادباء عينطورة الخواجا جاماتي. وللمؤلف في وصف هذه المجموعة قولهُ :

اذا نظر الرائي اليها يخالها رياضاً بها زَهْرٌ وزُهْرٌ زواهرُ
عرائس يجلوها عليك خدورُها ولكنّما تلك الخدورُ دفاترُ

ومما لم نذكرهُ من شعرهِ قولهُ في وفاة الشيخ سعد الخوري سنة ١٧٨٥ :

لا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ ... وقد قُرّحت بالدمع منّا المحاجرُ
لقد غبت يا شمس الكمال فأُرعدتْ ... فرائصنا والحزنُ للقلب فاطرُ
وفاضت مياهُ الدمع منّا فما لنا ... وحقّك قلبٌ بعد فقدك صابرُ
وليل الشقا فينا اكفهرَّ ظلامهُ ... وضاقت علينا بالفراق السرائرُ
لتبكِ المعالي بعد بعدك حسرةً ... كما لبستْ ثوب الحداد المفاخرُ
ايا لوذعياً كان للدهر سيداً ... ومن كفّهِ للجود هامٍ وهامرُ
عليك من الرحمان اضعافُ رحمةٍ ... ورضوانهُ ما ناح في الروض طائرُ
وما قال بالاحزان فيك مؤرّخٌ ... فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ

وقد خلّف لنا آثاراً ادبيَّة اوسع من السابقين رجلٌ سبقت لنا ترجمتهُ واطراء فضلهِ في باب التاريخ (ص ٢٣ — ٢٤) نيقولا الترك فانّ طول باعه في الاداب ليس دونهُ في التاريخ ولدينا من نظمهِ الرائق ونثره المسجع الفائق ما يشهد لهُ بالتقدُّم بين آل عصره. وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من ديوانهِ تنيف النسخة على ٤٠٠ صفحة ترى فيها كل مضامين الكتابة في الرثاء والمدح والوصف والهجو والمزاح. وقد عارض اصحاب المقامات فوضع منها احدى عشرة مقامة نسبها الى راوٍ دعاهُ الحازم ومسفارٍ فكهٍ سمّاهُ ابا النوادر. وفي كتابنا علم الادب (١ : ٢٧٨) مقامة منها وهي الاولى المدعوَّة بالديريَّة نسبةً الى دير القمر قدَّمها المؤلف للامير بشير واودعها من حسن التعبير وبديع اللفظ وبليغ المعاني ما يدلُّ على براعتهِ في فنون الانشاء. اما شعرهُ فمنسجم سهل المأخذ مطابق لمقتضى الحال مع كثرة التفنن في النعوت والاوصاف وفيهِ مع ذلك بعض الضعف اذ نبغ في الشعر بجودة قريحتهِ دون الدرس على استاذ يلقنهُ ومعلّم يرشدهُ. وها نحن نثبت هنا شيئاً من شعرهِ لافادة القرَّاء وتنويهاً بحسن صفاته فمن ذلك قولهُ في مدح الامير بشير وهي اول قصيدة قالها فيهِ:

دنا البشرُ المجيد المستطابُ ... وأشرقَ في معاليهِ الشبابُ
وتمَّ لنا المُنى بمزيد أمنٍ ... بهِ زال العنا والاضطرابُ

الى ان قال:

لهُ في المشكلات حميدُ رأيٍ ... وحزمٍ لم يزُغْ عنهُ الصوابُ
يلي الهيجاء في عزمٍ شديدٍ ... لديهِ لانت الصمُّ الصلابُ
كماةُ الحرب عند لقاهُ فرَّت ... كما فرَّت من الليث الذئابُ
وان خفقت بنور سطاه صاحت ... غشا الضرغام وانقضَّ العقابُ

يُبدَّد شملها منهُ ويفنى كما يفنى من الشمس الضبابُ
ملاذٌ مقصدٌ حصنٌ منيعٌ رجاهُ لا يُردُّ ولا يخابُ
اذلَّ الله اعداهُ لديهِ وقد خضعت لعزتهِ الرقابُ

ولهُ ايضاً فيهِ من قصيدة قالها بعد واقعة حرب:

سواك الى المعالي ليس يُدعى لانَّ الله احسن فيك بِدْعا
وزانك بالمزايا يا حميدًا بهِ الدهر ارتضى واختار قنعا
اميرٌ لا اميرَ سواه يُرجى مليك كاملٌ خلقًا وطبعا
بشيرٌ خوَّل الدنياءَ بشرًا بهِ طاب الورى قلبًا وسمعًا
شهاب اوعب الآفاق نورًا على نور الثريَّا فاق سطعا
اذا اعددتهُ يومًا بفردٍ من الافراد كنت تراه سبعا
ندى كفَّيهِ حلَّ عن انكفافٍ كانَّ الله اجرى فيهِ نبعا
فما الفضل ابنُ يحيى وابن طيٍّ وهل معنىً لمعنٍ بعدُ يدعى
بصارم عدلهِ كم بتَّ جورًا واحيا لانتصار الحقّ شرعا

وقال مهنئاً قدس السيد اغناطيوس قطَّان بارتقائه الى السدَّة البطريركيَّة سنة ١٨١٦ وكان اسمهُ اولًا القس موسى:

خوِّلتَ يا فخر البطاركة المنا للشعب ثمَّ حسمت كلَّ تزاعٍ
لمَّا ارتقيتَ لسدَّة بك شُرّفتْ يا كامل الاوصاف والاوضاعِ
وأنرتَ يا قطَّانُ قُطَّانَ الديا رِ وفيك باهت سائرَ الاصقاعِ
يا حبرَ احبار البلادِ وسيِّدًا أبدًا لهُ عينُ الالهِ تراعي
وبك استضا الكرسيُّ لمَّا ان وفى حسن الدعا لله والاضراعِ
لبَّاه بالافصاح ارِّختُ الهدى موسى لشعب الله افضل داعِ

ومن رثائهِ ما قالهُ في الشهيد بطرس مرَّاش سنة ١٨١٨ لمَّا قُتل في حلب باغراء جراسيموس اسقف الارثذكس مع غيره من الكاثوليك:

وافجعتاهُ بهِ ويا اسفي على ذاك الشباب الغضّ كيف تهشَّما
شُلَّت يدُ الباغي الذي قد اهرقتْ دمهُ الزكيَّ وحلَّلت ما حُرِّما
حيَّاهُ من شهمٍ شجاعٍ باسلٍ بطلٍ الى القتل المريع تقدَّما
بذل الحياةَ الدنيويَّة بالبقا واختار مجدًا سرمديًا دوَّما
لله فجعةُ بطرسٍ كم فتَّتت كبدي وألقت في فؤادي اسهما
لله فرقةُ بطرسٍ كم اوحشت تلك الربوعَ واظلمت ذاك الحما
لله لوعة بطرسٍ كم أجَّجت في مهجتي الحرَّاء جمرًا مضرما

ما حياتي ما طاقتي فنيت وها جَلَدي وهاك الصبر مني مُعدَما
طوباه اذ من بعد اصلح سيرة ومناقب منذ الصبا فيها نما
وافى الى سفك الدما بشهامة وغشي المنايا مسرعاً متقحما
وانضمَّ منحازاً مع الشهداء في جنات خلدٍ بالسماء منعَّما
ياطيب مثوًى ضمَّ طاهر جسمه يا فوز من وافى اليه ميمّما
فلذاك قلت صلوه تمجيداً بنا ريجي ففي دمه الزكي ورث السما

وهي طويلة ٠ ومن فكاهاته قوله يهجو بعض الشوَيعرين الذين يسرقون ابياتاً وقصائد قديمة وينسبونها لنفسهم :

اصبح الشعر كالشعير مقاماً لا بل الشعر منهُ ارخص قيمه
غير من قد غدا بذا الدهر ينفي حقَّ ما فيهِ من لآلي نظيمه
حيثما قد غدت بنو الخلط تنشا فيهِ بئس المؤلفات الذميمهْ
ويحهم كيف جوَّزوا واباحوا هتك ما فيهِ من عروضٍ سليمهْ
يا لهم من فواجرٍ بغباهم والخطا غوَّروا البحور العظيمهْ
نقضوا كلَّ كامل موزونٍ ذي احتكام وعوَّجوا مستقيمهْ
افسدوا جوهر البسيط وفيهِ ركَّبوا اقبح الصفات الذميمهْ
قلَّ ان ينقذ الخفيفَ فرارٌ منهم او تقي السريعَ هزيمهْ
ضعضعوا الوافرَ المديد وأمست بينهم حالة الطويل مشومهْ
كلهم كالذئاب قوم لصوص يستحلّون سرقةً محرومهْ
قاتل الله مثلهم من يسطو بافتراء على البيوت القديمه
كم بهم ابكمٌ يقلّد قساً فيه قد كانت الفصاحة شيمه
بل وكم بينهم ترى مهذاراً فاتحاً شدقهُ كشدق جهيمه
حرفة الشعر يا عبادُ توفّت فاسكبوا فوقها الدموع الحميمه
عظمها في التراب ما زال يشدو: يعلم الله انني مظلومهْ

ومن موشحاتهِ ما قالهُ في مدينة طرابلس ومدح اهلها :

بأبي عهدُ التهاني والصفا زمنٌ مرَّ بطرَبْلُسِ
يا هنا عيش رغيدٍ سلفا لي بذاك المعلم المؤتنسِ

دور

حبَّذا الفيحاءُ اهنا كلِّ نادْ والحمى المعمورُ والركن الحصينْ
كتب السعدُ عليها يا عبادْ ادخلوها بسلام آمنينْ
بلدةٌ طيّبةٌ خير البلادْ والمقام المشتهى للناظرينْ
اهلها قوم لطافٌ ظرفا نعمَ انجالُ كرام الانفسِ

ما لهم عيبٌ سوى حسنِ الوفا والخلوصِ المتناءِي عن دنسِ

وهو موشَّح طويل . ومما امتاز به الترك مداعباتهُ واقواله الفكاهيَّة . فمن ذلك ما رويناهُ له في كتابنا علم الادب (١ : ٢٤٩) مناظرة بين الزيت واللحم . ومنها قولهُ يطلب من الامير بشير شروالًا وعمامة :

وشروالٍ شكا عتقًا وامسى يراودني العتاقَ فما عتقتُ
وكم قد قال لي بالله قِلْني وهَبْني كنت عبدًا . وانطلقتُ
اما تدري باني صرتُ هرمًا وزاد عليَّ اني قد فُتقتُ
فدَعْني حيث قلَّ النفع مني وعاد من المحال ولو رُتقتُ
ولا تعبأ بتقليبي لاني بعمرِ ابيك نُوحًا قد لحقتُ
ولم يبرح يجدّد كل يومٍ عليَّ النعي حتى قد قلقتُ
وقلت لهُ عُتقت اليوم مني لاني في سواك قد اعتلقتُ
فأشعرتِ العمامةُ في مقالي لهُ فاستحسنت ما قد نطقتُ
فراحت وهي تشدو فوق رأسي ليَ البشرى إذن وانا عُتِقْتُ

ومما نُقش من شعره في معاهد بيت الدين التي ابتناها الامير بشير قولهُ وهو مرقوم فوق باب احدى القاعات :

دارُ المعالي التي فاقت مفاخرها والعزُّ قد زادها حسنًا وجمَّلها
تزيَّنت في معاني الظرف واكتملتْ بقاعةٍ ارّخوها لا نظير لها

وكتب على دائرها هذه الابيات استغاثة الى العزَّة الالهيَّة على لسان الامير :

اللهُ اللهُ انت الواحدُ الاحدُ والسرمدُ الازليُّ الدائمُ الصمدُ
حيٌّ عزيزٌ قديرٌ خالقٌ ولهُ من في السماء ومن في ارضنا سُجُدُ
لا ربَّ غيرك يا مولايَ نعبدهُ ولا سواك الهًا فيهِ نعتقدُ
انت الغنا والمُنا والفوزُ اجمعهُ والعونُ والغوثُ والانجاء والمددُ
ما لي سواك غياثٌ لي أطالبهُ كلَّا وغيرك ما لي في الورى سندُ
خوَّلتني يا الهي خير تسمية فكنت فيك بشيرًا انت لي عضُدُ
فاللبُّ والروح كلٌّ فيك مشهدهُ والفكرُ والقلبُ والاحشاء والكبدُ
بل كل جارحةٍ مني وعاطفةٍ تصبو اليك ونار الحبّ تتّقدُ
اذ انت علّة نفسي انت مركزها يا ربَّ كلٍّ ومنهُ الخلق قد وُجدوا
يا رب أُمنن بعفوٍ منك لي كرمًا واغفر جنايات عبدٍ منك يرتمدُ
وجُدْ بخاتمةٍ يا رب يعقبها ذاك النعيم السعيد الثابت الوَطِدُ

هذا ولو شئنا لاتسعنا في ذكر منظومات نيقولا الترك وانما نجتزىء بهذا القليل وفيهِ كفاية لتعريف طريقة ذلك الشاعر الذي كان من اعظم السُّعاة في النهضة الادبية في مبادئ القرن التاسع عشر وديوانهُ يستحق الطبع لان صاحبهُ الاديب نظمهُ في وقت كسدت فيهِ تجارة الآداب فيشفع في ضعف بعض اقسامهِ الكثير من محاسنهِ (١

وممن نلحقهم بهولاء الشعراء بعض من معاصريهم النصارى ابقوا لنا آثاراً من فضلهم. وهي تآليف ومصنفات ادبية غير الشعر واوّلهم جرمانوس آدم الحلبي الذي لعب دوراً مهمّاً في تاريخ زمانهِ. ولد في حلب في اواسط القرن الثامن عشر ونشأ فيها ثم تخرَّج في الآداب الكنسيَّة والعلوم الدينيَّة والمعارف الدنيويَّة في رومية العظمى حتى اصاب منها قسماً صالحاً. وقد عُهدت اليهِ لمقدرتهِ عدّة مهمّات قام بها قياماً حسناً وتولى القضاء مدَّة في لبنان ولهُ تآليف متعددة تشهد لهُ بقوة الفهم واتساع المعارف واكثرها دينيَّة منها كتاب ايضاح اعتقاد الآباء القديسين في الحاد المشاقين وهو سفرٌ كبير وايضاح البراهين اليقينيَّة على حقيقة الامانة الارثذكسيَّة وكتاب المجامع لكباسوطيوس (Cabassut) ولهُ تآليف اخرى شطٌ فيها عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية لكنَّهُ رذلها قبل وفاته نادماً. وتوفي في زوق ميكائيل في ١٠ ت ٢ سنة ١٨٠٩

وفي عهدهِ عُرف زاهب من ملّته الروم الكاثوليك وعاش بعدهُ ردهاً من الدهر اعني بهِ سابا بن نقولا الكاتب الشهير بالخوري سابا. كان مولدهُ في حمص وكان ابوهُ من الروم الارثذكس وأُمهُ كاثوليكية فنشأ على دين والدهِ مدَّةً ثمَّ اهمل نفسهُ لملاذ الدنيا حتى ارعوى وارتدَّ الى الله بعد ان رأى عيشة الرهبان الكاثوليك في دير المخلّص فتبعهم في دينهم ثمَّ في طريقتهم النسكيَّة واخذ العلوم العربيَّة عن الشيخين يوسف الحرّ من علماء جباع واحمد البزري. وبعد كهنوتهِ سافر الى رومية حيث اتقن العلوم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة وتعلَّم اللغات الاوربيَّة ثم رجع الى الشرق وانكبّ على الاعمال الخيرية الّا انَّ الامراض دهمتهُ فاحوجتهُ الى لزوم ديرهِ فانقطع الى التأليف وصنَّف كتباً عديدة

١) في ديوان نقولا الترك (ص ١١٣) شعرٌ في عبدالله النحّاس وفي ابنهِ نقولا الشاعر ولا نعرف شيئاً من شعر نقولا المذكور .

في اخصّ المعتقدات المسيحية اكثرها لا يزال مخطوطاً طبع منها شيئاً الاديب شاكر افندي البتلوني · ولهُ مصنّفات اخرى في معظم الابحاث الفلسفية منها رسائل في النفس وجوهرها وخواصها · ومنها كتاب في المنطق نُشر بالطبع وغير ذلك ممّا عددناه في مقالاتنا عن مخطوطات الكتبة النصارى ورُقي الى رئاسة رهبانيّتهِ العامّة نحو تسع سنوات وكانت وفاته في ايلول من السنة ١٨٢٧

المستشرقون في هذه الحقبة

وقبل ان نختم تاريخ هذا الطور الاوّل من الآداب العربيَّة في القرن المنصرم يجمل بنا ان نذكر المستشرقين الاوربيين الذين استحقُّوا ثناء الادباء بما نشروهُ من المصنَّفات العربيَّة

ومما يقال بالاجمال انّ هذه ثلاثة اعشار القرن لم يبلغ احد فيها بين الاجانب مبلغ العلّامة سلوستر دي ساسي لكنّنا نؤجّل الكلام فيهِ الى الطور التالي لانهُ فيهِ مات · وكان دي ساسي كنقطة المركز لدائرة زمانهِ يشيرون اليهِ بالبنان لتفنُّن معارفهِ بل كان منارًا يستضيء بنوره كل من اراد العلوم الشرقيَّة في فرنسة وغيرها فيقدمون باريس ليحضروا دروسهُ ويدورون في فلكهِ كالاقمار المستنيرة بهِ

وقد جاراهُ في علومهِ دون ان يبلغوا شأوهُ بعض اهل وطنهِ الذين قدمنا ذكرهم (ص ١٤) كالعلّامة دي غيني ولنغلاي ودوبرون وهربان ولكلّهم الآثار الناطقة بعلوّ علمهم وسعة معارفهم · وممّن تتلمذوا لهُ وفازوا بالشهرة في آداب العرب المسيو امابل جوردان (A. L. Jourdain) (١٧٨٨ — ١٨١٨) كتب تاريخًا للعجم وانتقد تأليف ميرخند وصنّف كتاباً في البرامكة ونقل الى الفرنسويَّة نُبذًا من تاريخ العرب عن حروب الفرنج في بلاد الشام · لكنّ هذا المستشرق مات في مُقتبل العمر

ومن تلامذة دي ساسي ايضاً في هذا الطور انطون ليونارد دي شازي (Chézy) نبغ في اللغات الشرقيَّة وكتب عدَّة مقالات في اثار العرب والعجم وغيرهم في مجلة العلماء ولهُ تاريخ العجم ومجانٍ ادبيَّة فارسيَّة ومنتخبات من كتاب عجائب المخلوقات للقزوينيّ · توفي سنة ١٨٣١ وكان مولدهُ سنة ١٧٧٣

وممّا يُذكر من حسن مساعي الفرنسويين في خدمة الآداب الشرقيَّة في ذلك العهد نشأة الجمعيَّة الاسيويَّة الباريسيَّة انشأها دي ساسي ورصفاؤهُ وتلامذته سنة

١٨٢١ ثمَّ باشروا بنشر الآثار القديمة والمقالات المستحسنة في كل فنون الشرق وآدابهِ ولغاته لا سيما اللغات الساميَّة منذ السنة ١٨٢٢ ومجلَّتهم تبرز كل سنة في مجلَّدين فيكون مجموع ما ظهر منها الى يومنا بالغاً مئتي مجلد وهي تحتوي كنوزاً ثمينة في كل اداب الشرق . وقد نشرنا في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٦١٢-٦١٩) خلاصة اخبارها بنسبة التذكار المئوي لانشائها

وحذا الانكليز حذو الفرنسويين في العام التالي سنة ١٨٢٣ فشكَّلوا ايضاً جمعية دعوها باسم جمعيَّة بريطانية العظمى وايرلندة الاسيويَّة الملكية . وكان الساعي في هذا المشروع بعض كبار الاثريين مثل كولبروك (Colebrooke) وجنستون (Johnston) وستونتن (Staunton) وڤين (Wynn) وهوغتون (Haughton) فنشروا ايضاً نشرة علميَّة (Transactions) سنة ١٨٢٤ ثم وسَّموها سنة ١٨٣٦ ودعوها مجلة لندن الاسيويَّة الملكيَّة . لكنَّ العلماء الانكليز كانوا يوجّهون اهتمامهم خصوصاً الى الهند والى لغات الهنود وآدابهم . وكذلك نشر الالمان والنمسويون مجموعات شرقية منها « معادن الشرق » للعلّامة هامّر (Hammer) و « جريدة المعارف الشرقية » التي طُبعت في بوتّنة من اعمال المانية . امَّا الجمعيَّة الاسيويَّة الالمانية فلم تُنشأ الَّا بعد ردهة من الدهر

ومن مشاهير المستشرقين في تلك الايَّام غير الفرنسويين رازموسن (Rasmussen) الدنيمركيّ (١٧٨٥-١٨٢٦) درس العلوم الشرقيَّة في باريس ثم عاد الى وطنه فتولَّى تدريس لغات الشرق في حاضرة بلادهِ كوبنهاغن . لهُ عدَّة تآليف في تواريخ العرب في الجاهليَّة نقلًا عن ابن قتيبة وابن نباتة والنويريّ مع جدول لتوفيق التاريخ الهجري والتاريخ المسيحيّ . ونقل قسماً من كتاب الف ليلة وليلة . ومن مصنفاتهِ كتاب لهُ في المعاملات التي دارت بين العرب والصقالبة في القرون الوسطى

واشتهر بين الالمان ڤلمت (Wilmet) الذي نشر معجماً عربيًّا لاتينيًّا ونقل معلَّقتي لبيد (سنة ١٨١٤) وعنترة (سنة ١٨١٦) وعلَّق عليها الحواشي الواسعة والتذييلات المهمَّة . ومنهم ايضاً كرل رودلف پيپر (C. R. S. Pieper) نقل قسماً كبيراً من مقامات الحريري الى اللاتينيَّة وحشَّى معلقة لبيد ونشر رسالتين في ما بعد الطبيعة لبهمنيار بن المرزبان . وكذلك عُرف بينهم كرل تيودور جوهنسن

(C. T. Johannsen) الذي ترجم تاريخاً لمدينة زَبيد عنوانهُ « بغية المستفيد في اخبار زبيد » ونشرهُ في بونة سنة ١٨٢٨ . وهو تاريخ حسن ألَّفهُ في غرَّة القرن العاشر للهجرة الامام سيف الاسلام ابن ذي يزن الفقيه عبد الرحمان الربيع

وكانت الدروس العربيَّة قد ضعفت قليلًا في ايطالية فانهضها احد فضلاء الاسرة السمعانيَّة نريد بهِ شمعون السمعاني الذي ولد في طرابلس ودرس في مدرسة الموارنة في رومية العظمى ثم تجوَّل مدَّة في مصر والشام لجمع المخطوطات الشرقيَّة . ولَّما كانت السنة ١٧٨٥ عهدت اليهِ كليَّة بادوا تدريس اللغات الشرقيَّة فعلَّمها الى سنة وفاتهِ في ٧ نيسان ١٨٢١ . لهُ تآليف في عرب الجاهليَّة واصلهم وتاريخهم واحوالهم في مجلَّدين ووصف الآثار الكوفيَّة في المتحف النانياني والمتحف البرجياني ومتحف السيد مينوني

وفي الوقت عينهِ اكتسب احد كهنة ايطالية المسمَّى جان برند دي روسي (di Rossy) (١٧٤٢ — ١٨٣١) شهرة واسعة في المعارف الشرقية . فانهُ كان اولًا ناظرًا على متحف مدينة تورينو ثم تولَّى تدريس اللغات الشرقيَّة في كليَّة بارما نحو خمسين سنة . ومن مشروعاتهِ الطيبة انشاؤهُ في بارما مطبعة شرقيَّة متقنة الادوات جميلة الحروف اصدرت عدَّة مطبوعات بديعة الطبع . وكان دي روسي حاذقاً في اللغة العبرانية لهُ فيها عدَّة مصنَّفات . منها وصف مكتبة واسعة كان جهزها بالتآليف النادرة والمخطوطات الجليلة ومنها تأليف في الشعر العبرانيّ . وكان يحسن العلوم العربيَّة كما يدلُّ عليهِ كتابةُ الطلياني « معجم اشهر ادباء وكتبة العرب » الذي طبعهُ سنة ١٨٠٧

الفصل الرابع

في الاداب العربية من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠

هو الطور الثاني من القرن التاسع عشر وهو يشمل عشرين سنة اصابت في مطاويها الآداب العربيَّة ترقياً مذكوراً

ومَّما امتاز بهِ هذا الطور الثاني انتشار المطابع العربيَّة في الشرق . نعم انَّ الطباعة كانت سبقت هذا العهد كما بيَّنَّا الامر في المقالات المتعدّدة التي خصصناها بهذا الفنّ في اعداد المشرق من السنين الثلاث ١٩٠٠ و١٩٠١ و١٩٠٢ . لكنَّ المطبوعات

العربيّة في الشرق كانت قليلةً لا تتجاوز بعض العشرات واكثرها دينيّة كما في مطابع حلب وبيروت والشوير. فلمّا كان القرن التاسع عشر توفّرت الادوات الطبعيّة في الشرق وقد مرّ لنا ذكر مطبعة الاستانة العليّة ومطبعة بولاق (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ١٧٤) وكلتاهما وسّعت دائرة اشغالها في هذا الطور الثاني لا سيما مطبعة بولاق التي ابرزت نحو ثلاثمائة كتاب في فنون شتّى بالعربيّة والتركيّة والفارسيّة (Journal As., 1843², 24-61) وكان اكثرها منقولًا عن الفرنسويّة في العلوم المستحدثة كالرياضيّات والطبّ والجراحة وجرّ الاثقال والفنون العسكريّة . امّا الكتب الادبيّة فكانت يسيرةً

ومن المطابع التي جدّدت حركتها في هذه المدّة مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٥٠١) فانّها بعد خمودها نحو مئة سنة عادت الى اشغالها بسعي مطران الروم الارثذكس بنيامين سنة ١٨٤٨. وفي السنة التالية انشأ في القدس بطريرك الروم كيرلُّس الثاني مطبعةً عُرفت بمطبعة القبر المقدّس اليونانية (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٧٠). ومعظم مطبوعات هاتين المطبعتين في السنين الاولى لانشائها لم تتجاوز الموادّ الدينيّة وبعض المبادئ المدرسية

وفي اثناء هذا الطور اعني من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠ استُحدثت ثلاث مطابع كبيرة اعانت على نشر آداب اللغة العربية في جهات الشام : الاولى منها مطبعة الاميركان التي نُقلت سنة ١٨٣٤ من مالطة الى بيروت واستحضرت ادوات جديدة وحروفاً مشرقة فاشتغلت مذ ذاك الوقت بطبع مؤلفات جمّة عدّدنا قسماً منها في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٥٠٤) . والثانية مطبعة الآباء الفرنسيسيّين في القدس الشريف باشرت اعمالها سنة ١٨٤٩. والثالثة مطبعتنا الكاثوليكيّة كان ظهورها سنة ١٨٤٨ فطبعت اولًا كتباً شتى على الحجر ثم طبعت على الحروف سنة ١٨٥٤ (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٦٤١ — ٦٥٦) فهذه المطابع لم تزل منذ نيّف وثمانين سنة تجاري بعضها بعضاً في ميدان الآداب كخيل السباق ولا غرو فان بواسطتها تعدّدت المنشورات وقرب جناها على ايدي الاحداث واقبل على مطالعتها العموم

ومن الاسباب التي ساعدت ايضاً في تلك المدّة على اتساع المعارف الادبيّة وارتقاء اللغة العربيّة ما أُنشئ في الشرق من المدارس بهمّة اصحاب الخير. فما عدا

المعاهد التي سبق لنا ذكرها (ص ٥ — ٦) كعين ورقة وعين تراز والشرفة ظهرت مدارس جديدة غايتها ترقية العلوم كان الفضل في انشائها الى المرسلين اللاتينيين. واوّل هذه المدارس التي فُتحت لتثقيف الوطنيين بالآداب العصريّة مدرسة عين طورا باشرت بالتعليم سنة ١٨٣٤ وقد سبق المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٥٤٨ الخ) فاتّسع في تاريخ هذه المدرسة الشهيرة ومن تخرّج فيها من الادباء فلا حاجة الى التكرار

ثم أُنشئت بعد تسع سنوات (١٨٤٣) مدرسة للآباء اليسوعيين في كسروان انشأها الاب مبارك بلانشه في غزير في الدار التي كان شيّدهـا الامير حسن شقيق الامير بشير الشهابي لسكناه. وهذه المدرسة بقيت عامرةً الى سنة ١٨٧٥ وفيها نُقلت الى بيروت فقامت عوضاً عنها مدرسة القديس يوسف الكليّة. ومن مدرسة غزير خرج رجال افاضل لا يحصى عددهم منهم بطاركة اجلّاء واساقفة مبجّلون وكهنة غيورون ووجوه وأُدباء وكتبة كانوا كلهم ولا يزال كثيرون منهم الى يومنا سنداً لكل مشروع خيري ولكل مسعىً صالح ديني او وطنيّ

وكما اهتمّ المرسلون بفتح المدارس المذكورة لم يسهوا عن تربية الاناث فبمساعيهم قدمت راهبات مار يوسف سنة ١٨٤٥ ثم راهبات المحبة سنة ١٨٤٧ واخذنَ يتفانينَ في تهذيب الفتيات في الشام وفلسطين. وبعد سنين قليلة انشأ الآباء اليسوعيُّون سنة ١٨٥٣ جمعيّة الراهبات المريمات ثم جمعيّة قلب يسوع والفئتان حازتا رضى الاساقفة والاهلين وخدمتا الوطن احسن خدمة بتهذيب البنات ثم اجتمعتا باخوية واحدة عُرفت باسم راهبات قلبي يسوع ومريم يشهد لهنّ الجميع في يومنا بالغيرة والصلاح وحسن التربية للإناث وخصوصاً في القرى المهملة. وقد احتفلن في العام الماضي بيوبيلهنّ السبعيني (اطلب المشرق ٢١ [١٩٢٣]: ٦٤١). وكذلك انتشرت راهبات الناصرة في هذه البلاد في اواسط القرن السابق وتولّين ادارة مدارس الاناث من كل طبقات الاهلين في بيروت وعكا وحيفا والناصرة وشفاعمرو فاحرزنَ لهنّ ثقة الجمهور بفضلهنّ

اما المدارس الوطنية فانها تعزّزت ايضاً في هذا الطور وزادت نموّا لاسيما مدرسة عين ورقة التي اكسبها رئيساها الاوّلان المطران خير الله اسطفان والمطران يوسف رزق الجزيني رونقاً عظيماً ماديًّا وادبيًّا. ومن اثمار هذه المدرسة حينئذٍ (سنة ١٨٤٠)

انشاء جمعية مرسلين انجيليين انتسبوا الى مار يوحنا الانجيلي وخدموا النفوس باعمال الرسالة نحو عشرين سنة ثم خلفتهم جمعية مرسلي الكرَيْم التي لا تزال حتى يومنا تفلح كرم الرب بنشاط وغيرة

وكذلك تقدّمت مدرستان أُخريان للطائفة المارونيَّة كان سبق تأسيسها في ايام السيّد البطريرك يوحنّا الحلو نريد بهما مدرسة مار يوحنا مارون كفرحي ومدرسة مار مارون الرومية . فكان الساعي بانشاء الاولى المطران جرمانوس ثابت في السنة ١٨١١ خصها بتهذيب بعض احداث بلاد جبيل والبترون وجبَّة بشراي ثم اتّسعت بعد ذلك في ايام الطيّب الذكر المطران يوسف فريفر الذي صرف المجهود في تحسينها وقد حذا حذوهُ رؤساؤها من بعدهِ لاسيما المرحوم المنسنيور بطرس ارسانيوس الذي اهتمّ كثيرًا بشؤونها ونجاحها

اما المدرسة الروميَّة فكان انشاؤها بعد ذلك سنة ١٨١٧ وكانت هذه المدرسة ديرًا فامر البطريرك يوحنا الحلو بتحويلها الى مدرسة وصادق على امرهِ آباء مجمع اللويزة في السنة التالية . ولعائلة بيت الصفير اوقاف وحقوق على مدرسة الروميَّة التي اخرجت عددًا وافرًا من افاضل الشبَّان المرشَّحين للكهنوت

ولمَّا قام السيد يوسف حبيش بطريركًا على الطائفة المارونيَّة وجَّه عنايته الى فتح المدارس لابناء رعاياهُ ففُتحت اولًا مدرسة مار يوحنا مارون في صربا ١٨٢٧ وكان الساعي بذلك المطران يوحنا العضم . ثم فُتحت مدرسة اخرى في عرمون وكان هناك لبيت آصاف دير للراهبات على اسم مار عبدا هرهريا فحوَّلوهُ بعد امر السيد البطريرك الى مدرسة عموميَّة لتعليم شبَّان الطائفة المارونيَّة العلوم الاكليريكية وصار لهذه المدرسة نجاحٌ عظيم خرج منها اولو فضل ممَّن تفتخر بهم ملَّتهم حتى اليوم كالسادة الاجلاء المطران يوسف النجم والمطران اسطفان عوَّاد والمطران بولس عوَّاد والمطران بولس مسعد وكالخوارنة العاملين العاملين يوسف العلم وكيل مطران بيروت سابقًا ويوحنا رعد الغزيري الشاعر والخوري عبدالله العقيقي وغيرهم وقد اغتالت المنيَّة اكثرهم

وبعد ذلك بسنتين (١٨٣٢) سعى البطريرك الموما اليهِ بتحويل دير مار سركيس وباخوس في ريفون الى مدرسة لابناء الطائفة كمدرسة مار عبدا فلبَّى دعوتـه ولاة الدير من بيت مبارك بكل طيبة قلب وافرغ رئيس الدير القس فرنسيس مبارك كنانة

الجهد في تحقيق تلك الاماني فلم تذهب مساعيه ادراج الرياح كما ترى في تاريخ هذا الدير الذي سبق بتسطير اخباره حضرة الاب ابراهيم حرفوش في المشرق (٨ [١٩٠٥]: ٦٧ و٣٤٧ و٧٥٣)

وفي هذا الوقت ايضاً كان المرسلون الاميركان لا يألون جهداً في فتح المدارس اخصُّها في بيروت واعبَيْه فنجحوا فيها بعض النجاح لولا انهم ناقضوا فيها تعاليم الدين الكاثوليكي ليبثُّوا في قلوب الاحداث زوان التساهل الديني ا

ولا نعرف للروم مدرسةً ذات شأن في كل النصف الاوّل من القرن التاسع عشر وكانت ناشئتهم غالباً تتردَّد على مدارس المرسلين الكاثوليك او البروتستان الاميركان

وكانت الدروس العربية في كل هذه المدارس راقيةً فانَّ منها خرج معظم الذين اشتهروا بالكتابة في القرن المنصرم وخصوصاً بين النصارى كما نبيّن ذلك

اما المدارس خارجاً عن الشام فكانت في الغالب مقصورة على مبادئ القراءة والكتابة واصول الحساب واللغة

بعض مشاهير المسلمين في هذا الطور الثاني

نقدّم عليهم الشيخ حسن بن محمّد العطّار كان اهلهُ من المغرب فانتقلوا الى مصر وولد حسن في القاهرة سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) وكان ابوهُ عطّاراً استخدم ابنهُ اولًا في شؤونهِ ثم رأى منهُ رغبةً في العلوم فساعدهُ على تحصيلها فاجتهد الولد في احراز المعارف واخذ عن كبار مشايخ الازهر كالشيخ الامير والشيخ الصبّان وغيرهما حتى نال منها قسماً كبيراً . وفي ايّامهِ جاء الفرنسويون الى مصر فاتّصل بأناس منهم فأفادوه بعض الفنون الشائعة في بلادهم وافادهم درس اللغة العربيّة . ثمَّ ارتحل الى الشام واقام مدّة في دمشق وممّا نظمهُ حينئذٍ قولهُ في منتزهات دمشق :

بوادي دمشق الشام جُز بي اخا البسط	وعرّج على باب السلام ولا تُخطِ
ولا تبكِ ما يُبكي امرء القيس حوملًا	ولا منزلًا اودى بمنعرَج السقطِ
فانَّ على باب السلام من البها	ملابسَ حسنٍ قد حُفظنَ من العطّ
هنالك تلقى ما يروقك منظرًا	ويُسلي عن الاخدان والصُحب والرهط
عرائس اشجارٍ اذا الريح هزّها	تميلُ سكارى وهي تخطر في مرطِ
كساها الحيا اثوابَ خَطْرٍ فدُثّرت	بنور شعاع الشمس والزهر كالقُرطِ

وتجوّل هذا الشيخ حسن في بلاد كثيرة يفيد ويستفيد حتى كرَّ راجعاً الى

مصر فاقرّ له علماؤها بالسبق فتولّى التدريس في الازهر وقُلّد رئاسة هذه المدرسة بعد الشيخ محمّد العروسي سنة ١٢٤٦ فدبّرها احسن تدبير الى سنة وفاته في ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٥٠ ه (١٨٣٥م). وكان محمّد علي باشا خديوي مصر يجلّهُ ويكرمهُ. وقد خلّف عدّة تآليف في الاصول والنحو والبيان والمنطق والطب. ولهُ كتاب في الانشاء والمراسلات تكرّر طبعهُ في مصر. وكان هذا الشيخ عالماً بالفلكيّات له في ذلك رسالة في كيفيّة العمل بالاسطرلاب والرُّبعَين المقنطر والمجيَّب والبسائط. وكان يُحسن عمل المَزاول الليليّة والنهاريّة. وقد اشتهر ايضاً الشيخ العطّار بفنون الادب والشعر. وممّا يروى عنهُ انهُ لمّا عاد من سياحتهِ في بلاد الشرق رافق امام زمانهِ في العلوم الادبيّة السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشّاب فكانا يبيتان معاً ويتنادمان ويتجاذبان اطراف الكلام فيجولان في كل فنّ من الفنون الادبيّة والتواريخ والمحاضرات واستمرّت صحبتهما وتزايدت على طول الايّام مودّتهما الى ان توفي الخشّاب فاشتغل الشيخ العطار بالتأليف الى موتهِ. ولهُ شعر رائق جُمع في ديوانهِ فمن ذلك ما رواه لهُ الجبرتي (٤ : ٢٣٣) في تاريخهِ يرثي الشيخ محمّد الدسوقيّ المتوفى سنة ١٢٣٠ ه (١٨١٥ م)

احاديث دهرٍ قد ألمّ فاوجعا وحلّ بنادي جمعنا فتصدّعا
لقد صال فينا البينُ اعظم صولةٍ فلم يُخلِ من وقع المصيبة موضعا
وجاءت خطوبُ الدهر تترى فكلّما مضى حادثٌ يُعقِبهُ آخرُ مسرعا

وهي طويلة قال في ختامها :

سعى في اكتساب الحمد طولَ حياتهِ ولم تره في غير ذلك قد سعى
ولم تُلههِ الدنيا بزخرفِ صورةٍ عن العلم كيما ان تَغُرَّ وتَخدعا
لقد صرف الاوقات في العلم والتقى فما أن لها يا صاحِ امس مضيّعا
فقدناهُ لكنْ نفعُهُ الدهرَ دائمٌ وما مات من ابقى علوماً لمن وعى
فجوزيَ بالحُسنى وتُوّج بالرضا وقوبل بالاكرام ممّن لهُ دعا

وممن مدحوا الشيخ حسن العطار المعلم بطرس كرامة اللبناني فقال فيهِ لما قابلهُ في مصر :

قد كنتُ اسمعُ عنكم كلَّ نادرةٍ حتّى رأيتك يا سؤلي ويا أربي
واللهِ ما سمعتْ اذني بما نظرتْ لديك عيناي من فضلٍ ومن ادبِ

وقام بعد الحسن العطّار في رتبتهِ البرهان القويسني فتقلّد مشيخة الازهر اربع

سنوات وتوفي سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) وكان مكفوف البصر عالمًا لهُ تآليف فقهيَّة قال فيهِ احد شعراء زمانهِ يوم ولي رئاسة الازهر معترفًا بسلفهِ :

ولئن مضى حسَنُ العلوم لربهِ   فلقد اتى حسنٌ وأحسنُ من حسنْ
انت المقدَّم رتبةً ورئاسةً   وديانةً مَن ذا الذي ساواك منْ

واشتهر بالآداب احد تلامذة الشيخ حسن العطَّار وهو الشيخ حسن قويدر . ولد بمصر سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩) وكان اصل اجداده من المغرب ثمَّ انتقلوا الى مدينة الخليل وتناسلوا بها ثمَّ انتقل قويدر والد المترجم الى القاهرة وفيها ولد ابنهُ الحسن . فلما نشأ اخذ عن شيوخ زمانهِ وخصوصًا عن الشيخ حسن العطَّار . ولم يزل يتقدَّم في العلوم حتى نال فيها شهرة عظيمة وكان مع ذلك يشتغل بالتجارة ويعامل اهل الشام ومن تآليفهِ شرحهُ المطوَّل على منظومة استاذهِ حسن العطَّار في النحو وكان قرَّظها بقولهِ :

منظومة الفاضل العطَّار قد عبقتْ   منها القلوبُ بريًّا نكهةٍ عطرهْ
لو لم تكن روضةً في النحو يانعةً   لما جنى الفكرُ منها هذه الثمرهْ
في ظلمة الجهل لو ابدت محاسنها   والليلُ داجٍ أرانا وجهُها قمرهْ
قالوا جواهرُ لفظٍ قلت لا عجبٌ   بحر البلاغة قد أدَّى لنا دُررهْ

ومن تآليفهِ ايضاً كتاب انشاء ومراسلات ورسائل ادبيَّة . ومنها كتاب نيل الارب في مثلثات العرب وهي مزدوجات ضمَّنها الالفاظ المثلَّثة الحركات المختلفة المعاني كمثلَّثات قطرب . وهذا التأليف طُبع في مصر وقد نقلهُ الى الايطاليَّة المستشرق الاديب المرحوم اريك فيتُّو قنصل ايطالية في بيروت سابقاً وطبعهُ في المطبعة الادبيَّة . وممَّا يروى من شعره قولهُ :

يا طالب النصح خذ مني محبَّرةً   تُلقى اليها على الرغم المقاليدُ
مروسةٌ من بنات الفكر قد كُسيت   ملاحةً ولها في الخدّ توريدُ
كانها وهي بالامثال ناطقةٌ   طيرٌ لهُ في حميم القلب تغريدُ
احفظ لسانك من لَغْطٍ ومن غلطٍ   كل البلاء بهذا العضو مرصودُ
واحذر من الناس لا تركن الى احدٍ   فالخلّ في مثل هذا العصر مفقودُ
بواطنُ الناس في هذا الدهر قد فسدت   فالشرّ طبع لهم والخير تقليدُ

توفي الشيخ حسن قويدر سنة ١٢٦٢ (١٨٤٦م) وقيل انهُ في مرضه الاخير وضع

تاريخ وفاته بهذه العبارة «رحمة الله على حسن قويدر» مجموع حروفها سنة وفاته

اما بلاد الشام فاشتهر من علمائها الشيخ محمّد امين بن عمر بن عبد العزيز كان مولدهُ بدمشق سنة ١١٩٨هـ وفيها توفي سنة ١٢٥٢ (١٧٨٣ — ١٨٣٦) برّز بين ادباء وطنهِ واخذ عنهُ علماء الشام وقد صنّف في الفقه والتصوّف نحو خمسين كتاباً

واشهر منهُ في الشعر الشيخ امين بن خالد آغا ابن عبد الرزّاق اغا الجندي ولد في حمص من أُسرة شريفة سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) ونشأ بها في طلب العلوم ثم رحل الى دمشق فامتاز بين اقرانه وشهد لهُ الشيخ عمر اليافي بالتقدُّم في الشعر . وقد نظم القصائد المفيدة والقدود الفريدة وتفنن خصوصاً في الموشحات والمواليات والاناشيد الموقعة على آلات الطرب وقد غلبت عليه الغزليات . وكان سيّال القلم طيّب القريحة لم يمض عليهِ يوم خالياً من نظم او نثر يحرّر في يوم ما يعجز عنهُ غيره في شهر . وكان اهل زمانهِ يتزاحمون على مسامرتهِ ويتنافسون في مواصلتهِ ويتغنّون باقوالهِ . وكانت وفاتهُ في حمص سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١ م) ودُفن قريباً من الجامع الخالديّ . ولهُ ديوان طبع قسماً منهُ بالمطبعة السليميّة الاديبُ سليم المدوّر سنة ١٨٧٠ ثمّ طبعهُ سنة ١٨٨٣ اصحاب المكتبة العموميّة واضافوا اليهِ قسماً آخر لم يُنشر بالطبع . ومنذ عهد قريب تولى نشر ديوان الجندي بتمامهِ الاديب محمد افندي كمال بكداش في مطبعة المعارف وهذه الطبعة لا تقل عن ٤٥٠ صفحة ولشهرة هذا الديوان نكتفي بذكر بعض مقاطيع قليلة منهُ تدلُّ على اساليب ناظمهِ فمن ذلك قولهُ من الرجز يصف فيهِ الربيع في ربوة دمشق :

يا حبّذا الربوةُ من دمشقِ بالفضل حازت قصبات السبقِ
كم أطلعت بها يدُ الربيعِ من كل معنًى زائدٍ بديعِ
وفتّح الوردُ الكفوفَ اذ دعا داعي الصباح للهنا ورجّعا
وفكّكت انامل النسيمِ ازرارَ زهر الرّند والشميمِ
وسقطت خواتم الازهارِ من فنن الاغصان كالدراري
وانتضى سيفُ البرق في اوراقِ مذ شام خيل الريح في سباقِ
ما بكت السماء بالغمامِ الّا وصار الزهر في ابتسامِ

ومن محاسن شعره قولهُ مشطرًا ومخمساً لابيات عرضها عليهِ عبدالله بك العظم في خصام النرجس والورد :

قال لي النرجس حرّضْ لقتال الورد وادحضْ
قلتُ هذا قول مبغضْ ايها النرجسُ أعرضْ
لن تنال الافضليَّهْ
عُد الى الحقّ سريعا ولقولي كن سميعا
وأنثنِ للورد مطيعا وسل الزهر جميعا
عن معانيك الرديَّهْ
قد جهلتَ الامر قدما وادَّعيت الحسن ظلما
فبمن اولاك حلما لا تكن للورد خصما
فهو مرفوعُ المزيَّهْ
كنت قبل العجب آمنْ وبظلّ الروض كامنْ
فاذا حرَّكتَ ساكنْ انت ربُّ السيف لكنْ
شوكة الورد قويَّهْ

ومن قولهِ في هجوِ قوم:

وقومٍ غضَّ طرفُ الدهر عنهم	فآذَوا كلَّ ذي عرض وعادوا
وفي ظلمات ظلم الحق ساروا	فسادوا عند ما ظهر الفسادُ
وان قالوا سنرجع حيث كنَّا	مخافةَ ان تذمَّهم العبادُ
وان طلبوا رجوعهم عنادًا	فما صدقوا ولو رُدُّوا لعادوا

ومن مديحهِ قولهُ في وزير من قصيدة طويلة:

رفيع مقامٍ شامخ العز ضيغمٌ	غياث مغيث من ظلوم اذا اعتدى
يلوذ بهِ الجاني فيبلغُ مأمنًا	ولو كان اهل الخافقين لهُ عِدى
ومن أمَّهُ من فاقةٍ عاد مثريًا	ويرجع بعد الذل والفقر مسعدا
اذا الدهر يومًا جارَ في حكمهِ بنا	على الدهر ارسلناهُ سهمًا مسدَّدا
فتىً جمع الدنيا مع الدين والحجى	مع الحزم والراي السديد مع الهدى
فاضحى لارباب الحوائج كعبةً	وكهفًا لمن يأوي اليهِ وموردا
لعمرُك هذا المجدُ والحسب الذي	سما فوق اركان المجرَّة مُصعدا
ستغدو لنا للعزّ دارًا وللورى	بحضرتهِ باب المراد ومقصدا
ويبقى لسان الحال فيهِ مؤرخًا	لك الحمد ياذا الجود لا زال سرمدا (١٢٦٢)

وقال سنة ١٢٥٦ مؤرخًا وفاة السيّد نجل الكيلاني:

في جنّة الفردوس حلَّ كأنهُ	بدرٌ ولكن نورهُ لا يُحجَبُ
قد صاد كل المكرمات وكيف لا	يصطادها وابوهُ باز اشهبُ
بوفاتهِ التاريخ انبا قائلًا	هذا النجيب وليس منهُ أنجبُ (١٢٥٦)

وقد اشتهر في هذا الطور الثاني غير الذين ذكرناهم من أُدباء المسلمين لا سيما في العراق وحلب الّا ان اخبارهم قليلة متضعضعة ولعل بعض القرّاء يرشدونا اليها فيُحيوا ذكر اولئك الافاضل الذين درست آثارهم مع قرب عهدهم منّا

مشاهير النصارى في هذا الطور

امّا ادباء النصارى الذين عُرفوا في تلك المدّة بخدمة الآداب العربيّة فها نحن نذكر من اتّصلت بهِ معرفتنا القاصرة مع الرجاء بان يزيدنا اهل الفضل فيهم علماً ويسدُّوا ما يجدون من الخلل

استحقّ الذكر بآدابهِ وشعرهِ في الطور الذي نحن في صددهِ نصرالله الطرابلسي وهو ابن فتح الله بن بشارة الطرابلسي ولد في حلب سنة ١٧٧٠ وكان من اسرة كريمة من طائفة الروم الكاثوليك . ولما انتقل ابوه الى طرابلس عُرف بالطرابلسي وكان عريقاً بالدين تحمّل في سبيل ايمانهِ محناً عديدة فنشأ ابنهُ على مثالهِ تقيّاً ورعاً وكان مع ذلك متوقد الذهن محبًّا للعلوم ولدرس اللغات فتعلم منها التركية والفرنسويّة وكان مبرزًا في الآداب العربيّة مطّلعاً على فنونها يُحسن فيها الكتابة وينظم الشعر الحسن . وقد ابقى من نظمهِ مآثر عديدة اكثرها متفرق لو جُمعت حصل منها ديوان كامل . وسكن نصرالله الشهباء زمناً طويلاً ومدح وجوه اهلها من مسلمين ونصارى لا سيما نقيبها محمّد الجابري وقد أثبت المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٤٠٠) قصيدتهُ فيهِ ومدح كذلك الشيخ هاشم افندي الكلاسي فقال يخاطبهُ :

لمّا سمعتُ مسلسَلًا عن سادةٍ ... انّ الفصاحة كلها في هاشمِ
يمّمتُ ناديهُ والقيت العصا ... ورجوتُ يقبلني ولو كالخادمِ
ان جاد لي بالارتضا فبفضلهِ ... او لم يجُدْ فلسوءْ حظ الناظمِ

فاجابهُ الشيخ جواباً لطيفاً فكتب اليهِ :

نسيمُ لطفك صابني بألوكةٍ ... صيبَ المحبّ الى محبّ قادمِ
فبمثله اهلًا وسهلًا مرحباً ... بمسامرٍ ومنادمٍ لا خادمِ

وكذلك كان الطرابلسي يتردّد على عبدالله الدلّال (١ ويجتمع عندهُ بادباء زمانهِ

١) اطلب السحر الحلال في شعر الدلّال للاديب قسطاكي افندي الحمصي (ف٢ — ٣)

وقد قال في احدهم فتح الله المرّاش قصيدةً يشكر لهُ جميل اياديه ويهنئهُ بعقد زواجه سنة ١٨٢١ هذا مطلعها :

يا للهوى مــا للعَذُول ومالي انا قد رضيتُ بكافةِ الاحوالِ

ومنها في المدح :

النَّدبُ عبد الله فخر اوانــهِ نسل الاماجد من بني الدلّالِ
فهو الذي يشري الثناء بمالــهِ ويزيّن الاقــوال بالافعــالِ
وهو الذي لم يخلُ قطُّ زمانــهُ من غوث ملهوف وبذلِ نوالِ

وختمها بهذا التاريخ :

واسلم بتاريخي ودمتَ بجنّــهِ متمتعــاً باللطف والاقبــالِ

وممّن مدحهم في حلب القنصلُ الفرنسوي يوسف لويس روشّو وكان محبّاً للاداب الشرقية (اطلب المشرق ٣ : ٣٩٨ و ٤٠٠) . وبايعازهِ نظم الطرابلسي تهنئة لنابوليون الاول بمولد نجلهِ الذي دعاهُ ملك رومية سنة ١٨١١ فقال قصيدتهُ التي اولها (المشرق ٣ : ٣٩٩)

ورد البشيرُ فسرَّتِ الاقطارُ وترنَّمت في دوحها الاطيارُ

ومن حسن نظمهِ ابياتهُ في شهداء الكثلكة في حلب سنة ١٨١٨ (المشرق ٣ : ٤٠٢ و ١٠ : ٦٦٤) فقال :

دعِ العين مني تذرف الدمع عَنْدما فحقٌّ لهذا الخطب ان تَسكُبَ الدما

وفيها ابيات صادرة عن قلب طافح حبّاً متفطر حزناً . وفي السنة ١٨٢٨ تحامــل على الطرابلسي اعداؤهُ فاحبَّ الخروج من وطنهِ ورحل الى مصر فلقي الحظوى عند بني البحري من اعيان طائفتهِ وكانوا متقدّمين في الدواوين فخدمهم وتقرَّب بواسطتهم في المناصب وقد مرَّت لنا اقوالهُ فيهم (المشرق ٣ : ٤٠٣ — ٤٠٥) وتوصل بهــم الى محمّد علي باشا خديوي مصر فمدحهُ ونال من احسانهِ . وكانت وفــاة الطرابلسي نحو السنة ١٨٤٠ وشعرهُ منسجم بايغ المعاني كثير التفنن اوردنا منهُ ما اوقفنا عليهِ بعض ادباء الشهباء في اغراض شتى (المشرق ٣ : ٤٠٦ — ٤٠٨) وممّا وجدنا لــهُ بعد ذلك مراسلات شعر ونثر دارت بينه وبين شاعر عصرهِ بطرس كرامة فقال هذا في مدحه :

نشأت بنصر الله روحُ صبابةٍ وأبى الفؤادُ لغيرها ان يذكرا
فرعٌ لفتح الله اينع مخصباً بحديقة الآداب شبَّ واثمرا
فاليك يُعزى الفضل يا من لاح لي منهُ الودادُ ولن يراني مبصرا
قرباً لدار كنتَ فيها وحبَّذا م الشهباء نصر الله فيها قد سرى

فاجابهُ نصرالله الطرابلسيّ من قصيدة ذكر فيها طرابلس بلدهُ وكان بطرس كرامة حينئذٍ ساكناً فيها :

فسقى طرابُلُس السحابُ ولثَّهُ سحَّا وهتاناً يُرى متفجّرا
بلدٌ كأنَّ الدهرَ عاندني بها فاستاقَ اهلي قبل أن اطأ الثرى
لو فاخرت كلَّ البلاد بانَّ فيها بطرساً لكفى بذلك مفخرا
الاوحد الندب القريد الامجد السَّنَدُس المجيد الالمعي الانورا

الى ان ختمها بقولهِ :

واسلم ودم بمهابةٍ وكرامةٍ يا موردًا لم ارضَ عنهُ مصدرا
ما سارت الركبان تقطع فدفداً من عاشق ولهانَ تهدي الاسطرا

ولهُ ايضاً من قصيدة اخرى في مدحهِ وذكر بعض رسائلهِ :

شرَّفتنا بكتاب منك قد بزغتْ انوارهُ فهدينا واقتبسناها
رسالة أُرسلت للقلب تحفظهُ فما لهُ ضاع مني عند مسراها
فيا لها دررًا من يمّكم قذفت سفن العلوم فباسم الله مجراها
ومرتُ ألثمها شوقاً وانشدها توقاً لمن ببديع النظم وشّاها
ان أسعد اللهُ عيني ساعةً ورأت محياكمُ وجلت بالنور مرآها
غفرت للدهر ما ابداهُ من نكدٍ ونلت من واردات العمر اهناها

وكتب لهُ ايضاً :

لقد حكم الزمان عليَّ حق اراني في هواك كما تراني
وان بعدت ديارك عن دياري فشخصك ليس يبرح عن عياني
لقد امكنتُ حبَّك من فؤادي مكاناً ليس يعرفهُ جناني
كانك قد ختمت على ضميري فغيرك لا يمرُّ على لساني

ونلحق هنا بذكر نصر الله الطرابلسيّ ترجمة صديقهِ بطرس كرامة الذي لعب في ترقي الآداب العربيَّة دورًا مهمًّا قبل اواسط القرن التاسع عشر . وهو بطرس بن ابراهيم كرامة الحمصيّ من اعيان حمص وكان اهلهُ من الروم الملكيين يدينون بالدين الكاثوليكي وهم متحمّسون فيهِ . وكان عمُّهُ ارميا كرامة من الرهبان الشويريين ثم

انتقل الى الرهبنة المخلصية. وفي سنة ١٧٦٣ سُقِف على قلاية دمشق فعُرف بطران دمشق وقاسى محناً عديدة من قبل المنفصلين الى ان توفي سنة ١٧٩٥ في دير المخلص. وكان عالمًا غيورًا على ايمانهِ ولهُ مصنَّفات دينيَّة. اما بطرس كرامة ابن اخيهِ فولد في حمص سنة ١٧٧٤ وفيها نشأ وتأدَّب ولهُ في مديح اعيانها اقوال حسنة كقولهِ في الشيخ عبد الرحمان الكزبري:

يا حبَّذا حمصُ التي ضاءت باعظم نيّرِ
قد اشرق البدرُ بها وبشمس فضل الكزبري

وقال مرتجلًا في الشيخ امين الجندي الذي مرَّ لنا ذكرهُ:

لله نعمَ مهذبٍ باهت بهِ حمص ونور الفضل عنهُ يبينُ
لا غرو اذ فاق البديعَ انهُ شهمٌ على درر البديع امينُ

ثم قويت شوكة اعداء الملكيين فألحقوا بالكاثوليك ضروب الاذى فاضطرَّ بطرس ان يهجر حمص مع والدهِ متوجهَين الى عكار. وقصد بطرس علي باشا الاسعد حاكم تلك البلاد وامتدحهُ بالقصائد الحسنة فاجازهُ ورغب فيهِ لبراعتهِ ودرايتهِ وحسن ادبهِ وخطّهِ فاستخدمهُ في ديوانهِ ورفع منزلتهُ ورتّب لهُ ما يقوم بكفايتهِ فاقام في خدمتهِ نحو خمس سنوات ثم ذهب الى لبنان واستوطن الجبل. واتصل بطرس بنقولا الترك شاعر الامير بشير فقرَّبهُ من مولاه سنة ١٨١٣ وحظي بطرس عند الامير الشهابي لِما رآهُ فيهِ من العلم وجودة العقل وفصاحة اللسان مع معرفتهِ للغة التركية فعهد اليهِ بتهذيب ولدهِ الامير امين واتخذهُ كاتبًا للامور الاجنبيَّة لجودة انشائهِ. ثمَّ جملهُ الامير بشير معتمدًا من قبلهِ في التوّجه الى عكّا فقام باوامر سيدهِ احسن قيام وحصَّل عندهُ مالًا كثيرًا وجاهاً وافرًا وكان الامير يحبهُ ويثق بهِ في جميع اعمالهِ ويعتمد عليهِ في مهمات اشغالهِ ولا ينهي امرًا الّا برأيهِ. ثم سلّمهُ الامير تنظيم خزينة الحكومة فوضع لها قوانين استحسنها الشهابيّ وامر باجرائها ثم رفع منزلتهُ وعملهُ كتخداه فصارت امور لبنان كلها في يدهِ يدبّرها احسن تدبير. فوقعت هيبتهُ في القلوب وعظمت حرمتهُ وانتشرت شهرتهُ وعلت كلمتهُ وابتنى دارًا كبيرةً في دير القمر واقتنى املاكاً واسعة وكان قد سافر بمعية الامير بشير الى الديار المصريَّة واجتمع بفضلائها وعلمائها ولهُ معهم مفاوضات ومباحثات يطول شرحها. ثم رجع الى بيت الدين وبقي

في خدمة الامير بشير الى ان خرج الامير بشير من بلاد سورية سنة ١٨٤٠ فسافر معهُ الى مالطة ثم الى الاستانة العليّة ونال من الالتفات وعلوّ المقام لدى رجال الدولة ما لم يزل مشهوراً. ثم عُين ترجماناً للمابين الهمايوني فاظهر من البراعة ما اكسبهُ ثقة الجميع. وبقي في تتميم اعباء وظيفتهِ الى سنة وفاته في الاستانة العليّة (١٨٥١) ولهُ مع اكابر رجالها مساجلات لطيفة وكان بليغ الكلام. وقد ارّخ وفاتهُ الشيخ ناصيف اليازجي فقال:

مضى من كان اذكى من اياس بحكمتهِ واشهر من زُهَيرِ
فقل يا ابن الكرامة قرَّ عيناً لبطرس ارّخوهُ ختام خيرِ

ولبطرس كرامة مكاتبات ورسائل غير مطبوعة. ولهُ ديوان شعر كبير طبعهُ الاديب سليم بك ناصيف سنة ١٨٩٨ في المطبعة الادبية وقد وجدنا لهذا الشاعر آثاراً اخرى في بيت حفيدهِ الفاضل. منها مساجلاته مع ادباء الاستانة ومنظوماتهُ في العاصمة وبعضها لم يُطبع في ديوانهِ. وشعر بطرس كرامة اضبط واطبع من شعر آل عصرهِ تراهُ يتصرَّف في المعاني ويخرجها على ابدع طريقة فمن قولهِ في الوصف ذكرهُ لباقة زهر اهداهُ ايّاها الامير بشير:

وباقةِ زهرٍ من مليكٍ مُنحتها معطَّرة الارواح مثل ثنائهِ
فابيضُها يحكي جميع خصالهِ واصفرها يحكي نضار عطائهِ
وازرقها عين تشاهد فضلهُ واحمرها يحكي دماء عدائهِ

ولهُ تخميس وتشطير على هذه الابيات. ومما لم نجدهُ في ديوانهِ قصيدة قالها مستغفراً عمَّا فرط منهُ ومناقشاً اهل المادة في آرائهم الفاسدة. وسماها «درَّة القريض وشفاء المريض» اوَّلها:

نأى الوجد عن قلبي وأعيت بلابلُهْ وبانت أُبانات الهوى وبلابلُهْ

وهي طويلة نختار منها احسن ابياتها:

ألا أندب زماناً قد صرفتَ بكورهُ خلالًا وقد مرَّت سفاهاً اصائلُهْ
فكم خضتَ بحر المعصيات مُفاخراً وقصَّرتَ رجلًا عن ثواب تقابلُهْ
فيا من وعدت التائبين برحمةٍ وعفوٍ وإن ذنبٌ تطاول طائلُهْ
ألا اغفر لعبد اثخنتهُ مآثمٌ ومن جملة الاوزار قد كلَّ كاهلُهْ
فان كان ذنبي قد تعاظم جرمهُ فعفوك بحرٌ ليس يُدركُ ساحلُهْ

ومنها في الردّ على اهل الكفر:

فيا ويح قوم قد عصوك واركنوا ... الى الكفر فانصبّت عليهم غوائلهُ
فان اثبتوا فعل الطباعِ بيعضها ... فبدأ هذا الفعل من هو فاعلهُ
ويلزمُ من هذا دوامُ تسلسلٍ ... وهذا محال لا تصحُّ مسائلهُ
فمَن سيَّر الاقمار في درجاتها ... على دورانٍ لا تخلُّ منازلهُ
فان كان جذباً مثلما قدَّروا فمن ... ترى اوجد الجذب الذي هو كافلهُ
فيا ملحدًا امسى على الله منكرًا ... فانَّ وجود الله صحَّت دلائلهُ
فمن ابدع الكونَ البديعَ نظامُهُ ... ومن ذا على ترتيبه الدهر شاملهُ
فان قلتَ انَّ الكائنات تمدُّها ... فقد لزم الدورُ الذي شاع باطلُهُ
فويلك مَن انشا العناصر اوَّلاً ... وصيَّرها في مركز لا يزايلُهُ
وان قلت اجزاء قديمٌ وجودها ... تحرّكها بالطبع كانت تعاملهُ
فوافقَ وقتًا انها قد تألفت ... على هيأة منها نشا الكون كاملهُ
فما هذه الاجزاء هل بارادة ... تحركها ام جاء بالقسر عاملهُ
فان كان قسرًا فهي تحتاج موجدًا ... يقيم بها فعلًا سريًّا تفاعلهُ
وان كان عن قصدٍ اتى فهي ربكم ... تقاسمهُ عالي الوجود وسافلهُ
فما قلتموه باطلٌ وكلامكم ... محالٌ ومهزولٌ النتيجة حاصلهُ
فيا واحدًا يا قادرًا . يا مهيمنًا ... تنزَّه عن ضدٍّ وندٍّ يماثلهُ
فهبني عفوًا . من لدنك ومنَّة ... وحسنَ ختام ارتجيهِ وآملهُ

ولهُ تاريخ لوفاة الامير بشير حُفر على ضريحهِ في كنيسة الارمن الكاثوليك اثبتناه في المشرق (٧[١٩٠٤]: ١٧٦٣). ومما روينا ايضاً لبطرس كرامة في مجلّتنا (٢[١٨٩٩]: ١١١٦ — ١١١٧) مناظرة فكاهية بين نارجيلة وماسورة

ومن مديحهِ الذي لم يُذكر في الديوان قولهُ يثني على البطريرك الجليل مكسيموس مظلوم:

قُمْ للهناء فنسمةُ السَّحَر ... جاءت بريَّا عاطر الزَّهَرِ
واغنم من العيش الهنيّ طربًا ... عين السرور لمشرقِ الاثرِ
وارشف كؤوس الصفو من زمنٍ ... راقت مشاربهُ من الكَدَرِ
ودَعِ النسيبَ وكن على غزلٍ ... بمديح بدر السادة الغُرَرِ
مكسيموس الحبر المقدس مَن ... اضحى طَهُور القول والفكرِ
البطريرك المرتقي . شرفًا ... بفضائلٍ يشرقنَ كالقمرِ

ومنها:

باتت على أمنٍ رعيتهُ ولطالما باتت على حذرِ
هو غوث ذي فقر وذي نعمٍ بذلاً ورشدًا غير منحصرِ
بشرى لنا آلَ الكنيسة قد نلنا بهِ مجدًا على وزرِ
يا بدرَ علمٍ ضاء مشتهرًا شرقًا وغربًا ايَّ مشتهرِ
اوضحت من نهج الهدى غُرَرًا للناس كانت قبل في غَرَرِ
ورفعت شعبًا كان منخفضًا ما بين ناب الليثِ والظُفُرِ
فاسلَمْ لنا مولًى وخير ابٍ يرعى البنين بصادقِ النظرِ

ومما جاء لهُ في التهاني قولهُ في ولادة الامير عبدالله الشهابي حفيد الامير بشير سنة ١٨٣٥ (لم تذكر في ديوانهِ) :

يا سيّد العدل والاحسان زد شرفًا قد زادك اللهُ انعامًا وتأييدا
لك الهنا بحفيد كان مولدهُ للسعد عزًّا وللعلياء توليدا
فلا يزال هو المحمود سؤددهُ مدى الزمان سعيد الدهر مسعودا
ولا تزال لك الايَّام ضاحكةً والعيش رغدًا وطيب العمر ممدودا

وقال في فضائل الصيد (وليست هي في ديوانهِ) :

للصيد فضلٌ في ثمانٍ فوائدٍ من بعدها عشرٌ تشيد اساسَهْ
سلوان همٍّ ثم تركُ بطالةٍ وفصاحة التعبير ثمَّ سياسَهْ
ونزاهةٌ ولذاذةٌ ونشاطةٌ ويقاظةٌ ونباهةٌ وحماسَه
ورياضةُ الاجسام ثمَّ طلاقة م الابصار ثمَّ حلاوةٌ وفراسَه
وصيانةٌ ثمَّ اكتساب معيشةٍ والعلم بالطرقاتِ ثمَّ رئاسهْ

ومما لم نجدهُ ايضًا في ديوانهِ قولهُ في صَقْرٍ كان قد فُقد ثم رجع :

تلالا البِشْرُ وانجلتِ الغياهبْ وحلَّ الانس في من كان غائبْ
وردَّ الله ضائعنا علينا وأولانا بذا نِعَمَ المواهبْ
وجاء الصَّقرُ المفقود منّا يرفرف بالغنائم والمكاسبْ
فكم طبنا بعودتهِ قلوبًا وبتنا في الحديث لهُ نعاتبْ
وانشدناهُ ما لكَ غبتَ عنّا لعلَّك كنت انت منّا هاربْ
فردَّ مجاوبًا ردًّا جميلًا معاذ الله لي من ذي الشوائبْ
وحاشا أن اخون العهد يومًا ولي مولًى جليل القدر صاحبْ
ولكن قد شعرتُ بنعمِ صقرٍ اعزِّ الآلِ منّي والاقاربْ
أتى ضيفًا جديدًا في حمانا نزيلًا والنزيلُ قِراهُ واجبْ
فسرتُ لملتقاهُ وجئتُ معهُ امينًا مطمئن القلب طائبْ

لكنّي قد قضيتُ بذا هموماً وكم قاسيتُ فيهِ من متاعبْ
وكم شاهدتُ اهوالاً ثقالاً واحوالاً رأيتُ بها العجائبْ
وكم كابدتُ في سفري عناءً وكم فيه دهتني من مصائبْ
وكم لي وقعةٌ مع كلّ حرّ وكم لاقيت شاهيناً محاربْ
وكم صادفت فيهِ من عُقاب شديد البأس قنّاص معاقبْ
وكم من كاسر من كلّ طير تعمّدني وجاءَ عليَّ واثبْ
هناكَ أبنت بطشي واقتداري وابديتُ العجائب والغرائبْ
وجرّدتُ الاظافرَ من اكفّ مظفَّرة وانشبتُ المخالبْ
وبتُّ بكل ذي جنحينِ اسطو واقهر كلَّ خطّافٍ مضاربْ
فكم شتّتُّ منهم في الفيافي وكم بدّدتُ منهم في السباسبْ
وكم غادرتهم في الجوّ فوضى وكم الحيتُ منهم في الشعائبْ
ولم انفكُّ اسقيهم كؤوساً اجرّعهم بها مرَّ المشاربْ
ولم اترك بهم الّا فراخاً يتامى في العشوش غدتْ نوادبْ
فمثلي من يخوض وغى المنايا ويغزو هكذا ويعودُ غالبْ
انا المجلوبُ من كرمٍ ولكن بعون الله للاجرار جالبْ
فهنُّوا سيدي بي في مقال يؤرّخ جاءَ بعد العزّ كاسبْ

وقال لمّا دخل الاستانة العليّة مع الامير بشير يمدح دار السعادة:

مذ جئتُ إسلَمْبولَ شِمتُ محاسنًا دعت المحاسنَ كلّهنَّ الى الورا
فلوكها شرفُ الملوك وربعها خير الربوع واهلها نعم الورى

ولولا خوف الاطالة لروينا غير هذا من قصائدهِ التي لم تُطبع في ديوانهِ. فاكتفينا بما سبق. ويحسنُ بنا القول في ختام كلامنا عن بطرس كرامة انّ ادباء عصرهِ عرفوا فضلهُ واقرُّوا بهِ الّا البعض منهم. ولما قال قصيدتهُ الخاليّة الشهيرة التي التزم ان تكون قافيتها في جميع ابياتها لفظة « الخال » في معانيها المختلفة واوّلها:

أمن خدّها الورديّ أفتنَكَ الخالُ فسحَّ من الاجفان مدمعك الخالُ

أُعجب بها كثيرون وأثنوا على قائلها. وعارضها الشيخ عبد الباقي العمري الموصلي بقصيدة كتبها في بغداد يمدح فيها داود باشا هذا مطلعها:

الى الروم اصبو كلّما اومض الخالُ فاسكبُ دمعًا دون تسكابهِ الخالُ

وغيرهم خمّسوها كالشيخ ابرهيم يحيي العاملي والشيخ موسى بن شريف الشهدي

وتخميسها في ديوان كرامة (ص ٣٥١ — ٣٦٠) . لكنّ الشيخ صالح التميميّ لم يستحسنها وكتب في تزييفها قصيدتهُ التي اوّلها :

عهدناك تغفو عن مسيءٍ تعذّرا ألا فاعفُنا عن ردّ شعرٍ تنصّرا

فاستاء من ذلك الادباء وكتب الشيخ رشيد الدحداح في قمطرة الطوامير انتقادًا مطوّلًا على صاحبها . واجاب عليها بطرس كرامة بقصيدةٍ من البحر والرويّ اوّلها :

لكل امرئٍ شانٌ تبارك من يرى وخصّ بما قد شاء كلًّا من الورى

وقد وقفنا على قصيدة للسيد عبد الجليل البصري حكم فيها بين الشاعرين فقال قصيدتهُ التي افتتحها بقولهِ :

حكمتُ وحكمي الحقّ ناءٍ عن المرا بأنّ التميميّ الاديبَ تمشّرا
بذمّ قوافٍ في تمامِ جناسها وذلك نوعٌ في البديع تقرّرا

ومنها في مدح بعض شعراء العرب :

وقد قام من اهل الكتابين زمرةٌ جنوا من رياض الشعر ما كان مزهرا
فمن كابن مبادٍ يجاري مهلهلًا وكان مسيحيًّا تقدّم يشكرا
وكالاخطل المعروف شاعر تغلبٍ يسوق بهِ القسّيس في الدير كالفرا (١

ومنها في مدح بطرس كرامة :

كما شاع حرّ الشعر في بيت بطرسٍ وفي نجلهِ بين المداين والقرى
فصيحٌ رقى اوج البلاغة يافعًا فاشعارهُ حلّى بها ربع قيصرا
لافكارهِ غرُّ القوافي قريبةٌ وعن غيرهِ بُعد الثريّا من الثرى
اتى منهُ نظمٌ هدَّ حجة صالحٍ وان كان في المنظوم قدمًا تصدّرا
وقد كان لي من صالحٍ خيرُ صحبةٍ وعند اتباع الحقّ ما زلت اجدرا
لكلٍّ تراني قد قضيت بحقهِ واسألُ بارينا الهدى والتبصُّرا

وقد مدح صاحبَ الترجمة قومٌ من ادباء زمانهِ كنصرالله الطرابلسيّ الذي سبق شيء من قولهِ . وكنقولا الترك وفي ديوانهِ عدّة قصائد يطرئ فيها محامد بطرس كرامة فيجيبهُ هذا باقوالٍ مستطرفة تجدها في مجموع نظمه (ص ١٠٩ — ١٢٨)

وممن مدحهُ ايضاً عبدُ الحميد البغداديّ الشهير بابن الصباغ فكتب اليهِ رسالة اوّلها :

---

١) راجع مجاني الأدب (٤ : ٢٩٥) وهناك اشارة الى هذه القصّة .

تبسَّم الزهر عن انفاسكم فسَرى من طيب ذكركمُ نشرٌ فاحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نرَكم والاذن تعشق قبل العين احيانا

فأجابهُ بطرس كرامة بكتابٍ افتتحهُ بقوله :

عشقتكمُ من قبل لقياكمُ وكلٌّ ممشوق بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنها من نورها تُعرفُ

وكذلك مدحهُ رزق الله حسُّون الحلبي وسنذكر قوله في ترجمتهِ. واشهر منهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ فانَّ ديوانهُ الذي طُبع لاوَّل مرَّة في بيروت مصدَّر بقصيدة في مدح كرامة يقول فيها :

رجلٌ وماذا وصفهُ وكفى بهِ رجلٌ لهُ المفهومُ والمنطوقُ
حسنُ المعاني والبيان كلامهُ جزلٌ ومعناهُ الرقيقُ دقيقُ

ومنها :

يا بطرسُ الشهمُ الكريم مكانهُ وبنانهُ ولسانهُ المنطيقُ
انت الكرامةُ وابنها وابٌ لها نسبٌ كريمٌ في الكرامِ عريقُ

ولهُ ايضاً يعزيهِ بولدَيهِ وهو رثاء بليغ اوَّلهُ :

أجمَلَ الله في فؤادك صبرا وجزى منةً واعظمَ أجرا

ومنها :

لو يُفيد البكاء والنوحُ شيئاً لأقامت خنساء قبلكَ صَخْرا
يطمع المرء في الحياة طويلًا وهو في الموت او عن الموت فترا
وحياة الدنيا تسمَّى حياةً مثلما تُحسَبُ المجرَّةُ نهرا
هكذا الناسُ عاثرٌ إثرَ كابٍ كلُّ عينٍ بدمعة البين شكرى
يا طريق البقا اذا كنت خيرًا فلك الفضلُ كلَّما زدت قصرا
وحياة الدنيا طريق الى الاخرى فخذ زادها الذي هو أحرى

وممن اشتهروا في هذا الطور الثاني اديب عاجلتهُ المنيَّة فقصفت غصن حياتهِ النضير وهو احد نصارى صيداء جرجس بن يوسف بن الياس ابيلا الذي روينا شيئاً من شعره في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٢٩٣ — ٢٦٥) وكان هذا الشابّ مكفوفاً وهو شديد الذكاء والنباهة يقول الشعر عن سليقةٍ وكانت وفاتهُ سنة ١٨٤٩ وهو في الربيع السابع عشر من عمره فأرخهُ بطرس كرامة بقولهِ :

بُنيٌّ لآبيلا بذا اللحد قد ثوى بصيرٌ ذكيٌّ شاعرٌ متفرّسُ

ولمَّا قضى نودي تنعَّمْ مؤرخاً وتِلْ فرحاً في جنَّةِ الخلدِ جرجسُ

وكان جرجس ابيلا مع صغرسنهِ يكاتب ادباء عصرهِ فكاتب ابراهيم بك ابن بطرس كرامه فقال فيهِ ولعلَّ هذه الابيات لاخيهِ رفول :

لقد احييتَ فضل ابيك حتَّى بفضلكَ فقتَ والدك الحكيما
ابوك لقد بنى لك بيت مجدٍ وزدتَ بمجدك المجد القديما

وكاتبَ الشيخ ناصيف اليازجيَّ فمدحهُ بقصيدةٍ لم نعرف غير مطلعها :

بحور الهوى قد اغرقت كلَّ سابحٍ وقصَّر في ميدانهِ كلُّ راجحِ

فكان جواب الشيخ بقصيدةٍ قال فيها مثنياً على الشاعر الحدث :

هويتُ الذي اعطى العلوم فؤادهُ فاعطَتْهُ منها سانحاً بعد بارحِ
تيمَّنتُ باسم الخضر فيهِ وطالما ترى المرءَ لايخلو اسمهُ من لوائحِ
وجدتُ بهِ بل منهُ متعة سامعٍ ويا حبَّذا لو نلتُ رؤيةَ لامحِ
به حسدتْ عيناي أُذني وربَّما تُخصَّص بالاقبال بعضُ الجوارحِ

ومن حسن اقوال جرجس ابيلا قصيدة مدح بها السيّد عبدالله الجابري منها :

دُعيتَ بعبدالله انك سيّد وبالجابريّ الالمعيّ لتجبرا
واصبحَ ذو فضلٍ بحبّك عائماً واضحى بك الشاني الظلومُ مكدَّرا
حويتَ التقى والجدَّ والمجد والهدى عن الجدّ حتى طبت فرعاً وعنصرا

ولهُ من قصيدة مدح فيها الشيخ يوسف الاسير :

فيوسف يُدعى بالاسير لأنَّهُ يسيرُ اليهِ العلم في غاية الأَسْرِ
فهيمٌ كريمٌ فاضلٌ متأدّبٌ قد استوجب المدح الجزيل مع الشكرِ
قد استوجبَ العزَّ الرفيع مع الثنا لكثرة ما فيهِ من الشيم الغُرِّ

وكان لجرجس ابيلا اخٌ اكبر منهُ يُدعى رفُّول وكان ايضاً مكفوفاً كشقيقهِ ويشبهُهُ في توقُّد ذهنهِ وفصاحة لسانهِ لكنهُ عاش دهراً بعدهُ وكان يقول مثلهُ الشعر وقد عارضهما اهل زمانهما بابي العلاء المعرّي فقيل انهما حكياهُ في ادبهِ كما حكياهُ بفقد بصرهِ . وتأدبَ على رفول بعض الادباء فاشتهروا بعدهُ بالكتابة منهم فقيد الادب نقولا بك توما المحامي الشهير المتوفى في مصر السنة ١٩٠٨ . ومن شعر رفول ابيات نجت من ايدي الضياع اثبتناها في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٢٦١) منها قصيدة قالها في احد الادباء اوَّلها :

يا نسيم الصبح خُذْ عني السلامْ نحو قومٍ هيَّجوا فيَّ هيامْ .

ومن اقوالهِ في الشوق الى بعض الاحباب:

أخبرِ الاحبابَ عني انني بعدَ بُعدي منهمْ ذقتُ الندمْ
طيفهم ان بعدوا عن مقلتي لم يفارقها دواماً وهي لمْ . .
فعسى احظى برؤياهم وبي رمقٌ كي اشتفي من ذا الالمْ
وعلى الله اتكالي فالذي يُخلصُ الآمالَ فيهِ لم يُضَمْ

وفي هذا العهد كان ايضاً الشماس حنا الاروني المعروف بالقزّي وزَي كان يقول الشعر الحسن بالمواضيع الدينيَّة لكن اكثرهُ قد فُقد. ومما سلم منهُ تخميسهُ لقصيدة الطيّب الذكر المطران جرمانوس فرحات في مريم العذراء .وقد عثرنا على نسختين من هذا التخميس احداهما عند الرهبان الموارنة البلديين قال في مطلعه:

كلّ النبيّين الذين تقدَّموا في مدح سيدةِ الانام تكلَّموا
فلذا يُناديها الفؤادُ المغرمُ لو كان للافلاك نطقٌ او فمُ
لترنَّموا بمديحكِ يا مريمُ

وفي هذا الزمان عينهِ كان في الاستانة شاعر آخر من طائفة السريان الكاثوليك اسمهُ فيليب باسيل بنَّاء وكان اصلهُ من حلب واستوطن دار السلطنة وعُرف بادبهِ وحسن نظمهِ فمن ذلك عدَّة قصائد قالها ولم يبق منها الَّا ثلث طُبعت في برسلو من حواضر المانية مع ترجمتها الى الالمانيَّة سنة ١٨٤٤ الواحدة منها قالها في السلطان الغازي عبد المجيد. والثانية مدح فيها البرنس دي جوانفيل وكان اظهر مروءة عظيمة في حريق بُليت بهِ بعض احياء استنبول. وقال الثالثة في مدح غليوم الرابع ملك بروسيا. اماَّ سنة وفاتهِ فمجهولة

وكذلك نجهل تاريخ شاعر آخر مدحهُ نيقولا الترك وهو نيقولا النحاس نكتفي بتدوين اسمهِ رجاء ان يستدلّ احد القراء على مآثره

وممَّن نختم بذكره هؤلاء الكتبة والشعراء لهمَّتهِ وخدمتهِ للاداب الدينيَّة بطريرك الملَّة السريانيَّة اغناطيوس بطرس جروه اشتغل بتعريب عدَّة تآليف دينيَّة اخصها مختصر اللاهوت النظري والادبي لتوما دي شرم وكتاب الحياة الالهيَّة للاب نيرمبرغ اليسوعي ولدينا منهُ كتاب مواعظ وكتب ترجمة عمهِ البطريرك ميخائيل جروه اوَّل بطاركة السريان الكاثوليك بعد انفصالهم النهائي عن اليعاقبة وكانت وفاته سنة ١٨٦١ في

١٢ ت ١ وعارضهُ في هذه التعريبات معاصره ُ ووطنيُّه السيد ابراهيم كوبلي مطران الارمن في حلب فعرَّب كتاب الحق القانوني وبعض التآليف الروحيَّة (المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٤٢٠) كانت وفاتهُ سنة ١٨٣١ شهيد محبَّتهِ في خدمة رعيَّتهِ

*

دعنا الان ننتقل الى ذكر شيء من الحركة العلميَّة التي استجدَّت في هذا الطور بين الاوربيين فحملتهم على طلب الآداب العربيَّة واحراز فوائدها. ومن اقوى البواعث التي ساعدت علماء اوربَّا على بلوغ هذه الغاية تشكيل جمعيات علميَّة اسيويَّة يعقد اصحابها جلسات قانونية وينشرون الابحاث المختلفة في كل فروع العلوم الشرقيَّة. وكانت الجمعية الاسيوية الفرنسوية تتقدَّم ما سواها في هذا السباق الشريف فبلغت في ذلك الطور الثاني مقاماً عالياً كما تشهد عليهِ منشوراتها المتعدّدة. وكذلك الجمعية الاسيوية الانكليزية تجاري شقيقتها في همتها وان كان نظرها منصرفاً بالخصوص الى الهند والشرق الاقصى. ومما استؤنف من هذه الجمعيَّات الجمعيَّة الاسيويَّة البنغاليَّة التي باشرت سنة ١٨٣٢ نشر مجلة كالمجلات الاسيوية الاوربيَّة وهي لا تزال الى يومنا تواصل اعمالها بنشاط

وفي هذا الزمان نشأت في المانية نهضة محمودة لدرس العلوم الشرقيَّة ولاسيا العربية. فاجتمع قوم من اصحاب الجدّ والعمل اخصهم ايڤلد (Ewald) وغابلنتس (v. d. Gabelentz) وكوسغرتن (Kosegarten) وروديغر (Roediger) وجعلوا ينشرون مجلّة لمعرفة الشرق (Zeitsch f. d. Kunde d. Morgenlandes) تجد فيها مقالات عديدة في التاريخ والاداب العربية. وما لبثت جمعيَّة اخرى اوسع نطاقاً واوفى علماً ان ظهرت في المانية باسم الجمعيَّة الاسيويَّة الالمانية كان اول ظهورها سنة ١٨٤٥ ونشرت مجلتها (ZDMG) سنة ١٨٤٧ فخدمت مذ ذاك الحين الاداب الشرقية خدماً لا تُنسى ومجموع هذه النشرة يُعدّ اليوم كخزانة كتب واسعة تحتوي طُرَفاً جليلة من سائر فنون الشرق ومعارفهِ. وقد احتفلت هذه الجمعيَّة سنة ١٩٠٧ بيوبيلها الخمسينيّ وناهيك بذلك شاهدًا على ثباتها وترقي اعمالها

اما الذين اشتهروا بين المستشرقين بتآليفهم العربية فليس منهم احد نال فخراً كالعلامة البارون دي ساسي (Baron S. de Sacy) فانَّ هذا الرجل العظيم فضلًا

عن علمهِ العجيب بلغات الشرق بعث في قلوب آل عصرهِ روح الغيرة والهمَّة فكان كمنار استضاء بهِ طلبة العلوم الشرقية في كل انحاء البلاد وكالقطب دارت حولهُ كل مساعيهم في استخراج كنوز آداب الشرق

ولد دي ساسي في باريس في ١١ ايلول سنة ١٧٥٨ وفيها توفي في ٢١ شباط سنة ١٨٣٨ . ما كاد هذا يميط عنهُ التمائم حتى نبغ في المعارف ولاسيما في درس اللغات ولم يكتفِ بالالسنة الاوربيَّة بل طلب لغات الشرق فاخذ منها شيئاً من علماء زمانهِ منهم الراهب البندكتي الشهير دون برترو (Dom Berthereau) فتعلَّم اولاً العبرانيَّة ثمَّ السريانيَّة والكلدانيَّة والسامريَّة ثمَّ العربيَّة ثمَّ الفارسيَّة والتركية وكان يعرف اكثر هذه اللغات معرفة جيّدة كما يلوح من منشوراتهِ وتآليفهِ لكنهُ كان يُحكم آداب اللغتين العربيَّة والفارسيَّة حتى سبق في معرفتهما علماء زمانهِ شرقاً وغرباً . ولو عدَّدنا كل ما قام بهِ هذا الهمام من المشروعات في تعزيز العلوم الشرقية من تعليم وكتابة وانشاء مجلّات وادارة دوائر علمية وتنظيم مكاتب لاتَّسع بنا الكلام كثيراً . وحسبنا ان نقول انهُ نشر نيفاً ومئتي تأليف في كل علوم الشرق ولغاتهِ وكثير من هذه المصنفات كبير الحجم واسع المادَّة فنذكر منها غراماطيقهُ العربي في مجلدين كبيرين ومنتخباتهِ العربية في ثلاثة مجلدات وطرائفهُ اللغويَّة في مجلد كبير وتاريخهُ لعرب الجاهليَّة وتعريف ديانة الدروز في مجلدين واول طبعة لكتاب كليلة ودمنة ومقامات الحريري مع شروح مستوفية بالعربية في مجلدين ورحلة عبد اللطيف البغدادي الى مصر . فترى من هذه القائمة ما للبارون دي ساسي من الفضل العميم وكان مع علمهِ كثير الدين حريصاً على كل وصايا الكنيسة متبعاً لتعاليمها

ومات قبل دي ساسي رجلٌ آخر حظي شهرة بمنشوراتهِ عن علوم العرب الفلكية وهو جان جاك عمانويل سيديليو (J.-J. E. Sédillot) ولد سنة ١٧٧٧ ودرَس في مكتب اللغات الشرقية ثمَّ انقطع الى درس النجوم فنقل الى الافرنسية كتاب الآلات الفلكيَّة المسمَّى جامع المبادئ والغايات لابي الحسن عليّ المراكشي وتآليف شتَّى لابن يونس ولابي الوفاء وكتب عدَّة مقالات في تاريخ الشرق وعلومهِ الرياضيَّة . كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٣ . وسيأتي ذكر ولدهِ في محلّهِ

وزاد عن سيديليو شهرةً مستشرق افرنسي آخر كوسان دي پرسفال (J.-J. A.

(Caussin de Perceval كان مولدهُ سنة ١٧٥٩ وتوفي سنة ١٨٣٥ . تولى نظارة المخطوطات الشرقيّة في باريس وعلّم اللغة العربية في مكتبها الملكي وألّف كتباً عديدة في آداب العرب وتاريخهم منها المعلّقات السبع وكتاب الزيج الكبير الحاكمي لابي الحسن علي ابن يونس الفلكي وكتاب الصور السماويّة للشيخ عبد الرحمن الصوفي ونقل الكتابين الى الافرنسيّة وطبع ايضاً مقامات الحريري وامثال لقمان وملحقاً على كتاب الف ليلة وليلة في مجلدين وتاريخ صقليّة في عهد الاسلام للنويري وخلّف ابناً اشتهر مثلهُ في معرفة احوال العرب سنذكرهُ

ومن تلامذة دي ساسي الذين توفاهم الله في هذا الزمن جوبار (Pierre Amédée Jaubert) كان درس اللغات الشرقيّة في باريس ورافق نابوليون الاوّل في رحلتهِ الى مصر بصفة ترجمان ثمَّ تجوّل في انحاء ارمينية والعجم وكتب اخبار رحلتهِ وعلّم في عاصمة فرنسة اللغتين التركية والفارسية وصنّف فيهما كتباً وكان يُحسن العربية وهو الذي نقل جغرافية الشريف الادريسي (نزهة المشتاق) الى الافرنسية في مجلّدين طُبعا في باريس سنة ١٨٣٦ — ١٨٤٠ وترجم ايضاً كتاب تاريخ غانة . توفي سنة ١٨٤٧

وممّن تخرَّجوا ايضاً على العلّامة دي ساسي جان همبرت (J. Humbert) كان مولدهُ في جنيفة عاصمة سويسرة سنة ١٧٩٢ وفيها درّس اللغات الشرقية بعد ان تلقّنها في باريس . وكان عالماً باللغة العربيّة ولهُ فيها بعض آثار مشكورة منها منتخبات شعريّة مع ترجمتها الى الافرنسية وعدّة كتب مدرسية لدرس العربية صنفها في اللاتينية والافرنسية ومنها مقالات انتقاديّة ونظريّة في علوم العرب ولغتهم . توفي همبرت سنة ١٨٥١

وازهر في هذا الزمان بعض المستشرقين الالمان منهم ارنست فردريك روزنمولر (E. F. M. Rosemüller) من اساتذة اللغات الشرقية البارعين مات سنة ١٨٣٥ وكان مولده سنة ١٧٦٨ . اخذ العلوم الدينية عن ابيهِ احد زعماء مذهب البروتستانت ثم درس في ليبسيك اللغات الشرقية ولمّا اتقنها صار احد اساتذتها ولهُ مطبوعات متعدّدة تدلّ على براعتهِ في معرفة اللغة العربية منها غراماطيق عربيّ في اللاتينية ومنها مقتطفات في ثلاثة اجزاء مع ترجمتها الى اللاتينية وكذلك نقل اليها معلّقة زهير وبعض مقامات

الحريري وطرفاً من امثال الميداني . لكنَّ معظم كتاباته كانت في تفسير الاسفار المقدَّسة توفي في ليبسيك سنة ١٨٣٥

وفي سنة وفاة روزنمولر ١٨٣٥ توفي وطنيُّهُ الشهير كلابروث (H. G. de Klaproth) ولد في برلين من اسرة شريفة سنة ١٧٨٣ وكان ابوهُ احد علماء الطبيعة المعدودين وآثر ابنُهُ درس اللغات الشرقية ورحل الى روسية لهذه الغاية وتجوَّل في اقطار اوربَّة ثمَّ عاد الى وطنه فقلَّدتهُ الحكومة تدريس العلوم الشرقية فقام بمهنته احسن قيام . وهو ممَّن سعوا في مقابلة لغات آسيا وبيان ائتلافها فألَّف في ذلك كتاباً كبيراً (Asia Polyglotta) ولهُ كتاب اخر في الاصول الساميَّة وقد صنَّف تآليف غيرها في معظم لغات الشرق وفي تاريخ أُممه وآدابها . وبرَّز خصوصاً في اللغات التترية والكرجية

واشتهر في زمانه المعلم هابخت (C. M. Habicht) ولد في برسلو سنة ١٧٧٥ وتوفي سنة ١٨٣٩ جاء باريس في عهد دي ساسي ودرس عليه وعلى الاب رافائيل المصري اللغة العربية ثمَّ عُهد اليه بتدريسها في بلده وقد نشر مجموعاً من الرسائل العربية المكتوبة في مراكش ومصر والشام ونقلها الى اللاتينية ثمَّ طبع نخبةً من امثال الميداني وعلَّق عليها التعليقات الحسنة وهو اول من سعى بطبع كتاب الف ليلة وليلة فباشر به سنة ١٨٢٥ وطبع منهُ ثمانية اجزاء قبل وفاته ثم انجز الباقي منهُ المعلم فلَيشر . ولهابخت ترجمة المانية لهذا الكتاب مع عالمين آخرين من تلامذته هاغن (v. d. Hagen) وشال (Schall) ولهُ ايضاً عدَّة مقالات في المجلَّات الشرقية .

ومن افاضل المستشرقين الالمان الذين فقدهم العلم في هذا الطور جزنيوس (H . W. Gesenius) ولد سنة ١٧٨٦ ومات سنة ١٨٤٢ انقطع منذ صغره الى درس اللغات السامية فبرَّز فيها وصار في بلاده اماماً يُقتدى بمثله ويؤخذ عنهُ . قيل انَّ عدد طلبة دروسه اربى في مدينة هالّ على الالف . وقد ترك آثاراً جليلة في اكثر اللغات الشرقية كالسريانية والكلدانية والفينيقية والحميريَّة والسامريَّة لكنهُ كان في العبرانية حجَّةً ولهُ المعجم الكبير في ثلاثة مجلدات لا يزال العلماء يرجعون اليه وقد طُبع الطبعات العديدة . وكان يُحسن ايضاً العربيَّة كما يظهر من مقالته في المعجمين السريانيين والعربيَّين لبَرْ علي وبَرْ بهلول ومن رسالته في اللغة المالطية

واشتهر في هذا الزمان كاتب آخر ه. بولس (H. Eb. G. Paulus) من مستشرقي الالمان درس اللغات الشرقية في كليَّة توبنغ ثمَّ في لندن وفي اكسفرد واشتهر في الدروس الكتابية وشرح الاسفار المقدسة مع كونهِ لم يعتقد بالوحي. ولهُ من الآثار كتاب مختصر باللاتينية في اصول العربية وسعى بطبع الترجمة العربية للكتب المقدَّسة التي ألَّفها سعدي الفيومي في القرن التاسع للميلاد وعلَّق عليها شروحاً. كان مولدهُ سنة ١٧٦١ ووفاتهُ سنة ١٨٥٠

وعُرف ايضاً في هذا الطور الالمانيُّ فراهن (C. M. Frhaen) ولد في روستك سنة ١٧٨٢ انتدبهُ قيصر روسيا للتعليم في كليَّة قازان وكانت وفاتهُ في بطرسبورج سنة ١٨٥١ كان من كبار المستشرقين الالمان واشتهر خصوصاً في معرفة النُّقود الشرقية القديمة ولهُ من التآليف نيف و٢٠٠ كتاب وقد نشر عدَّة مصنفات عربية ونقلها الى اللاتينيَّة اخصُّها رسالة ابن فضلان في روسيَّة واهاليا نقلها الى الالمانية واضاف اليها ما وجدهُ في كتب العرب عن قبائل روسيَّة القديمة ومنها كتاب تحفة الدهر في عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الدمشقي لم يتمّ فانجزهُ بعد وفاتهِ العلَّامة مهرن (Mehren) ومنها مقالة ابن الوردي في مصر اخذها من كتابه خريدة العجائب. ولهُ ايضاً عدَّة مقالات في النقود العربية.

اما الانكليز فعُرف منهم في هذا الزمان وليم مارسدِن (W. Marsden) كان مولدهُ في دوبلين سنة ١٧٥٤ ثمَّ رحل الى سوماترة وبقي فيها مدَّة ووضع تاريخها وكتب في اللغة الماليزيَّة واشتهر بكتاباتهِ في النقود القديمة والنقود الاسلامية وكان لهُ مكتبة شرقية كثيرة المخطوطات العربية اهداها الى خزانة المتحف البريطاني. كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٦

ولم يبلغ احد في هولندة ما بلغهُ في هذه المدة الاستاذ هماكر (H. A. Hama-ker) ولد في امستردام سنة ١٧٨٩ وتخرَّج على المستشرق فلمت (ص ٤٠٦) وتعلَّم بزمن قليل اللغات الساميَّة فضلًا عن سائر لغات اوربَّة وانتدبتهُ الحكومة الى التدريس في كليَّة ليدن فعلَّم هناك العربية والسريانية والكلدانية واحرز لهُ شهرةً قلما يبلغها العلماء وابقى آثاراً عربية متعددة منها وصفُ المخطوطات العربية في مكتبة ليدن ونشر قسماً من تآليف بعض مشاهير العرب كالواقدي والمقريزي ورسالة ابن زيدون

وتاريخ احمد ابن طولون . واشتهر كثير من تلامذته

ويذكر البلجكيّون بالفخر احد مشاهير علمائهم اوجين جاكه (Eugène Jacquet) الذي وقف حياتهُ على درس لغات الشرق وتواريخهِ ولد سنة ١٨١١ وتوفي سنة ١٨٣٨

الفصل الخامس

الآداب العربية من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠

كانت حالة الاداب العربية في هذا الطور الثالث كحالة الحدَث الذي يدخل في شبابهِ ويشعر بقوَّتهِ فيحوّل افكارهُ الى عالم العلم ومنتدى الآداب وهو الى ذلك الحدّ مشغول البال بشواغل اترابهِ الأحداث لا يجد كبير نفع بامور العقل والابحاث العلميَّة والاتساع في آداب اللغة واساليب الكتابة .

اما ما امتاز بهِ هذا الطور فانشاء الجرائد في الشرق . والظاهر انَّ اوَّل جريدة ظهرت في الممالك المحروسة انما كانت في ازمير انشأها المسيو بلاك (Al. Blacque) سنة ١٨٢٥ ودعاها بريد ازمير (Le Courrier de Smyrne) ثمَّ استدعاهُ جلالة السلطان محمود الثاني الى دار السعادة فانشأ فيها جريدة افرنسية دعاها البشير العثماني (Moniteur Ottoman,) سنة ١٨٣١ ثمَّ عقَّبها في السنة التالية بجريدة تركية تُدعى «تقويمي وقائع» لكنهُ مات بعد قليل سنة ١٨٣٦ . وانشأ السائح الانكليزي شرشل (Churchill) جريدة اخرىَ سنة ١٨٤٣ سمَّاها «جريدئي حوادث» . امَّا الصحافة العربية فنشأت اوَّلًا في مصر بطبع «الوقائع المصريَّة» التي صدرت سنة ١٨٢٨ على عهد محمَّد علي باشا فظهرت سنين عديدة . وكان ظهورها ثلاث مرَّات في الاسبوع . ثمَّ توفَّرت الجرائد في الممالك المحروسة حتى ان سالنامة سنة ١٢٦٨ (١٨٥١ — ١٨٥٢) المطبوعة في دار السلام عدَّت منها ١١ جريدة في استانة العلية و٥ في ازمير و٤ في مصر (*Cfr.* Journ. As., 1852, p. 248) اللغات في التركية

والفرنسويَّة والارمنيَّة واليونانيَّة والعبرانية والعربيـــة (١ . وفي تشرين الاوَّل من السنة ١٨٥٤ انشأ رزق الله حسُّون الحلبي اوَّل جريدة عربيَّة في دار السعادة وسمَّاها « مرآة الاحوال » ولعلَّهُ باشر طبعها في لندن وخلفتها سنة ١٨٥٧ جريدة السلطنــة لمحرّرها اسكندر افندي شلهوب . امــَّا سوريَّة فكانت اوَّل جرائدها « حديقــة الاخبار » انشأها فقيد الآداب المتوفى في ٢٦ ت ١ سنة ١٩٠٧ خليل الخوري ظهر اول اعدادها في غرَّة كانون الثاني من السنة ١٨٥٨ ولم تزل في الوجود حتى وفاة منشئها فانطفأ سراج حياتها معهُ . وفي سنة إنشاء حديقة الاخبــار ظهرت في مرسيلية جريدة « عطارد » كان يديرها المستشرق كرلتي (Carletti)

وأنشئت في اثر تلك النشرات عدَّة جرائد اخصُّها « الرائد التونسي » وهي جريدة تونس الرسميَّة سنة ١٨٦٠ . وفي تموز منها انشأ الشيخ احمد فارس الشدياق في الاستانة جريدة الجوائب فبقيت فيها الى السنة ١٨٨٤ . وفي ذلك الوقت ايضاً ظهرت في باريس جريدة البرجيس كان يحرّرها سليمان الحرائري التونسي . وعقبها في دمشق جريدة سوريَّة الرسميَّة ظهرت سنة ١٨٦٥ . ثمَّ وليها في مصر جريدة وادي النيل سنة ١٨٦٧

وفي تلك الاثناء شرع المرسلون الاميركيُّون في بيروت بتحرير جريدة دينيَّة دعوها « النشرة الشهريَّة » ثمَّ ابدلوها في غرَّة السنة ١٨٧٠ بالنشرة الاسبوعيَّــة . فكان ذلك داعياً لنشر جريدة كاثوليكية انشأها الآباء اليسوعيُّون في السنة نفسها ودعوها « المجمع الفاتيكاني » ثم عقبها « البشير » في ايلول من تلك السنة وكان اوَّلاً على قطع المجلاَّت ثم طُبع على قطع الجرائد ولم يزل في اتساع وتحسين حتى صار كما هو اليوم في جملة الصحائف الراقية يصدر ثلاث مرَّات في الاسبوع

ورأت السنة ١٨٧٠ انشاء جرائد ومجلات اخرى كالزهرة وكانت جريدة اخباريَّة

---

١) جاء في كتاب اوبيشيني (Ubicini : *Lettres sur la Turquie*) انَّ في الاستانة وحدها كانت تُنشر في السنة ١٨٥١ ١٢ جريدة ٤ افرنسية و٤ ايطالية و٣ في التركية و٢ في اليونانية والارمنية والبلغارية . وذكر بيلن (Belin) انَّ عدد جرائد الاستانة وحدها سنة ١٨٦٦ كان يبلغ ٣٦ عدداً منها سبع جرائد بالفرنسوية والالمانية والانكليزية والايطالية وفي سنة ١٨٧٦ كان عددها في دار السلطنة لا يقلّ عن ٤٧ جريدة ١٣ في التركية و٩ في الارمنية و٩ في اليونانية و٧ في الافرنسية و٢ في البلغارية و٣ في العبرانية و٣ في الانكليزية و١ في العربية

عني بنشرها الاديب يوسف الشلفون والنحلة للقس لويس صابونجي السرياني وكانت ادبيّة وعلميّة والنجاح وكانت اخباريّة سياسيّة انشأها القس المذكور مع يوسف الشلفون . ثم صارت ملكاً للمرحوم رزق الله خضرا بشراكة الطيب الذكر المطران يوسف الدبس . وفي تلك السنة ذاتها انشأ المعلم بطرس البستاني وابنهُ سليم مجلّة الجنان وجريدة الجنّة فصار لهما رواج

ومّما امتاز بهِ هذا الطور الثالث ايضاً الجمعيَّات العلميَّة في الشرق فعُقدت جمعية آسويّة (انجمن دانش) في دار السلام نُشرت قوانينها واسماء اعضائها في المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG. VI, 278-285) وكذلك اخذ العلماء المصريّون يضمّون قواهم لنشر الاداب فبهمّتهم طُبعت في بولاق تآليف معتبرة كالاغاني لابي الفرج الاصفهانيّ وامثال الميدانيّ واحياء علوم الدين للغزّاليّ والخطط للمقريزيّ

ولم تخلُ سوريّة من جمعيَّات علميّة نفعت الآداب بافكارها الراقية ومساعيها بترقية المعارف ومنشوراتها الحسنة . وكانت اوّلها جمعيّة ادبيّة سعى بعقدها بعض مشاهير لبنان في بيروت سنة ١٨٤٧ فلم تطل مدّتها . ثمّ الجمعيّة الشرقيّة التي أنشئت سنة ١٨٥٠ في دير الاباء اليسوعيين في بيروت . روى جناب يوسف افندي اليان سركيس اخبارها في (المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٣٢ — ٣٨) انتظم فيها كثير من ادباء ذلك العهد كالدكتور سوكه والطبيب ابرهيم افندي ومارون نقّاش وفرنسيس مسك وابرهيم مشاقه وطنّوس الشدياق وحبيب اليازجي

ثمّ خلفتها سنة ١٨٥٧ الجمعيّة السوريّة وضمّت اليها عدداً من الذوات كحسين افندي بيهم والامير محمّد امين والوجوه ابراهيم فخري بك وبولس دبّاس والشيخ ناصيف اليازجي والادباء بطرس البستاني وسليم رمضان وسليم شحاده والدكتور سوكه وعبد الرحيم بدران وعالي سميث وموسى يوحنا فريج وحنين الخوري ويوسف الشلفون وحبيب الجلخ . ثمّ اتسعت دائرة اعمالها ونالت من الدولة العليّة الرخصة بنشر ابحاثها فنُشرت اولاً من حين الى آخر دون وقت محدّد ثمّ طبعت قوانينها سنة ١٨٦٨ وصدرت اعمالها في كل شهر بنظام فأرّخها سليم افندي رمضان :

قلتُ للدهر والنجاحُ تبدّى قمرًا في بلادنا السوريّهْ
ايَّ يومٍ يتمُّ ذا قال ارّخ يوم فتح الجمعيّة العلميّهْ (١٢٨٤هـ)

وطُبعت هذه النشرة خمس سنوات ثمَّ عُدل عن طبعها . وقد نفعت تلك الجمعيَّة المعارف والاداب بهمَّة اعضائها الذين سنذكرهم في تواريخ وفاتهم . وكان مثلهم مؤثرًا في غيرهم لاسيما ان اصحاب الامر وعمَّال الدول العليَّة كانوا يقدّرون قدرهم وينشطون هممهم وربما شرفوا جمعياتهم الأدبية كاصحاب الدولة فؤاد باشا ويوسف كامل باشا ومصطفى فاضل باشا ومحمَّد رشدي باشا واصحاب السعادة قناصل الدول وغيرهم

. امَّا المدارس فانَّها زادت في هذا الطور ترقياً لا سيما مدارس المرسلين الكاثوليك من ذكور واناث ومدارس الاميركان لا سيما كليَّتهم التي علَّموا فيها اللغات والعلوم وكانت الدروس تلقى فيها اوَّلًا بالعربيَّة وطبعوا عدَّة كتب مدرسيَّة في ضروب العلوم كالطبيعيات والرياضيات والهيئة والكيميا والجغرافيا ثمَّ عدلوا عنها الى اللغة الانكليزيَّة لتوفُّر اسبابها لديهم

وقد أُنشئت في هذا الطور مدارس جديدة اخصُّها المكتب العسكري الذي ترقَّى بهمَّة اصحابهِ ونال الشهرة في انحاء سورية . والمدرسة الوطنيَّة التي فتحها بطرس البستاني سنة ١٨٦٣ في بيروت فجارت في تعاليمها بقيَّة مدارس المدينة بمساعي منشئها وولدهِ سليم . وفي السنة ١٨٦٤ وضع الطيب الذكر غريغوريوس يوسف بطريرك الروم الكاثوليك اساسات المدرسة البطريركية فذاعت شهرتها واقبل اليها الطلبة من الشام ومصر وقبرس وتخرَّج فيها كثيرون من الادباء فنبغوا في المعارف والآداب العربيَّة . ولم يلبث السيد البطريرك ان فتح ايضاً في عين تراز مدرسة اكليريكية لتهذيب طلبة الكهنوت . وفي السنة ١٨٦٥ انشأ الروم الارثذكس مدرسة الثلاثة الاقمار على طرز المدرسة الوطنيَّة . ومن المدارس المارونية المنشأة في ذلك الوقت مدرستان في عرمون انشأ الواحدة همام مراد سنة ١٨٦٥ وعُرفت بمدرسة مار نيقولا العريَّة والاخرى مدرسة المحبة جدَّدها الخوري ميخائيل سباط سنة ١٨٦٧

امَّا المطابع فانَّها في مدَّة العشرين السنة اصدرت عددًا لا يحصى من المطبوعات في كل الفنون سواء كان في سوريَّة او في مصر والهند . وقد ذكرنا تاريخ معظم هذه المطابع في الشرق في اعداد السنين ١٩٠٠–١٩٠٢ . ففي سنة ١٨٥٢ اخذت مطبعتنا الكاثوليكية تطبع على الحروف بعد طبعها على الحجر . ومما استجدَّ من المطابع في

هذا الزمان في بيروت المطبعة السورية التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ وقد وصفنا تاريخها وقائمة مطبوعاتها في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٩٩٨) وفي السنة التالية احدث الدكتور ابراهيم النجار مطبعةً عُرفت بعد ذلك بالمطبعة الشرقية (المشرق ٣: ١٠٣٢) . وبعدها بثلاث سنوات نال يوسف الشلفون الرخصة بفتح مطبعة دعاها المطبعة العمومية (المشرق ٣: ٩٩٩) فنشر فيها عدَّة كتب ونشرات وجرائد . ثمَّ ظهرت المطبعة المخلصيَّة سنة ١٨٦٥ فخدمت الآداب العربيَّة نحو ثماني سنوات (المشرق ٣: ١٠٣٢) وفي السنة نفسها كانت المطبعة السريانية التي نُقلت ادواتها بعد قليل الى الشرفة (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٨٩) وكذلك ظهرت وقتئذٍ المطبعة الوطنية لجرجس شاهين (المشرق ٤: ٨٦) ثمَّ انشأ جناب الاديب الفاضل خليل افندي سركيس مطبعة المعارف سنة ١٨٦٧ شركةً مع المعلم بطرس البستاني الى سنة ١٨٧٤ حيث انشأ المطبعة الادبية وكان آخر ما أُنشئَ من المطابع في هذا الزمان سنة ١٨٦٩ المطبعة اللبنانية لحنا جرجس العرزوزي (المشرق ٤: ٨٦ – ٨٧) ومطبعة الجمعيَّة الارثذكسية لجرجس يزبك التي لم تطل مدَّتها ولم تتجاوز مطبوعاتها ثلاثة او اربعة كتب دينيَّة

وفي هذا الطور نفسهِ انتشر فنّ الطباعة العربية في لبنان وكان قبلها منحصراً في مطبعة مار يوحنَّا الصابغ في الشوير اما مطبعة قزحيا فكانت حروفها سريانيَّة . واوَّل مطابع لبنان في هذا العهد مطبعة بيت الدين كان الساعي بادارتها حنَّا بك اسعد ابي صعب باشر اولًا سنة ١٨٥٣ ببعض المطبوعات الحجريَّة ثمَّ طبع على الحروف سنة ١٨٦٢ . ثمَّ ظهرت مطبعة دير طاميش سنة ١٨٥٨ فوق وادي نهر الكلب (المشرق ٤: ٤٧٣) فاشتغلت عشر سنوات . وانشأ المرحوم رومانوس يمين سنة ١٨٥٩ مطبعة اهدن فشاركهُ في العمل الخوري يوسف الدبس (المشرق ٤: ٤٧٣)

ثم ندب المرحوم داود باشا يوسف الشلفون لانشاء مطبعة لمتصرفية لبنان فانشئت المطبعة اللبنانيَّة سنة ١٨٦٣ تولى تدبيرها ملحم النجَّار ثمَّ نقلها الى دير القمر سنة ١٨٦٩ . وفي المطبعة اللبنانية طبعت جريدة لبنان الرسمية كان محرّرها حبيب افندي خالد (المشرق ٤: ٤٧٣)

اما الجهات فظهرت فيها ايضاً مطابع اخرى فانشأ المرحوم حنَّا الدوماني سنة

١٨٥٥ في دمشق مطبعة انتقلت بعد ذلك بالشراء الى حنا الحدّاد ثمّ الى محمّد افندي الحفني. ثمّ جلبت ولاية سوريّة الجليلة سنة ١٨٦٤ مطبعةً نشرت فيها جريدتها الرسمية « سورية » مع عدّة مطبوعات اخرى (المشرق ٤ : ٨٧٩) — وأنشئت في الموصل سنة ١٨٥٦ مطبعة جليلة بادارة حضرة الآباء الدومنيكان فأدّت للدين والعلم والآداب خدماً متعددة ولم تزل الى زمن الحرب جارية على خطّتها (المشرق ٥[١٩٠٢]: ٤٢٢) . وفيها انشئت ايضاً المطبعة الكلدانيَّة بهمّة الاديب الشمّاس رافائيل مازجي سنة ١٨٦٣ (المشرق ٥ : ٨٤٠) . وظهرت في كربلاء مطبعة حجريّة سنة ١٨٥٦ طُبعت فيها مقامات الشيخ محمود الالوسي (المشرق ٥ : ٨٤٣) ثمّ استحضر المرزا عبّاس مطبعةً اخرى حجرية في بغداد فعُرفت بمطبعة كامل التبريزي ونفعت العلوم ببعض المنشورات نحو خمس سنوات (المشرق ٥ : ٨٤٣ — ٨٤٤) . ثمّ بطلت تلك المطبعة بظهور مطبعة ولاية بغداد سنة ١٨٦٩ فأصدرت جريدة الولاية ومطبوعات غيرها (المشرق ٥ : ٨٤٣) — وكذلك حلب فانّ فنّ الطباعة تجدّد فيها في اواسط القرن التاسع عشر. وكان اوّلا احد الفرنج المدعو بلفنْطي السرديني نشر بعض المطبوعات الحجرية في الشهباء منها ديوان الفارض سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) وكتاب المزامير. ثمّ اهتمّ الطيّب الاثر المطران يوسف مطر بانشاء مطبعة على الحروف فطُبع فيها منذ السنة ١٨٥٧ الى يومنا نحو ٥٠ كتاباً بين كبير وصغير (المشرق ٣ : ٣٥٧ — ٣٥٨)

اما اوربة فكانت فيها الدروس الشرقيّة لاسيا اللغات الساميّة على خطّتها الشريفة. وكان عدد وافر من تلامذة دي‌ساسي قد انتشروا في اقطار شتى فبعثوا الهمم لدرس آثار الشرق ولغاته واحياء دفائنه فعُقدت جمعيات جديدة وأنشئت المدارس وتوفّرت المطبوعات والخزائن الكتبيّة. وكانت فرنسة في مقدّمة الدول لما كان بينها وبين اقطار الشرق من العلائق والمعاملات وخصوصاً بلاد الجزائر

وممّا ساعد على توفير اسباب الترقي للآداب العربية في هذا الطور الثالث بين نصارى الشرق خاصة بطاركة اجلاء محبّون للعلوم وساعون في تنشيطها بين مرؤوسيهم فكان يسوس طائفة الروم الكاثوليك الملكيين السيّد المفضال مكسيموس مظلوم الذي مع وفرة اشغاله في تدبير بنيه ابقى لهم من تآليفه او ترجمته نيّفاً وخمسين كتاباً طُبع نحو نصفها في بيروت ورومية والاستانة ومصر وهي في كل ضروب العلوم من

لاهوت نظري وادبي وجدل واخبار قديسين وعبادة وطقوس وتاريخ وجغرافية وصرف ونحو وطبيعيات. فكان مثال جدّ ونشاط لم تخمد همتهُ الّا مع خمود انفاسهِ في ١٠ آب سنة ١٨٥٥ فقال الشيخ ناصيف اليازجي يؤرخهُ:

مكسيموسُ المظلومُ بطركنا الذي قامت بهِ التقوى ولاح منارُها
صرفَ الحياة بغَيرةٍ مشهورة يبقى على طول المدى تذكارُها
هو كوكبُ الشرق استقرَّ قرارهُ في جنَّة فُتحت لهُ اخدارُها
ولاجلهِ كتب المؤرّخ نظمَهُ انَّ الكواكب في السماء قرارُها

وقام على الطائفة المارونية غبطة البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٤ وكان من البارعين في معرفة الانساب والتاريخ الشرقيّ والحق القانوني خلّف من كل هذه العلوم آثارًا حسنة

وفي هذه الغضون كان على السريان الكاثوليك البطريرك اغناطيوس بطرس جروه وقد ذكرنا (ص ٧٥) بعض ما خلّفه من المآثر العلميـة. ولمَّا دعاهُ الله الى دار الخلود خلفهُ ذلك الرجل المفضال الكثير المبرّات اغناطيوس انطون السمحيري (١٨٥٣ — ١٨٦٤) الذي عُني بتهذيب اكليروس طائفتهِ في مدرسة الشرفة وفي مدرسة غزير ومدرسة البروبغندا في رومية العظمى فخرج من تلك المدارس رجال افاضل سنذكرهم في تاريخ وفاتهم

امَّا الارمن الكاثوليك فكان يدبّرهم البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن منذ السنة ١٨٤٣ فما كان لينسى تعزيز الآداب في طائفتهِ فاهتمَّ في نماء مدرسة بزمّار وتنظيم كهنتها على قوانين خصوصية كما انَّهُ ارسل الى مدرسة غزير بعض بني جنسهِ فانجزوا فيها دروسهم ثمَّ اشتهروا في خدمة النفوس ولهم تآليف دينية. ثمَّ قام بتدبير الطائفة الارمنية السيّد انطون حسُّون سنة ١٨٦٦ وكان من رجال الفضل والعلم فجرى على مثال سلفهِ في نشر الآداب بين ابناء امَّتهِ

وكذلك الكلدان فانَّ بطريركهم يوسف اودو (١٨٤٨ — ١٨٧٨) سعى في انماء الآداب في ملّتهِ. وهو الذي انشأ لابناء طائفتهِ مدرسة اكليريكية في الموصل وارسل احداثاً منهم الى مدارس اخرى فنجحوا

وقد عُرفت الرسالة الاميركيَّة في هذا العهد بنشاط عظيم اشتهر بينها الدكتور

عالي سميث والدكتور طمسن والدكتور ڤان ديك فانكبّوا على درس اللغة العربية حتى اتقنوها . وكان من اثار اجتهادهم ترجمة الكتاب المقدّس باشر فيها سنة ١٨٤٩ الدكتور سميث بمعاونة المعلم بطرس البستاني فعرّب قسماً من كتب موسى ثمّ توفي سنة ١٨٥٧ فقام بتعريبها من بعدهِ الدكتور ڤان ديك ولم يزل يفرغ في انجاز العمل كنانة جهدهِ حتى انتهى منهُ سنة ١٨٦٤ بمساعدة الشيخ ناصيف اليازجيّ . ثمّ طُبع الكتاب سنة ١٨٦٧ . ولم تُثبت فيهِ الاسفار المعروفة بالقانونيّة الثانويّة . وصار لهذه الترجمة رواج كبير حتى اتت من بعدها ترجمة الاباء اليسوعيين بمساعدة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ فكانت اضبط نقلاً واشمل موضوعاً وابلغ لساناً واجود طبعاً فصارت تُعتبر كالترجمة الرسميّة لجميع الكاثوليك الناطقين بالضاد

الاداب الاسلاميّة في هذا الطور (١٨٥٠ — ١٨٧٠)

١٨ انحصرت الاداب الاسلاميّة في هذا الطور الثالث اعني من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠ في العلوم اللسانيّة خاصّةً من صرف ونحو ولغة وبديع وبيان وشعر وادبيات منثورة . اما التاريخ والعلوم الطبيعيّة والهيئة والرياضيّات فانّ التأليف فيها كان نادراً . الّا انّ بعض الادباء كالشيخ الرفاعي الطحطاويّ في مصر وسليمان الحرائري في الجزائر عرّبوا عدّة مؤلفات اوربيّة في العلوم المستحدثة والاختراعات الجديدة فكانت تعريباتهم دليلاً على سعة اللغة العربية ومرونتها وكِفايتها لترويج المعارف العصرية . فنهج غيرهم منهجهم بعد ذلك لا سيما جماعة الاميركان في بيروت . وها نحن نختصر تاريخ أُدباء المسلمين في هذا الطور بذكر مشاهيرهم بلداً بلداً مباشرة بالشام ثمّ مصر ثمّ العراق وبقية البلاد

﴿ادباء المسلمين في الشام﴾ يحضرنا منهم اسماء قليلين ولعلّ مصنّفات اكثرهم لا تزال مدفونة في بيوت الخاصّة . فممّن اشتهروا في هذه المدّة بآدابهم السيد مصباح البربير اسمهُ محمّد بن محمّد البربير وجدّه احمد البربير الشاعر الذي ذكرناهُ في جملة ادباء الطور الاوّل من القرن التاسع عشر . ولد محمّد مصباح سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) واظهر منذ صغرهِ نجابةً عظيمة فبعد اتقانه اصول اللغة ومبادئ العلوم على شيوخ بيروت في ايامهِ كالشيخ عبد الرحمان افندي النحّاس والشيخ عبدالله افندي خالد البيروتي

واخيهِ الشيخ ابراهيم البربير استُخدم في مجلس التحقيق بوظيفة كاتب وكان في شرخ شبابهِ مولعاً بالشعر فينظم في اوقات الفراغ القصائد الرائقة التي تُعرب عن جودة قريحته. وقد وافاهُ اجلهُ فقُصف غصن شبابهِ طريّاً في وباء الهواء الاصفر الذي حدث سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥ م). ولهُ ديوان صغير جمعهُ شقيقه الاديب عمر البربير فطبعهُ في المطبعة الاميركانيَّة سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣ م) ودعاهُ البدر المنير في نظم مصباح البربير. فممّا نظمهُ مصباح قولهُ مؤرخاً بناء دار لوالدهِ سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢)

لمحمَّد البربير دارٌ قد زهتْ ونجومُ مطلع عزّها حرَّاسُها
في بابها كتبَ المؤرخ قُل بها دارٌ على التقوى أُقيم اساسُها

ومن ظريف اقواله تهنئة بمولد ابن عمهِ محمَّد نجيب بن محمَّد البربير سنة ١٢٨٢:

بُشراك احمد قد اتاكَ نجيبُ حَيِيَتْ برآهُ نُهىً وقلوبُ
نجلٌ كُسي من كل ظرفٍ حلَّةً فهوَ الحبيبُ بلى ابوهُ حبيبُ
قد لاحَ في افق السعادة ساطعاً ان غابت الاقمارُ ليس يغيبُ
في مهدهِ كالعندليب مغرّداً وكذا اللبيبُ من المهاد لبيبُ
نادت علاماتُ السعود بوجههِ يحيى سعيداً انهُ لأَديبُ

ولهُ مكاتبات مع بعض ادباء زمانهِ نخصُّ منهم بالذكر الشيخ ناصيف اليازجي وكان هذا كتب اليهِ:

برعتَ واللهِ في قولٍ وفي عملٍ لفظاً ومعنىً وتهذيباً وإفصاحا
أَعطاكَ ربُّكَ نوراً يُستضاءُ بهِ فقد اصاب الذي سمَّاكَ مصباحا

فاجابهُ محمَّد مصباح بقولهِ:

يا من غدا شعرهُ الشِعْرَى فكان لنا قاموسَ فضلٍ وللتلخيصِ ايضاحا
لأَنت شمسُ علومٍ حين مطلعها كم اخجلتْ قمراً يزهو ومصباحا

وقد رثاهُ الشيخ ابراهيم الاحدب وأَرَّخ ضريحهُ بهذه الابيات:

ضريحٌ حلَّهُ مصباحُ فضلٍ سناهُ في سماء المجد عالي
الى عليا بني البربير يُعزى لهُ نسبٌ ينير دجى الليالي
فقال منظّم التاريخ وافٍ سنا مصباحَ مشكاة المعالي

(محمّد ارسلان) واشتهر ايضاً في الشام بآدابهِ وتآليفهِ الامير محمَّد ابن الامير امين ارسلان وُلد في الشويفات سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨ م) وطلب العلوم منذ حداثة

سنه وتعلّم اللغات الاجنبية فضلًا عن اللغات الوطنية. ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره فوّضت اليه الحكومة السنيّة ادارة الغرب الاسفل فتولّاها تحت نظارة والده حتى مات والدهُ سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨) فقام بعمله. ثمَّ انتقل الى بيروت مع اهل بيته واستوطنها وتفرّغ للتأليف والكتابة وكان عضدًا لكل طالبي الاداب ساعياً في ترويج العلوم يجمع في داره محبّي المعارف. وسنة ١٢٨٥ (١٨٦٩) استدعتهُ الدولة العلية الى الاستانة لتعهد اليه بعض المهام لكنَّ الموت عاجلهُ عند وصوله فمات بمرض القلب ولهُ من العمر ٣١ سنة وقد ابقى المترجم عدّة تآليف لا تزال مخطوطة منها كتاب في اصول التاريخ وعدّة تآليف في الصرف والنحو والمنطق وكتاب حقائق النعمة في اصول الحكمة والمسامرة في المناظرة وتعديل الافكار في تقويم الاشعار وتوجيه الطلّاب في علم الآداب والتحفة الرشديّة في اللغة التركية الذي نُشر بالطبع. وكان بين الامير محمّد امين وأُدباء زمانهِ مكاتبات تدلُّ على براعته في فنون الآداب. وهو ممن مدحهُ الشيخ ناصيف اليازجي فلهُ في ابيهِ الامير امين وفيهِ اقوال حسنة فقال في الامير امين:

كريمٌ لا يضيعُ لديهِ حقٌّ فقد سُمّي اميناً بالصوابِ
وليس يخلُّ في الدنيا بشيءٍ لغير المالِ من حفظ الصحابِ
ويُدركنا نداه حيثُ كنّا على حال ابتعادٍ واقترابِ
وتُكسبنا مكارمهُ ارتفاعاً كصفرٍ زاد في رقم الحسابِ
فدام نداهُ يَقْرَعُ كلَّ بابٍ ويأتيهِ الثنا من كل بابِ

ومن حسن اقوالهِ في الامير محمّد ما كتبهُ اليهِ يعزّيه في ابيه بقصيدة كان مطلعها:

ما دام هذا اليومُ يخلفهُ غدُ لا تُنكروا انَّ القديمَ يُجَدَّدُ
لا تُقْطَع الأَغصانُ من شجراتها الّا رأينا غيرها يتولَّدُ
هذا الامينُ مضى فقام محمّد خلفًا فناب عن الامين محمَّدُ

وختمها بقولهِ:

خلَفٌ كريمٌ أشبَهَ السَّلَفَ الذي كانت لهُ كلُّ الخلائقِ تَشْهَدُ
ما كان يوجَدُ كالأمين بعصرهِ واليومَ مثلُ محمّدٍ لا يوجدُ

وقد مدحهُ احمد فارس الشدياق بلامية اوّلها:

انَّ الاميرَ محمَّدًا مفضالُ من آل رِسْلانَ ونعمَ الآلُ

وقال يصف معارفهُ :

سيَّان في نظـمٍ ونثرٍ قولـهُ فصلٌ وحكمٌ لا يليهِ عِدالُ
قد ألَّف الكُتُبَ التي شهدت بأنْ أصحاب آرسطو عليـهِ عيالُ
فاجاد في التاريخ ايَّ اجادةٍ وبكلّ فنّ لم يَفُتْـهُ مقـالُ

وقال الشاعر المشهور اسعد طراد يعزّيه بوالدهِ بقصيدة هذا مطلعها :

الارضُ تخبر والجماجمُ تشهدُ انَّ ابن آدم فوقهـا لا يخلُدُ

ومنها في مدح الفقيد :

غدت بنو رسلانَ نائحةً ومن فرط الاسى أمست تقومُ وتقعدُ
لك يا امين مع القلوب أمانـةٌ حزنٌ بها اودعتَهـا لا يُنْفَدُ
فارقتَ لبنان الذي مهّدتـهُ عدلًا وكان الظنّ لا يتمهّـدُ
اضرمتَ نارًا في القلوب كأنها نارُ القرى بجاك ليست تخمدُ

(محمود بن خليل) وممَّن نقدّر وفاتهُ في هذا الوقت الشاعر محمود بن خليل الشهير بالعظم الدمشقيّ لهُ في المكتبة الخديويَّة (٤ : ٣٥٣) ديوان شعر خطَّـهُ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧ م) الاديب احمد زكية . وكان صاحب الديوان موجودًا سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨ م)

ولا نشك في انهُ اشتهر في هـذا الطور من ادباء المسلمين في الشام غـير هذين المذكورين الَّاانَّ اخبارهم لم تُنشر حتى الان فلم نقف على تاريخهم . ومما وقع في ايدينا منذ عهد قريب مجموع فيهِ قصائد لشعراء بلاد الشام في القرن السابق نظموها في مدح علي بك الاسعد من البيوتات الشريفة في طرابلس فهنالك اسماء عدَّة ادباء مرَّ لنا ذكر بعضهم كالشيخ عمر اليافي والسيّد احمد البربير والشيخ عبد اللطيف افندي فتح الله مفتي بيروت وبطرس كرامة والياس اده والبعض الآخر لم نعرف منهم غير اسمائهم كالشيخ عثمان والشيخ عمر البكري والشيخ مصطفى الكردي والحاج عليّ ابن السيّد البكريّ والسيّد عمر افندي الكيلاني . ولكلهم قصائد اجادوا فيهـا لكنَّنا نعرض عن ذكرها لجهلنا اخبار قائليها

﴿ أدباء مصر ﴾ خلَّف لنا أدباء المسلمين المصريين مادَّة اوسع من اخوتهم في الشام ومما ساعد على حفظها انتشارها بالطبع فسلمت من الضياع . ودونك اسماءهم :

(عليّ الدرويش) هو السيّد عليّ افندي الدرويش بن حسن بن ابراهيم المصري الشاعر المفلق اصاب في اواسط القرن التاسع عشر شهرة كبيرة في القطر المصريّ وتقرّب من اصحاب الامر ومن ادباء وطنهِ فمدحهم وكاتبهم · ولمّا توفي سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) جمع ديوانهُ واقوالهُ النثريّة تلميذهُ مصطفى سلامة النجاري فطبعهُ على الحجر في مصر في ٤٨٢ صفحة وعنونهُ بالإشعار في حميد الأشعار (١٢٧٠) · وها نحن نورد منهُ بعض امثلة بياناً لفضل قائلهِ · قال مؤرخاً قصر صديقهِ عرفي افندي :

وقصرٍ كالسماء بهِ نجومٌ ... مطالعُها السعادة والبدورُ
على اقطاره تبكي عيونٌ ... اذا ابتسمت لوارده زهورُ
فليس لوافدٍ وافاهُ نهرٌ ... وقد نفدت لمدحتهِ البُحورُ
وحسبُكَ روضةٌ في كل مجدٍ ... وفضل بالبنان لهُ يشيرُ
تقاصَرَ من سناهُ ذو ثناءٍ ... وحسن القصر ما فيهِ قصورُ
يقول العزّ والاسعاد ارّخ ... سعود البيت يا عرفي منيرُ (١٢٥٩)

وقال شاكراً :

سُررتُ بنيل القصد من غير موعدٍ ... ولا شيء اشهى من سرورٍ مجدّدِ
سُررت بنعماه ولكن حزنتُ من ... قصوري بحق الشكر في فضل سيدي
لهُ الحمدُ والشكر الذي هو اهلهُ ... وقلّ لهُ حمدي وشكري ومنشدي
فلو كل عضوٍ فيهِ عدّة ألسنٍ ... لاعجزني شكر الندى المتعدّدِ
وهل انا الّا عبد احسان عفوكم ... فاضحى لذيهِ مدحكم كالتعبُّدِ
تعوّدتُ لولا لطفكم غير عادتي ... وصعب على الانسان ما لم يعوَّدِ
وزدتم نعيمي نعمةً ابديةً ... وزدتم مقامي رفعةً فوق مقصدي
وكدّرتمُ ظنّ الحسود بنعمتي ... واشهى من الإنعام تكدير حسَّدي
وحمّلتني ما لا أطيق وجوبهُ ... فينطق حالي عن لساني المعقّدِ
فيا اسعدَ اللهُ السعيدَ لملكهِ ... ودولتهِ والموكب المتجندِ
فقد اشغل الدرويش شكراً مؤرخاً ... مليك سعيد النجم خير محمَّدِ

(شهاب الدين) وقد فاق على درويش المذكور شاعر آخر كان يعاصرهُ وهو الاديب الاريب السيّد شهاب الدين محمّد ابن اسماعيل وُلد في مكّة سنة ١٢١٨ (١٨٠٣ م) ثمّ قصد مصر فدرس على مشايخها لاسيّما شيخَي الازهر محمّد العروسي وحسن العطّار فبرع في الكتابة والشِعر · ولمّا انشأ الشيخ حسن اوّل جريدة طُبعت في الشرق وهي الوقائع المصريّة سنة ١٨٢٨ اتّخذ كمساعد لهُ في انشائها شهاب الدين

المذكور ثمَّ خلفهُ في ادارتها سنة ١٢٥٢ (١٨٣٦ م) وجُعل مصحّحاً لمطبوعات مطبعة بولاق الشهيرة وبقي في مهنتهِ الى السنة ١٢٦٦ (١٨٤٩ م) وانقطع الى الكتابة والتاليف. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) وقد ابقى السيّد شهاب الدين من تآليفهِ كتاب «سفينة الملك ونفيسة الفلك» ضمَّنهُ مجموعاً وافياً من الزجليّات والموشّحات والاهازيج والموالي التي يتغنّى بها ارباب الفنّ في مجالي الافراح ومعاهد السرور ولما اتمّهُ سنة ١٢٥٩ قال في تاريخهِ:

هذه سفينةُ فنّ بالمُنى شُحنتْ　　والفضلُ زُفي بحرهِ العجَّاج أجراها
واذ جرت بالاماني فيهِ أرَّخها　　سفينةُ البحر بسمِ الله مجراها

ثمَّ طُبع سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) ديوان شعرهِ في ٣٨٠ صفحة وفيهِ القصائد الرنانة في كل فنون العروض ومعاني الشعر. فمن نظمهِ قولهُ يصف مِزْولة انشأها حضرة سلامة افندي المهندس لجامع القلعة لبيان الاوقات والساعات بحساب البروج الاثني عشر:

ومُظهرةٍ للوقتِ ظهرًا وغيرهُ　　وللبرج ايضاً فهي واحدةُ العصرِ
سلامةُ منشي رسمها وحسابها　　لجامع خيراتٍ تفرّد في مصرِ

وقال من قصيدة يمدح بطرس بكتي قنصل دولة روسيَّة اذ زارهُ يوماً:

اتى ينجلي كالبدر في سندسيَّةٍ　　وهل حلَّ في الافاق بدرٌ بأطلسِ
فتمَّ ليَ الصفوُ الذي كاد حظُّهُ　　يكونُ كحظي يومَ ايناسِ بطرسِ
ألا وهو تاج الفخر والحسن والبها　　مشيّد اركان المكرماتِ المؤسسِ
جميل السجايا الالمعيّ فطانةً　　رقيق الحواشي ذو الحجى والتفرُّسِ
هشوشُ المحيّا ضاحك السنّ دائمًا　　حليفُ المعالي ذو الجناب المقدَّسِ
بنفسي افدّيهِ وقد جاء زائرًا　　بتشنيف اسماعٍ وتشريف مجلسِ
يصوغُ لهُ نظمي نفيسَ مدائحٍ　　فتثنيهِ غايات الكمال بانفسِ

وقال عن لسان بعض الكاثوليك يمدح كبير ملّتهم وكان المذكور التمس منهُ ذلك:

بابا النصارى مربّي روح ملّتهم　　حامي حمى كلّ شمّاسٍ وقسّيسِ
شخصٌ ولكن هيولى روحهِ ملَكٌ　　وجسمهُ صورةٌ في شكل قديسِ
اقام وهو وحيد العصر مفردهُ　　دينَ النصارى بتثليثٍ وتغطيسِ
تسعى الملوك الى تقبيل راحتهِ　　في البحر والبرّ فوق الفلك والعيسِ
احيا الكنائسَ جسماً بعد ما درست　　وشيّد الروح تشييدًا بتأسيسِ

فعظّموا الربّ فيها بالصلاة لهُ   وبمجّدوهُ بتسبيحٍ وتقديسِ

ولهُ في مديح حنّا البحري من قصيدة:

هو كهفٌ اذا لجأنا اليهِ   في مَخُوفٍ ممّا نخافُ أَمنَّا
من أتاهُ مستنصرًا بحماهُ   عاد بالنصر بالغنا ما تمنّى
كلّما عنّ امرُ خطبٍ مهمٍّ   بك فيا نراهُ عنَّ استمنّا
يصنعُ المكرمات سرًّا وجهرًا   وهو في عون من يقولُ أعنّا
كلٌّ من قد رآهُ وهو بشوشٌ   عنهُ ولّت همومهُ واطمأنّا

ولهُ قصيدة طويلة في مدح نصر الله (نصري) الطرابلسيّ الشاعر الذي مرّ لنا ذكرهُ هذا اولها:

لا رعى الله يوم حان وداعي   انهُ جالبٌ لحَيْنِي وَداعي
فيهِ قد ازمع الرفاقُ فراقًا   واصات الشتاتُ شمل اجتماعي
وغدا الدمع سائلًا يتجارى   وفؤادي في موقفِ الايداعِ

الى ان قال:

أتُرى هل تعودُ اوقاتُ انسي   وبقربِ المزار تحظى رباعي
واذا ما الزمان جاءَ بنصري   فبحمدٍ يُجزى وشكرٍ مساعي
هو بحرٌ تُروى المآثر عنهُ   بل هو البرّ في جميع البقاعِ
روضُ آدابهِ النضيضُ جناهُ   عَطِرُ النشر طيّب الايناعِ

وختمها بقوله:

زادك الله بهجةً وكمالًا   ما ترجّى حسنَ الختامِ الداعي

ونظم الابيات الآتية لتُرسم على سفرة الطعام:

أيّها السيد الكريم تكرّمْ   وتناولْ ما شئت آكلًا شهيًّا
وتفضّلْ بجبر خاطر مَنْ هم   أتقنوا صُنْعهُ وخذ منهُ شيًّا
وتحدَّث على الطعام وآنسْ   واحدًا واحدًا بشوش المحيًّا
واستردهم آكلًا وقلْ انَّ هذا   طابَ نضجًا وصار غضًّا طريًّا
فهلمّوا بنا ومدّوا اليهِ   ايديًا باعها ينالُ الثريًّا
ثمّ قُلْ يا احبّتي هل لكم في   بعض شيءٍ من النبيذِ المهيّا
ولئن ساغَ شربهُ التمرّي   فكلوا واشربوا هنيًّا مريًّا
واذا ما آكلتَ ضيفًا فأرّخْ   انَّ هذا لرزقنا كُلْ هنيًّا (١٢٦٦)

(الشيخ البيجوري) واشهر من السابقين شيخ الاسلام ابراهيم البيجوري· ولد في قرية البيجور بمديرية المنوفية سنة ١١٩٨ (١٧٨٤ م) وطلب العلوم في الازهر مدّة وتتلمذ للشيخين محمّد الفضالي وحسن القويسني وغيرهما حتى نبغ بين طلبة الازهر وتفرّغ للتأليف فوضع كتباً عديدة في التوحيد والفقه والمنطق والتصريف والبيان واشتغل بالتدريس ثم انتهت اليهِ رئاسة الازهر· قيل ان صاحب الدولة الخديوي عباس باشا كان يحضر دروسهُ في الازهر · وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠ م)

(ابراهيم بك مرزوق) ويُلحَق بأُدباء مصر احد مشاهير كتبتها ابراهيم بك مرزوق· ولد سنة ١٢٣٣ ه (١٨١٧ م) وكان منذ نعومة اظفارهِ مغرًى بالاداب كثير الحفظ من مختار الشعر قيل انهُ كان يحفظ منهُ عشرين الف بيت كما انهُ احرز جملة وافرة من منتخب المتون العلميَّة ومأثور الاخبار· وكان كثير التصرُّف في فنون الكتابة ويحسن نظم الشعر· ورحل الى بلاد السودان فكانت وفاتهُ في الخرطوم سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) وقد عُني بجمع قصائدهِ وطبعها الهمام محمّد بك سعيد بن جعفر باشا مظهر وقسمها الى سبعة ابواب على حسب معانيها ووسم هذا الديوان « بالدرّ البهي المنسوق بديوان الاديب ابرهيم بك مرزوق » وكان طبعهُ سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) وممَّا جاء فيهِ من الحكميَّات قولهُ :

ان الفضيلة في الانام غدت على ... شرف النفوس الشمّ اقوى حجّةِ
فاذا ادَّعيتَ بانَّ اصلك يا فتى ... من سادة الابطال اهل الهمَّةِ
أَوضِحْ لنا نور الشهامة مثلهم ... وعلى رفيع المجد أَحْسَنَ غيرةِ
واذا اردت الفخر فاسهر دائبًا ... لطلابهِ واهجر لذيذ الهجعةِ
فتكونَ ذا شرفٍ فتلك دلائل ... دلَّت على شرفٍ وكلّ فضيلةِ

وقال مستعطفاً لصديق نفر عنهُ :

يا معرضاً متجنباً حاشاك من نقض الذمامْ
مولاي ما لك قد بخلتَ م عليَّ حتى بالكلامْ
سلّم عليَّ اذا مرر تَ فلا اقلَّ من السلامْ

وقال يرثي اسكاروس افندي الباش كاتب القبطيّ :

لا شكَّ عندي في فناء الوجودْ ... فافضلُ السيرةِ خيرُ الوجودْ

والمرء مجزي باعماله فشأنهُ يوم تُقام الحدودْ
وانما طوبى لمن قد قضى دنياهُ بالخير وسعد السعودْ
كالبارع اسكاروس في فضلهِ باهي الحجا والجد غيظ الحسودْ
فقلْ لراجي شأوهِ ارّخوا يكفي ثوى اسكاروسُ دارَ الخلودْ (١٨٦٠)

وقد عُرف في مصر غير هؤلاء ممن ورد ذكرهم في كتب الادباء كالاستاذ الشيخ احمد عبد الرحيم والشيخ مصطفى سلامة وكان كلاهما محرّرًا للوقائع المصريّة في هذا الوقت. مدحهما صاحب كنز الرغائب في منتخبات الجوائب (ص ١٢١ و١٢٩). وكذلك في مصنّفات الشيخ ناصيف اليازجي مراسلات دارت بينهُ وبين ادباء مصر من المسلمين كالشيخ محمّد عاقل افندي كاشف زاده الاسكندري والشيخ حمد محمود افندي الاسكندريّ والشيخ عبد الرحمان افندي الزيلقيّ والشيخ حسن بن علي اللقّاني الاسكندري. ولكلّهم قصائد جيّدة اثبتها الشيخ ناصيف في مجموع شعرهِ لكنّنا لا نعرف من تاريخ اصحابها شيئًا. فممّا روى للشيخ محمّد عاقل قولهُ يصف الهواء الاصفر:

دهانا بوادي النيل كالسيّل حادثٌ لهُ تَذهَل الالبابُ حين يخيفُ
دعوهُ بريحٍ اصفرٍ شاع ذكرهُ وما هو الّا هيضةٌ ونزيفُ
بهِ احتارت الافكارُ والعقل والنهى وكلُّ طبيبٍ شأنهُ العلم موسوفُ
فلم يبقِ دارًا لم يَزُرْها ولم يذرْ جنانًا بهِ رَكْبُ السرور يطوفُ
تُكلِنا رجالاً للزمان نعدُّهم طروسًا وهم للمعضلاتِ سيوفُ
تراهم ليوم اليأس والبأس عُدَّةً وجاهُهُم للقاصدينَ منيفُ
وكم فيهم من اهلِ ذوقٍ وفطنةٍ وفيهم لطيفٌ ألمعي او ظريفُ
لقد أقشبت اقطارُ مصرٍ لفقدهم وكان بهم روح الكمال قطيفُ
نأوا وأقاموا بارح الحزنِ في الحشا فليس بديلًا تالدٌ وطريفُ
فشيّعهم عقلي وفكري وفطنتي ولم يبقَ من لبي لديَّ طفيفُ
وناقصَ امثالي صحيحٌ مضاعفٌ ومهموز حزني اجوفٌ ولفيفُ

وقال يمدح بيروت وادباءها وخصوصاً الشيخ ناصيف اليازجي:

لقد قصدوا بيروتَ دارَ اعزّةٍ لهم تنتمي الآلاء في اللفظ والمعنى
نزيلهمُ قد شكَّ في اصل دارهِ وصار يقين الامر في علمه ظنّا
مدينة تلرف ما بها غير فاضلٍ بسيمٍ وسيمٍ قد حوى الحُسنَ والحسنى
تشدُّ لهُ الالبابُ كلَّ مطيّةٍ بجرّبة الإسعاف في كل ما عنّا

صغيرهمُ في المجد سيّد غيرهم على انّ ذاك الغيرَ قدوةُ من اثنى
وما منهمُ الّا وقد شبَّ طوقهُ بنادي نصيف اليازجيّ وقد أفنى
مجيد المعاني وهو للقول حجَّةٌ لاهل النّهى كم قد اجاد لنا فنّا

ومن اقوال الزّيلعي في المدح:

بلغتَ مقاماً لم تنلهُ الاوائلُ وحزتَ كمالاً تبتغيهِ الافاضلُ
ولستُ براءٍ غير فضلكَ يرتجى لكل مُلمّ فيهِ تُدعى الصياقلُ
ولولاك لم تدرِ العلوم بانّها تُجَلُّ وانْ قد بانَ منها دلائلُ
يطول لسان الفخر في فضلك الذي بنيتَ لهُ ركناً ليرجع ثاكلُ
ويقصر باع الدهر عن وصف ماجدٍ لهُ جُمعت في المكرمات الفضائلُ
فيا لك من مجدٍ ويا لهُ من يدٍ تطول اذا مُدَّت وان حال حائلُ

وقال حمد محمود افندي من قصيدة متشوقاً الى اهل الفضل في بيروت:

يا اهل بيروت ان لاقيتمُ كبدي فمتّعوا جدركم من قبلُ بالحفرِ
إكبادُ اهل الهوى حرّى وما بردت الّا لترمي من الاشواق بالشررِ
ودونكم حرّ لبّي فهو رقّكمُ وارعوا ذمام شجٍ فيكم على سفرِ
ملكتموهُ بالفاظ هم غررٌ ورابحٌ مَنْ شرى الالبابَ بالغُرَرِ

وللشيخ حسن بن علي اللقّاني الاسكندريّ يصف ديوان الشيخ ناصيف:

بدائع ما فيها سوى السحر منطقٌ حلالٌ وفي اجناسها لا أُدافعُ
اذا جرَّ غوق الطرس سُمر يراعهِ تصافحهُ الآداب وهي رواكعُ
وان راح ينشي او يكاتب صحبهُ فغرُّ معانيهِ الحسانِ تسارعُ
كأنَّ صرير السمر في روض طرسهِ غناءُ حمامٍ وهو بالشعرِ ساجعُ
تآليفهُ قد فصَّحت كل اعجمٍ بليدٍ وكم ولّى بليغٌ وبارعُ
لآلىءُ من زهر الربيع تناثرت علينا وفي منظومها السرُّ ذائعُ
لئن فاح في ارض الشآم ثناؤهُ ففي مصرنا منهُ شذا الذكر ضائعُ

﴿ ادباء المسلمين في العراق ﴾ تذكَّر العراق في اواسط القرن التاسع عشر مفاخرهُ السابقة فأراد أن يحييها فنزل في حلبة الآداب وركض فيها جياد الالباب فنال قصبة السبق والغلاب. وها نحن نذكر الذين وقفنا على شيء من اخبارهم نقلاً عن مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة وبعض المطبوعات النادرة مباشرةً بالالوسيين والسويديين

(الالوسيُّون) هم قوم من فضلاء بغداد احبُّوا العلوم والآداب فاوقفوا نفوسهم

لخدمتها ونشروا معالمها في وطنهم . واصلهم من ألوس احدى قرى الفرات ثمّ انتقلوا الى بغداد وامتازوا فيها بحسن الخصال . ولما كانت اواسط القرن التاسع عشر برز بينهم اولاد السيد صلاح الدين ابن السيد عبد الله الالوسي . وكانوا ثلاثة رضعوا كلهم افاويق الادب وذهبوا في فنونهِ كل مذهب

وأولهم ابو الثناء شهاب الدين السيد محمود افندي المعروف بالشهاب الألوسي . ولد في بغداد في ١٤ شعبان سنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) وهناك توفي في ٥ من ذي القعدة سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤ م) كَلِف بالعلوم منذ حداثة سنهِ وبذل النفس والنفيس في احراز جواهرها حتى انَّ رغبتهُ في طلب المعارف شغلته عن حطام الدنيا وأنستهُ هناء العيش وملاذّ الحياة وبرّز بالعلوم الدينية فصار اماماً في التفسير والافتاء وكان مع ذلك كاتباً بليغاً وخطيباً مصقعاً وفي سنة ١٢٦٢ (١٨٤٥) سافر برفقة عبدي باشا المشير الى الموصل ثم الى ماردين فديار بكر فارزروم فسيواس فالاستانة العليّة واجتمع حيثما دخل باعلام العلماء وائمة الادباء وكانوا يتهافتون اليهِ ليقتبسوا من انوارهِ ويغرفوا من بحارهِ . ثمّ عاد الى وطنهِ معزّزاً ممدَّحاً بكل لسان مشمولاً بالطاف الحضرة العليّة السلطانيّة . وكان جلالة السلطان عبد المجيد منحهُ الوسام المرصع العالي الشأن . فلما عاد الى وطنهِ سنة ١٢٦٩ انقطع الى التأليف . وفصَّل اخبار رحلته في عدَّة مصنَّفات منها كتابهُ رحلة الشمول في الذهاب الى اسلامبول طُبع في بغداد سنة ١٢٩١ واتبعهُ بكتاب نشوة المدام في العَود الى بلاد السلام ثمّ كتاب غرائب الاغتراب في الذهاب والإقامة والاياب ويُدعى ايضاً بنزهة الالباب ضمَّنهُ تراجم الرجال والابحاث العلميَّة التي جرت بينهُ وبين حضرة السيد احمد عارف حكمت بك شيخ الاسلام . وكان السيد محمود سريع الخاطر ونسيج وحدهِ في قوّة التحرير وسهولة الكتابة ومسارعة القلم قيل انهُ كان لا يقصر تأليفهُ في اليوم والليلة عن اقل من ورقتين كبيرتين . وقد ألف كتباً عديدة في التفسير والفقه والمنطق والادب واللغة كشرح السلّم في المنطق . وكتاب كشف الطرّة عن الغرّة وهو شرح على درّة الغوّاص للحريري . ومن تآليفهِ رسالة في الانسان . ولهُ حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ألفها وعمرهُ لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة . وكتاب المقامات طبعهُ في كربلاء وكتاب التبيان في مسائل ايران وكتب اخرى غيرها . وكان لهُ شعر قليل الّا انهُ غاية

في الرقّة كقوله يذكر العراق في غربته :

اهيمُ بآثار العراق وذكره وتغدو عيوني من مسرّتها عَبْرى
وأَلثمُ اخفافًا وطئنَ ترابهُ واكحلُ اجفانًا بتربته العَطْرى
واسهرُ ارعى في الدياجي كواكبًا تمرُّ اذا سارت على ساكني الزورا
وانشقُ ريح الشرق عند هبوبها اداوي بها يا ميُّ مُهجتيَ الحَرّا

وقال في وصف بغداد وفراقه لها :

ارضٌ اذا مرّت بها ريحُ الصبا حملت من الارجاء مسكًا أذفرا
لا تسمعنَّ حديث ارضٍ بعدها يُروى فكل الصيد في جوف الفرا
فارقتُها لا عن رضيً وهجرتُها لا عن قلىً ورحلتُ لا متخيِّرا
لكنّها ضاقت عليَّ برحبها لما رأيتُ بها الزمان تنكّرا

ومن حسن قوله وصفهُ لشاعر سهل الالفاظ بعيد المعاني :

تتحيّرُ الشعراء ان سمعوا به في حسن صنعته وفي تأليفهِ
فكأنهُ في قربِهِ من فهمهم ونكولهم في العجزِ عن ترصيفهِ
شجرٌ بدا للعين حسنُ نباتهِ ونأى عن الايدي جنى مقطوفهِ

وقال مستغفرًا وقد افتتح به كتاب مقاماته :

انا مذنبٌ انا مُجرمٌ انا خاطي هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي
قابلتهنَّ ثلاثةً بثلاثةٍ وستغلبَنَّ اوصافهُ اوصافي

وكانت وفاة الشهاب الالوسي في السنة التي ذكرناها فرثاهُ قوم من الفضلاء كما مدحوهُ في حياتهِ وقد جُمعت تلك المدائح في كتاب حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود. وكان اولادهُ اغصانًا نضرة لتلك الدوحة الباسقة سنذكرهم في وقتهم. واشتهر في زمانه اخواهُ عبد الرحمان وعبد الحميد فعُرف عبد الرحمان بفصاحة لسانهِ وخلابة اقواله في الخطابة والوعظ وكان يدرّس العلوم الدينيّة في اكبر جوامع الكرخ الى وفاتهِ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) وعمرهُ نحو ثلث وستين سنة

اما عبد الحميد الالوسيّ فكان مكفوف البصر ولم تصدّهُ تلك العاهة عن طلب العلوم فاخذها عن اخيهِ السيد محمود الذي اجازهُ في المعقول منها والمنقول والفروع والاصول فجعل يدرّس في مدرسة ببغداد المعروفة بالنجيبية ويتقاطر لاستماعهِ الناس حتى علية القوم وفي مقدّمتهم علي رضا باشا والي بغداد وله بعض مصنّفات نثرية بليغة وقصائد غرّاء منها قصيدة في مدح احد مشايخهِ العظام اوّلها :

تنوحُ حماماتُ اللوى وانوحُ وأكتمُ سرّي في الهوى وتبوحُ
وتُعجم ان رامت أداءَ مرامها ولي منطق فيما اروم فصيحُ
لها مقلةٌ عند التنائي قريرةٌ ولي مدمعٌ يوم الفراق سفوحُ

الى ان قال مادحاً:

فتى كالهُ عفوٌ ولطفٌ وعفّةٌ وعن زلّة الشاني الحسودِ صفوحُ
حليمٌ وهل كالحلم في المرء زينةٌ سموحٌ وذو الشان الجليل سموحُ
وفارس فضلٍ لا يجاريه عارفٌ وأنّى يجاري العادياتِ جموحُ
يفوح بأفواه العدى نشرُ فضلهِ كما فاح نشرًا في المجامر شيحُ
لقد عطّر الارجاءَ منك فضائلٌ فوصفك مسكٌ في الانام يفوحُ

ومن نثرهِ قولهُ يصف الاولياء:

لقد فاز قوم عاملوا الله بالاخلاص والصدق، وعاملوا الناس بخفض الجناح ورفع الجُناح وحفظ الوداد مع اللين والرفق، تحمّلوا من اجلهِ ألم الاذى والمشاق، فازالوا بانوار شهود جمالهِ عن بصائرهم حجب العوائق الانسانيّة، وتحمّلوا اذا اذاقهم الورى مرّ المراء والشقاق، فاماط بعذوبة انسهِ ووصالهِ عن رقابهم ربَق العلائق النفسانيّة، اعرضوا عن الدنيا وأغرضوا في طلب الاخرى حيث علموا بأنّ الأولى والأحرى السعيُ في تقديم الباقية على الفانية. فأنحلوا الاجسام بالصيام والقيام، لما أنْ حلا لهم شرب صافي المدام... فرضوا على نفوسهم القناعة والصبر، ورضُوا عن هذه الدنيا بالقليل النزر. وراضوا زكيّ انفسهم عن انفس جواهرها واعراضها، ترفّعوا عن الشكوى وتمسكوا بعُرى التقوى، لانها الركن الاوفى والسبب الاقوى، فانجابت عن قلوبهم غمائم آلامها وامراضها...

وكانت ولادة السيد عبد الحميد سنة ١٢٣٢ (١٨١٧) وطالت حياتهُ ولم نقف على سنة وفاتهِ

(السويديون) هم من اسرة فاضلة اصلها من سرّ من رأى او سامرّا فانتقلوا الى بغداد وعُرفوا بين اكابر علمائها. منهم الشيخ ابو البركات عبدالله السويدي صاحب المؤلفات الادبية العديدة كشرح دلائل الخيرات وكتاب مقامات بليغة والامثال السائرة والرحلة المكيّة توفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م). ومنهم الشيخ ابو الخير عبد الرحمن زين الدين البغداديّ السويدي ابن ابي البركات كان ذا باع طويل في العلوم الدينيّة واللسانيّة. ولد سنة ١١٣٤ وتوفي سنة ١٢٠٠ (١٧٢٢ — ١٧٨٦ م) فارّخهُ اخوهُ الشيخ احمد السويدي بقوله من ابيات:

وفارقنا فردًا فقلتُ مؤرخًا ابو الخير في ازكى الجنان نزيلُ

وكان الشيخ احمد المذكور اماماً في التصوّف وقد ردّ على الملحدين بكتاب سمّاه الصاعقة المحرقة في الردّ على اهل الزندقة . توفي سنة ١٢١٠ وكان مولدهُ سنة ١١٥٣ (١٧٤٠ — ١٧٩٥)

ومن السويديين الشيخ عليّ ابن الشيخ محمّد سعيد السويدي المتوفى سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) لهُ كتاب في تاريخ بغداد وقد رثاهُ شاعر بابيات ختمها بهذا التاريخ :

مذ وُسّد اللحدَ نادانا مؤرخهُ ان المدارس تبكي عند فقد علي

ومنهم ايضاً الشيخ ابو الفوز محمّد امين السويدي احد كبار الكتبة في بغداد ولهُ مؤلفات جليلة في عدّة فنون منها كتاب سبائك الذهب في معرفة انساب العرب الذي نُشر بالطبع وقد مرّ لنا وصفهُ (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٥٦٦) وكتاب الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت . وكتاب ردّ على الرافضة . ورسالة في الواجب والممكن . ولهُ شرح تاريخ ابن كمال باشا مع نظم لطيف . كانت وفاتهُ سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠) . واشتهر من السويديين في العهد الذي وصلنا اليهِ الملا نعمان السويدي ابن الشيخ محمّد سعيد ابن احمد وهو خاتمة السويديين توفي في رجب سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣)

واشتهر بالاداب العربيَّة في بغداد والعراق غير الالوسيين والسويديين في اواسط القرن التاسع عشر بعض الائمة . وها نحن نذكر منهم الذين ابقوا آثاراً من علمهم طبعاً او خطاً على ترتيب سني وفاتهم

(البيتوشي) هو ابو محمّد عبدالله بن محمّد الكردي البيتوشي من كبار ادباء بلادهِ . ولد في بيتوش من قرى العراق سنة ١١٦١ (١٧٤٨) وجدَّ في طلب العلم ثمَّ قدم بغداد طلباً للمعاش وارتحل منها الى بلدة الأَحساء فابتسم لهُ الدهر وحسنت حاله واشتهر صيتهُ وانقطع الى التأليف في الصرف والنحو ونظم كتاب كفاية المعاني وشرحهُ وذيَّل شرح الفاكهي على قطر الندى لابن هشام . ولهُ نظم حسن منهُ قولهُ متشوقاً الى وطنهِ :

ألا حيِّ بيتوشاً وآكنافها التي يكاد يروّي الصاديات سرابُها
بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تمائمي واوَّل ارض مسَّ جلدي ترابُها

لقد كان لي منها عرينٌ وكان من مقامي لها سُحبٌ سَكوبٌ رُبابُها
ولم تنبُ لي إن يَنبُ يومًا باهلهِ مكانٌ ولم ينعق عليَّ غرابُها

توفي البيتوشي سنة ١٢١٣ (١٧٩٨). وكان الاحقّ بنا ان نذكرهُ في الابواب السابقة فاثبتنا اخبارهُ هنا مع بقيّة افاضل العراق وكذا فعلنا بالشيخين الوارد ذكرهما

(الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي) اصلهُ من النجد فسكن البصرة وكان يتردَّد كثيرًا الى بغداد واشتغل بفنون لسان العرب وكان لهُ في اللغة باع طويل والف عدَّة تآليف مفيدة منها كتاب في تاريخ بغداد ارَّخ فيهِ ما وقع في زمانهِ من الوقائع وسماهُ مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود وقد طبع مختصرهُ في بمبي سنة ١٣٠٤. ومن تآليفهِ منظومة في علم الحساب ونظم قواعد الاعراب والازهرية ومغني اللبيب. ولهُ رسائل ادبيَّة كفاكهة السامر وقرَّة الناظر. ونسمات السحر وروضة الفكر. وكانت لهُ شهرة عظيمة في البصرة ونواحيها يُقبل كلامهُ لدى جميع اهاليها. توفي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤)

(الشيخ علاء الدين الموصلي) هو علاء الدين علي افندي الموصلي واحد شيوخ شهاب الدين الوسي زاده. ذكرهُ في كتابهِ نزهة الالباب في غرائب الاغتراب واثنى على آثارهِ الادبيَّة لكنهُ ذمّ اخلاقهُ وضيقَ صدرهِ وجهلهُ بمداراة الناس قال:

كان لا يدري مداراة الورى ومداراةُ الورى امرٌ مهمٌ

وروى لهُ شعرًا حسنًا منهُ:

لئن لم تشاهدني أخافِشُ أعينٍ فلي من عيون الفضل شاهد رؤيةِ
وان انكرتني الحاسدون تجاهلًا كفانيَ عرفاني بقدري وقيمتي
فاين لشمسِ الاستواء من السُّها واين زلالٌ من سراب بقيعةِ
وليس الذي في الناس كالحي ميتٌ لفضلٍ وإفضالٍ فحيٌّ كميتِ

وقولهُ:

وزمانٍ عدَتْ على لياليهِ وقصّتْني قوادمي وجناحي
ودهتْني صروفـهُ في شتات وعناء وخيبةٍ وتراحِ
لا لذنبٍ اتيتهُ غير انَّ الفضل لم تلقَـهُ قرينَ نجاحِ
واذا ما الصلاحُ فيكم فسادٌ ففسادي الذي لديكم صلاحي

وكانت وفاتهُ بالطاعون سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧ م) وانشد قبل وفاتهِ :

اسفي على فصلٍ قضيتُ ولم اكن ابصرتُ عارفَ حقـهِ فيبينُ .
ومن العلوم الغامضات ورمزهـا أملي قضيتُ وللفنـونِ ديونُ
واخذت في كفني علوماً لم اجدْ مستودعاً هي في الدفين دفـينُ

(عبد الحميد الموصلي) هو عبد الحميد ابن الشيخ جواد الموصليّ الشهير بابن الصبّاغ احد شعراء العراق الذين شرّفوا تلك الاصقاع بآدابهم . وشعرهُ رقيق لكنّهُ مفرّق لم يُجمع في ديوان . فمن قولهِ ابيات كتبها الى الشاعر بطرس كرامة والتزم في كل صدورها واعجازها تاريخًا للسنة المسيحيّة ١٨٤٤ الّا المصراع الاخير فجعلهُ تاريخًا هجرياً هذا مطلعهُ :

بعثنا اليكم بنتَ رمزٍ من الفكرِ دهاها جوًى أعطتْ بهِ خالصَ الشعرِ
امنتم صروعَ الدهر من قيـد حادثٍ شهدتم هلال الافق من كامل الشهرِ
ميامن ترعى بطرساً في كرامةٍ الى غاية الدنيا الى اوحد الدهرِ
هديتم بنور الرب باباً فأرّخوا هو الله لا ما زلّ من مشرق الفجرِ

فاجابهُ بطرس كرامة برسالة طويلة نظماً ونثرًا افتتحها بقولهِ :

عشقتُكمْ من قبل لقياكُمُ وكلُّ معشوقٍ بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنّها من نورها تُعرفُ

وقال الشيخ عبد الحميد يمدح الشيخ ناصيف اليازجيّ من قصيدةٍ :

كبشُ الكتائب والكتاب وانهُ بالنجر ينطحُ هامةَ ابن خروفِ
متوقد الافكار يوشك في الدُّجى يبدو لهُ المستورُ كالمكشوفِ
فطنٌ تمنطق بالفصاحة وارتدى جلبابَ علمِ النحو والتصريفِ

الى ان ختمها بقولهِ وفي البيت الاخير تاريخ السنتين الهجريّة والمسيحيّة (١٢٦٤—١٨٤٧) :

لا زال محفوفاً بحظٍ وافرٍ والحظُّ مثل الحظّ بالتصحيفِ
فيهِ صفا عبد الحميد مؤرِخاً ناهيتُ نظمي في مديح نصيفِ

ولهُ مخمساً لقصيـدة الشيخ ناصيف المهملة فجعل تخميسهُ مهملاً كقصيدة الشيخ :

عدوّ المرء اولادٌ ومالُ لواسعهم اساودها صِلالُ
أُحاول طَوْلهم وهو المحالُ لاهل الدهر آمالٌ طوالُ
واطماعٌ ولو طال المطالُ

ومنها

مرور العُسر مرّ من كل حالِ وامرُ الله دمَّر كلَّ حالِ
سرورك والهموم دلاءُ دالٍ كرورُ الدهر حوَّل كل حالِ
هو الدهر الدوام لهُ محالُ

وكانت وفاة الشيخ عبد الحمد ابن الصبَّاغ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) فرثاهُ الشيخ اليازجي بقصيدة جميلة استهلّها بقولهِ:

لا عين تثبت في الدنيا ولا اثرُ ما دام يطلع فيها الشمس والقمرُ

الى ان قال:

قد كنت انتظر البشرى برؤيتهِ فجاءني غير ما قد كنت انتظرُ
ان كان قد فات شهدُ الوصل منهُ فقد رضيت بالصبر لكن كيف اصطبرُ
أحبُّ شيء لعيني حين اذكره دمعٌ واطيب شيء عندها السهرُ
هذا الصديق الذي كانت مودَّتهُ كالكوثر العذب لا ينتالها كدرُ
لا غرو أن احزنَ الزوراء مصرعهُ فحزنهُ فوق لبنانٍ لهُ قدرُ

فاستحسن اهل بغداد هذه المرثية وقرّظها السيد شهاب الدين العلويّ بابيات منها:

وافت فعرَّت بتأساء وتعزيةٍ عليهما يحسد الاحياءُ مَنْ قُبروا

وارّخها بقولهِ:

أسديتَ سلوة محزونٍ مؤرَّخةً اسدى رثاء بهِ السلوان والعبرُ

(عبد الجليل البصري) هو السيد عبد الجليل بن ياسين البصري ينتهي نسبهُ الى علي ابن ابي طالب ولد في البصرة سنة ١١٩٠ (١٧٧٦ م) ثم ارتحل منها الى الزُّبارة فسكنها حتى استولى عليها صاحب الدرعيَّة ابن السعود فسار الى البحرين وسكن بها الى سنة ١٢٥٩ (١٨٤٣ م) ثم استوطن الكويت وتوفي هناك سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤ م). واشتهر عبد الجليل بالحلم والكرم وكان ذا ادبٍ وعلم كما يشهد عليهما ديوان شعرهِ الذي طُبع سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣ م) في بمبي (ص ٢٨٠). واوَّل نظمهِ ابيات قالها مؤرخاً مولد ابنهِ عبد الوهَّاب سنة ١٢١١ (١٧٩٦):

حمدتُ الله إذ أسدى بفضلٍ وآلاءٍ تسامتْ أن تُضاهى
كريمٌ مَنَّ فيمن فيهِ اضحتْ رياضُ القلب مخضرًّا رباها
وطاب العيشُ وانكشفت هموم كذاك النفس منتفيًا عناها
فيا من قد منَنتَ بغير منٍّ بمن ساد الورى فخرًا وجاها
أدمني فيهِ مسرورًا دوامًا وفيهِ العينُ قرَّ بها كراها
ووَفِّقهُ لما نرضى وجنِّبْ هوى الاهواء واحفظ من غواها
وخيرُ الفالِ قد أرَّختُ لابني بطلعتهِ بشيرُ السعد باها

وقال على لسان فقير من ابناء السبيل طلب منهُ ابياتًا يترّق بها :

يا ماجدًا ساد عن فضلٍ وعن كرمٍ وهمَّةٍ بلغتْ هامَ السماك عُلا
يا من اذا قصد الراجي مكارمهُ نال الاماني وبرًّا وافرا عَجِلا
انَّا قصدناك والآمالُ واثقة بانَّ جودك ينفي فقر من نَذُلا
جئنا ظماءً وحسنُ الظنّ اوردنا الى معاليكَ لا نبغي بها بَدَلا
لقد اضرَّ بنا جَورُ العُداة وما اودى بنا الدهر يا بؤس الذي فعلا
عسرٌ وغُرْبَةُ دارٍ ثم مسكنة وذلَّةٌ وفراق قاتلٌ وبَلا
نشكو الى الله هـذا الحال ثمَّ الى ندبٍ جوادٍ يفيـد القاصدَ الأملا
عسى نصادف من حسناك مرحمةً تكون رفـدًا لنا اذ نقطعُ السبـلا
واغنم بذلك منـًّا خيرَ أدعيـةٍ يزفُّها قلبُ عافٍ بات مبتهلا
لا زلت تولي جميلًا كلَّ ذي املٍ في رفعةٍ ونعيمٍ دام متَّصلا

ولهُ يذمُّ الغيظ ويعدّد مساوئه :

للغيظ آفاتٌ يضيقُ بها الفتى فاذا استطعتَ لهُ دفاعًا فاجهدِ
منها حجابُ الذهن عن ادراكهِ امرًا تحاولـهُ كأن لم يُعهـدِ
وبهِ يُرى الفَطِنُ اللبيبُ كأنهُ عمًّا بهِ المعتوه او كالأبلهِ
وبـهِ الحليم الى الجهالـة صائرٌ ويحدُّ عنهُ بـهِ منارَ السؤددِ
وبهِ يُسيء لدى الورى اخلاقهُ حتى يُقال لـهُ لئيمُ المحتدِ
لا يرعوي لصحيح قول نصيحة ويرى النَّصوح كغائبٍ ومفنِّدِ
من حبَّ طَبَّ بما تناولَ علمهُ واخو النباهة يقتـدي بالمرشدِ

وقد سبق لنا حكم السيد عبد الجليل البصري لبطرس كرامة على الشيخ صالح التميمي ورَوينا ابياتًا من قصيدتهِ في مدح الشاعر النصراني فراجعها (ص ٦٤)

(الشيخ عبد الفتّاح شوَّاف زاده) اخذ العلوم الادبيَّة عن الشهاب الالوسي حتى صار من افضل الادباء. صنَّف تعليقات على كتب عديدة وقد كتب ترجمة شيخهِ

الالوسيّ في جزئين كبيرين ودعاهُ حديقة الورود في ترجمة ابي الثناء شهاب الدين محمود وضمّنهُ دقائق ادبيَّة ومسائل علمية. توفي سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥ م). واشتهر بعدهُ اخوهُ الشيخ عبد السلام ووضع تصانيف عديدة منها كتاب في المواعظ وانتهى اليهِ علم الفقه والحديث. ولا نعرف سنة وفاتهِ

(السيد عبد الفتاح السافيّ) هو الشيخ محمَّد امين الشهير بالواعظ. كان ذا خبرة تامَّة بالمسائل الشرعيَّة ونال من فنّ الادب باوفر نصيب. وكان ماهرًا في انشاء الصكوك ودرَّس مدَّة في المدرسة الخاتونيَّة. وصنَّف عدَّة مصنَّفات كمنهاج الابرار ونظم التوضيح. وكان لهُ النظم اللطيف منهُ قولهُ في مدح السيد محمود الالوسيّ مخمساً:

يا سائلي عن بحرِ علمٍ قد طما بعلومهِ يروي العطاش من الظما
ان قلتَ صفْ لي مَن نداك توسما انَّ الشهابَ ابا الثناء لقد سما
قدرًا على اقرانـهِ من أَوْجهِ

سعد السعود ببابهِ متقاعدًا والمشتري برحابه متعاقدًا
لا تنكرنَّ لأنسهِ يا جاحدًا ما زارني الَّا حسبتُ عطاردًا
في الدار أمسى نازلًا من أَوْجهِ

وتوفي سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) فقال السيّد عبد الغفَّار الاخرس فيهِ رثاء ختمهُ بهذا التاريخ:

بكى العلم والمعروف أرّخ كليهما بقبرٍ ثوى فيهِ الامين محمَّدُ

(السيد محمد سعيد) كان ابوهُ محمد امين الشهير بالمدرّس يعلّم في بغداد العلوم اللسانيَّة ووضع فيها بعض المصنَّفات فلمَّا توفي سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) خلفهُ ابنهُ السيد محمد وقُلد عدَّة مناصب كالنيابة والافتاء ثم انفصل وبقي مشغولًا بالتدريس الى سنة وفاتهِ ١٢٧٣ (١٨٥٧ م) وتآليفه منها نحويّة ومنها شرعيَّة. وصفهُ السيد نعمان افندي الالوسيّ بقولهِ: «انه كان ذا تقوى وديانة وعفَّة وصيانة لا يغتاب احدًا ولا ينمُّ على احد ابدًا وكان بشع الخطّ حديد المزاج كثير الوسواس عيّ الكلام... وكان كثير الصدقات على اليتامى والارامل». ولما مات رثاه السيد عبد الغفار الاخرس بقولهِ:

في رحمة الله حلَّ شيخٌ وجنَّةٍ دارُها الخلودْ
تفيضُ من صدرهِ علومٌ وقد طمى بحرُها المديدْ
ولم يزل ميتاً وحياً من علمه الناسُ تستفيدُ
سار الى ربهِ غيرَ فانٍ بالعزّ وهو العزيزُ الحميدُ
ومذ توفاهُ قلتُ أرّخ مضى الى ربّهِ سعيدُ

(عبد الباقي العمري الفاروقيّ) هو اديب العراق عبد الباقي بن سليمان بن احمد العُمَريّ الفاروقيّ الموصلي ولد في الموصل سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) انتهت اليهِ رئاسة الشعر والادب في وطنهِ. تغذّى منذ صغرهِ لبان العلم. وانتدبتهُ الحكومة السنيّة وهو ابن عشرين الى منصب كتخدا ووكيل الوالي فرافق قاسم باشا وعلي باشا الى بغداد وقام باعباء رتبتهِ اتمّ قيام وكذلك سار بالعساكر الشاهانيّة الى قبيلتي الزكرت والشمرت في النجف فقصّ جناح الفتنة بينهما بحسن درايتهِ وعاد الى بغداد مقروناً باليُمن والاسعاد ونال الحظوة من الدولة العليّة. ثمّ انقطع الى الكتابة والآداب فشاع نثرهُ الرائق وشعرهُ الفائق فألّف التآليف التي احرز بها قصب السبق في مضمار ادباء العراق وفاز بين فصحائهم بالقدح المعلّى. وكانت وفاته سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) قيل انهُ أرّخ نفسهُ في عام مماتهِ ببيتٍ كُتب على قبرهِ:

بلسانٍ يوحّدُ اللهَ أرّخْ ذاقَ كأسَ المنون عبد الباقي

امّا تآليفهُ فكلّها ناطقة بفضلهِ وتوقّد فهمهِ منها ديوان اهلّة الافكار في مغاني الابتكار وكتاب نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر وكتاب الباقيات الصالحات وكتاب نزهة الدنيا اودعهُ تراجم بعض رجال الموصل في القرن الثاني عشر والثالث عشر. ولهُ ديوان شعر يسمّى بالترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي طُبع مرّة بمطبعة حسن احمد الطوخيّ سنة ١٢٨٧ بمصر في ٣٣٦ صفحة ثم اعاد طبعهُ الشيخ عثمان الموصليّ بعد توسيع ابوابهِ وتكملتهِ سنة ١٣١٦ في ٤٥٦ صفحة. وها نحن نذكر بعض نتفٍ من شعرهِ تنويهاً بعلوّ مقامهِ في الآداب قال يؤرّخ جلوس السلطان عبد العزيز واجاد:

للتلغراف الفضلُ اذ جاءنا يقول بُشراكم بلفظٍ وجيزْ
قد أحرزتْ ملّتكم ارّخوا عزّاً بظلّ الله عبد العزيزْ (١٢٧٧)

وقال في التشبيه:

كأنَّ ضوءَ البدر في دجلةَ حين يشرقُ
والموجُ في انثنائهِ منهُ العُبابُ يخفقُ
قراضةٌ من ذهبٍ طفا عليها الزئبقُ

وقال في فتح الدولة العليَّة لحصن سِيوَسْتُبول مع الدولتين الفرنسويَّة والانكليزيَّة :

اقول للدُّوَل المنصورِ عسكرُها	لا زال عسكرها بالله منصورا
لمَّا اتَّفقتم على صدق المحبَّة في	ما بينكم واتحدتم صرتمُ سُورا
بسطوة دعتِ الاطوادَ راجفةً	دمَّرتمُ محصَّنات الروس تدميرا
مدافعٌ غطَّتِ الدنيا غمائمُها	فغادرت صبحَ يوم الحرب ديجورا
افواهُها دلعتْ للنار ألسنةً	فقرَّرت دَرْس ملك الروس تقريرا
رعدٌ وبرقٌ وغيمٌ من سدًى ولظًى	ومن دخان اعاد الكونَ ممطورا
أقلُّهم فرَّ لمَّا قرَّ اكثرهم	لكونهِ بات مقتولًا ومأسورا
والسيف غنَّى على هاماتهم طربًا	حتى حسبناهُ فوق الغصن شحرورا
غادرتمُ البرَّ بحرًا يستفيضُ دمًا	والبحرَ برًّا على الأشلاء معبورا
سيوَسْتبول التي اعيتْ معاقلُها	سخَّرتمُ حصنَها أرَّختُ تسخيرا (١٢٧١هـ)

ولهُ مشطرًا ابياتًا منسوبةً لابي نصر الفارابي الفيلسوف الشهير :

(كمّلْ حقيقتك التي لم تكملِ)	ومن ارتكاب النقص كُن في معزلِ
وابغِ لنفسك ما ترقيها بهِ	(والجسمَ دَعهُ في الحضيض الاسفلِ)
(أتُكمّل الفاني وتترك باقيًا)	تكميلُهُ اولى بحقِّ الاكملِ
فهو الذي لا ينبغي لك تركهُ	(هملًا وانتَ بأمرهِ لم تحفلِ)
(فالجسمُ للنفس النفيسة آلةٌ)	تقضي المرامَ بها اذا لم تكسلِ
ولكم عليها من حقوقٍ للعلا	(ما لم تحصّلها بهِ لم تحصلِ)
(يفنى وتَبقى دائمًا في غبطةٍ)	ان فارقتْهُ ودولةٍ لم تنقلِ
وسعادة ابديةٍ لا تنقضي	(او شقوةٍ وندامةٍ لا تنجلي)
(أعطيتَ جسمك خادمًا فخدَمتَهُ)	وأحلْتَ حكم معزَّزٍ لمذلّلِ
وجعلتَ من هو فوقَهُ من دونهِ	(أتُملّكُ المفضولَ رقَّ الافضلِ)
(شركٌ كثيفٌ انتَ في حبلاتهِ)	قيد الحياة اسير قيدٍ مثقلِ
منهُ وانت بهِ بأيّةِ حيلةٍ	(ما دام يمكنك الخلاصُ فعجّلِ)
(من يستطيع بلوغَ اعلى منزل)	متدرّجًا فوق السماك الاعزلِ
ويرى الثريا تحت أخمص رجلهِ	(ما بالهُ يرضى بأدنى منزلِ)

ولعبد الباقي الفاروقيّ مع ادباء زمانهِ مراسلات لطيفة فمدحوهُ ومدحهم بقصائد

لا تحصى لا يسعنا ذكرها وكثيرٌ منها يتضمَّن الطُّرَف المستطرفة ونكتفي بذكر بعض ابيات قالها في تقريظ مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي اوَّلها:

غُرَرٌ أم دُرَرٌ مكنونةٌ في عُباب البحر بين الصدَفَيْنْ

الى ان قال:

قد أتَتْني تتقاضى دَيْنَها فوفتْ للمجد عني كلَّ دَيْنْ
بمزاياها العقولُ ارتسمتْ فمحتْ عن عين عقلي كل غَيْنْ
وتجلّت صُوَر العلم بها فجلت عن كل قلبٍ كلَّ رَيْنْ
وعلى الاحسان والحسن معاً طُبِعت والطبع مشغوفٌ بذَيْنْ
رحتُ من راحة معناها ومن روح مبناها حليفُ النَّشأتَيْنْ
يا لسِفرٍ اسفرتْ الفاظُها بين أُفقَيْه سفورَ النيّرَيْنْ
يا لهُ قاموس فضلٍ قد طوى مجمع البحرين بين الدفتَيْنْ

وكان مدحهُ سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) بقصيدة بائيَّة يقول فيها:

أبلى النوى جسدي النحيفَ كأنَّني قلمٌ بدا بيدَيْ نصيف الكاتبِ
حَبرٌ حلا في حِبرهِ قرطاسُهُ كالتبرِ لمَّا لاح فوقَ ترائبِ
فسطورهُ وطروسهُ في حسنها حاكت سماءً زُيِّنت بكواكبِ

وختمها بقولهِ:

لو قمتُ طول الدهر انشد مدحهُ بين الانام فلم أقُم بالواجبِ
وبمدحهِ العُمَريُّ آبَ مؤرخاً ترتيب مدحي في نصيفٍ الكاتبِ

فقال الشيخ ناصيف يجيبهُ بقصيدةٍ من البحر والقافية:

احسنتَ في قول وفعلٍ بارعاً وكلاهما للنفس اكبرُ جاذبِ
انتَ الذي نال الكمال موفَّقاً من رازق مَن شاءَ غير محاسبِ
فاذا نظمت فانتَ ابلغ شاعرٍ واذا نثرتَ فانت افصح خاطبِ
واذا نظرتَ فمن شهابٍ ثاقبٍ واذا فكرت فمن حسامٍ قاضبِ
هذا رسولٌ لي اليك وليتني كنتُ الرسولَ لها بمعرض نائبِ

ومن اقوال الفاروقي وصفهُ للتلغراف:

لخطّ التلغراف حروفُ جرٍّ يجيءُ بها من الغور البعيدِ
ويلفظها بغير فمٍ ولكن بالسنةٍ حِدادٍ من حديدِ

هذا وقد اشرنا سابقاً الى قصيدته الخاليَّة التي عارض بها خاليَّة بطرس كرامة

تجدها في ديوانه (ص ٢٤٧ — ٢٤٣) من الطبعة الجديدة) فدارت بسببها المراسلات بين الشاعرين . وقد هنَّأه بطرس كرامة برتبته الكتخداويَّة بقصيدة مطوَّلة يقول فيها :

الشاعر الفرد الذي اهدى لنا ... دُرَر البحور نُظمنَ في الاوراقِ
دررٌ بجيدك ام حباك قلائدًا ... من شعره العُمَريُّ عبد الباقي
جمعَ الفصاحة بالبلاغة مثلما ... قرن الحجى بمحاسن الاخلاقِ

وممن خدموا الآداب بين العراقيين غير المذكورين بعض اهل الفضل ممّن لم نعلم من احوالهم الّا النزر القليل فنثبت هنا اسماءهم تتمّة للفائدة فمنهم (الشيخ يحيى المروزيّ العمّادي) اصلهُ من العماديَّة من قرى الاكراد قرب الموصل برّز في التدريس وصار عليهِ المعوَّل في مذهب الامام ادريس وكان احد مشايخ الشهاب الالوسيّ الذي اثنى على زهده وعلوّ نفسهِ وخدَّهُ ببيتين قيلا في الشافعي :

عليَّ ثيابٌ لو يُباعُ جميعها ... بفلسٍ لكان الفلسُ منهنَّ اكثرا
وفيهنَّ نفسٌ لو تُباع بمثلها ... نفوس الورى كانت اعزَّ واكبرا

توفي الشيخ العمّادي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) . ومنهم (الشيخ احمد بن عليّ بن مشرف) كان اصلهُ من نجد فانتقل الى العراق وطار صيتهُ فيها ومات بعد السنة ١٢٥٠ وكان اعمى يحسن نظم الشعر فمن قولهِ في المدح ما انشد في آل مقرن :

ومهما ذكرنا الحيّ من آل مقرنٍ ... تهلّل وجهُ الفخر وابتسم المجدُ
همُ نصروا الاسلام بالبيض والقنا ... فهم للعدى حتفٌ وهم للهدى جندُ
غطارفة ما إن يُنال فخارهم ... ومعشرُ صدقٍ فيهم الحدُّ والجدُّ

ومنهم (عبد الغنيّ بن الجميل) هو عبد الغني افندي الشهير بابن جميل . ولد سنة ١١٩٤ (١٧٨٠) واتقن الفنون العربيَّة واتسع في سائر العلوم . ورحل مرارًا الى دمشق الشام وصاحب فضلاءها كالشيخ عبد الرحمان الكزبري والشيخ حامد العطّار حتى فوّض اليهِ رضا باشا إفتاء الحنفيَّة في بغداد ثم أُصيب ببعض الآفات والبلايا وتوفي ابن جميل سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢) ولهُ شعر طيّب كلهُ في الحماسة فمن ذلك قولهُ :

أيذهب عمري هكذا بين معشرٍ ... مجالسهم عاقَ الكريم حلولُها

وابقى وحيدًا لا ارى ذا مودَّةٍ من الناس لا عاش الزمانَ مَلولُها
وكيف ارى بغداد للحرّ منزلًا اذا كان مَفريَّ الاديم نزيلُها
فما منزلٌ فيهِ العداءُ بمنزلٍ وفي الارض للحرّ الكريم بديلُها

ومنهم (محمّد الاخفش) هو محمد سعيد افندي البغداديّ الشهير بالاخفش. قرأ على العلّامة الالوسيّ وشرح الالفية في النحو للامام السيوطيّ. وكان محبًّا الاداب ولهُ شعر حسن اخذتهُ يدُ التلف وكان كثير المزاح واللطائف توفي سنة نيّف وثمانين بعد المائتين والالف (١٨٦٣). ومنهم الشيخ جمال الدين الكوّاز كان اصلهُ من الحلّة ويرتزق بحرفة الكوازة الّا انهُ كان مشغوفاً بالآداب خفيف الروح حسن المحاضرة ولهُ شعر كلهُ في الغزليّات وقيل انهُ نظم الشعر قبل البلوغ. توفي في الحلة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢). ومنهم (الشيخ عيسى البندبيجيّ) هو ابو الهدى عيسى افندي صفاء الدين البندبيجي اصلهُ من بندبيج على حدود بلاد العجم فسكن بغداد ودرس العلوم اللسانيَّة والفقهيَّة والادبيَّة حتى اشتهر فيها وكان ذا تقوى وصلاح ودرَّس زمناً في مدرسة داود باشا وجُعل رئيس المدرّسين. ومن تآليفهِ كتاب تراجم مَن دُفن في بغداد وضواحيها توفي سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧)

﴿ أدباء المغرب ﴾ انَّ اخبار المغرب تكاد تكون مجهولة في اصقاعنا فدونك النزر القليل الذي امكنّا جمعهُ من تراجم أُدباء تلك الجهات

(سليمان الحرائري) هو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرائري الحسني ولد في تونس سنة ١٢٤١ (١٨٢٤) وأصلهُ من اسرة قديمة قدمت من العجم الى المغرب فدرس العلوم الدينيَّة في وطنهِ ثمَّ تفرَّغ لدرس اللغة الفرنسويَّة والعلوم الرياضية والطبيعيات والطب. وعُهد اليهِ تدريس الرياضيَّات في بلدهِ وعمرهُ ١٥ سنة ثمَّ اتخذهُ باي تونس كرئيس لكتَّاب ديوانه. وفي سنة ١٨٤٦ قدم الى باريس فصار احد اساتذة مدرسة لغاتها الشرقيَّة وكان يحرّر في جريدة عربيَّة هناك تُدعى البرجيس. ونشر فيها قسماً من سيرة عنترة وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ثمَّ طبعها على حدة. ومما طبعهُ في تونس كتاب مقامات الشيخ احمد ابن محمد الشهير بابن المعظَّم احد ادباء القرن الثالث عشر للمسيح. ووصف معرض باريس سنة ١٨٦٧ في كتاب سماه عرض البضائع العام. ولهُ رسالة في القهوة دعاها « بالقول المحقَّق في

تحريم البن المحرّق»وعرّب الاصول النحويّة للغوي الفرنسويّ لومون (Lhomond)٠ وكذلك وضع كتاباً في الطبيعيّات والظواهر الجويّة لخّصهُ عن كتب الفرنج وسمّاهُ رسالة في حوادث الجوّ وطبعهُ سنة ١٨٦٢ في باريس٠ ولا نعرف تاريخ وفاة الجزائري ولعلّهُ مات بعد سنة ١٨٧٠ الّا ان تآليفهُ كلها قبل هذا العهد

(محمّد التونسيّ) هو محمّد بن عمر بن سليمان التونسي ولد سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وتخرّج على شيوخ الازهر في مصر ثمّ سافر الى درفور والسودان وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ: كتاب تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان٠ وقد طُبعت هذه الرحلة على الحجر في باريس سنة ١٨٥٠ بهمّة المستشرق الفرنسوي پارون (Perron) الذي نقل مضامينها الى الفرنسوية وذيّلها بالحواشي٠ ولما عاد التونسيّ من رحلته خدم الآداب في مطبعة بولاق فتولى تصحيح مطبوعاتها توفي سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)

(محمود قبّادو) هو الشيخ السيد ابو الثناء محمود قبّادو الشريف٠ كلف باحراز الآداب فنال منها نصيباً وافرًا٠ وكانت لهُ ذاكرة عجيبة لا ينسى شيئاً ممّا سمعهُ٠ قيل انهُ سمع يوماً رسالة افرنسيّة وهو لا يعرف تلك اللغة فاعادها بحرفها٠ وكان متضلعاً بكل علوم العرب لكنهُ برّز في الشعر وكان يقولهُ بديهيًّا٠ ولهُ ديوان شعر في جزئين جمعهُ تلميذهُ الشيخ عبده محمد السنوسيّ فطبعهُ في تونس (١٢٩٣ – ١٢٩٦)٠ توفي السيد محمود ولم يدرك الخمسين من عمره نحو السنة ١٢٨٨ (١٨٧٠)٠ وكان بينهُ وبين الكنت رشيد الدحداح صداقة ومراسلات٠ وقد روى لهُ الشيخ رشيد بعض الآثار الدالة على فضله من ذلك تشطيرهُ لقصيدة بشر بن عوانة في مبارزة الاسد بعد ان افتتحها بابيات حسنة يقول فيها:

أفاطمَ هل علمتِ مضاء عزمي ومطمح همّتي نخوًا وكبرا
وَجُود يدي وإقدامي وبأسي ولا اعصي لباغي العُرف امرا
تلين لمن يسالمني قناتي وتصلب ان يَرُم ذوالغمز هصرا
واني لا اعدُّ الوفرَ ذُخرًا ولكنّي اعدُّ الذكر ذخرًا

ثم يليها التشطير الذي هذا اوّلهُ:

(افاطمَ لو شهدتِ ببطن خبتٍ) لهانت عندكِ الاخبارُ خُبْرا

ولو اشرفتَ في جنحٍ عليهِ (وقد لاقى الهزَبْرُ اخاك بِشرا)
(اذًا لرأيتَ ليثًا رام ليثًا) وكلٌّ منهما بأخيهِ مُغرى
يرى كلٌّ على ثقةٍ اخاهُ (هزبرًا اغلبًا لاقى هزبرا)
(تَبهنَس اذ تقاعس عنهُ مُهري) واقبل نحوهِ أُذنيهِ ذعرا
فكاد يريبهُ فيخال مني (محاذرةً فقلتُ هُقِرتَ مهرا) . . .

ومن نظمهِ قصيدة دالية قالها تهنئة للسلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٦ (١٨٥٦) ضمَّنها عددًا وافرًا من التواريخ وتفنن فيها على طرائق عجيبـة. ومن مديحه قولهُ في الكنت رُشيد :

فيا مخبرًا لاحت بمرآة طبعهِ خبايا طباع الدهر فهي لهُ تبدو
بقيتَ رشيدًا طبق وَسْمك مرشدًا ُجميًّا من كل الامور لك الرشدُ

أُدباء النصارى

نذكر الذين اشتهروا من النصارى بخدمة الآداب العربيَّة في هذا الطور مدوّنين اسماءهم على توالي الزمان

(جبرائيل المخلَّع) هو جبرائيـل بن يوسف المخلَّع ولد في دمشق في اواخر القرن الثامن عشر وتفقَّه في العلوم العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّـة ثمَّ سافر الى مصر وبقي فيها مدَّة يتنقَّل في دواوين الانشاء في الاسكندريَّة ثمَّ عاد الى دمشق ومات نحو السنة ١٨٥١ . ومن مآثره ترجمة كتاب شهير عند العجم يسمَّى الجلستـان اي روضة الورد لصلاح الدين السعدي. عرَّبهُ تعريباً متقناً بالنظم الرائق والنـثر المسجَّع المنسجم ثمَّ طبعهُ سنة ١٨٤٦ في بولاق. وهذا مثال من ترجمتهِ (ص٨٤) :

(حكاية) نظرتُ اعرابيًّا في حلقة الجوهرية بالبصرة ، وهو يقول : اسمعوا يا ذوي النقد والخبرة ، كنتُ ضللتُ في الصحراء طريق الجواز ، ولم يبقَ معي من معنى الزاد ولا المجاز ، فايقنت بالهلاك ، وسمحتُ لهُ بالفؤاد اذ ذاك ، فبينا انا في البيداء اتلظّى الضرّ ، واذا بي وجدتُ كيسًا ممتلئًا بالدرّ ، فلا انسى ما علاني من الفرح والمسرَّة ، اذ توهَّمت ان أجد قمحًا مقليًّا في تلك الصرَّة ، فلمَّا تحقَّقتُ فيهِ وعاينتُ الدرّ والماس ، دهشتُ من الغمّ الذي لا يبرح عن الفكر بحلول الياس

في يابس البيدِ او حرّ الرمال فما لظامئ القلب يُغني الماسُ والصَّدَفُ
العادم الزاد اذ تهوى بهِ قدمٌ لهُ استوى الذهبُ المكنوزُ والخزفُ

(حكاية) كان بعض العرب يُنشد من شدَّة الظما ، وقد علا عليهِ حرُّ البادية وَحَمى :

يا ليت قبل منيتي يوماً افوزُ بمُنيتي
نهراً يُلاطمُ ركبتي وأظلُّ املا قُربتي

(حكاية) كذلك ضلَّ في قاع البسيطة بعض السفَّار ، ولم يبقَ معهُ قوتٌ ولا قوَّة اقتدار ، ما خلا يسراً من الدراهم قد ادَّخره في وسطهِ ولم ينفقهُ في الضيق ، ولا اهتدى بعد ان طاف كثيراً الى الطريق ، فهلك بالمشقَّة ، وبُعْد الشقَّة ، فرَّ عليهِ طائفة من الناس ، فوجدوهُ قد وضع الدراهم عند الراس ، وخطَّ على التراب من عدم القرطاس :

جميعُ نُضار الجعفريّ لمن خلا عن الزادِ لا يغنيهِ شيئاً من الضرِّ
ومن يحترقْ في القفر فقراً فانهُ لهُ السلجمُ المطبوخُ خيرٌ من التبرِ

وفي تقريظ ترجمة هذا الكتاب قال شهاب الدين الشاعر المصريّ :

كواكبٌ اشرقتْ تزهو بانوارِ ام لاح لي روضُ ازهار وانوارِ
كلَّا بل الالمعيُّ اللوذعيُّ بدا منهُ بدائعُ اسجاعٍ واشعارِ
زهتْ معاني جُلستانَ البديعةُ في ما صاغَ من عربيِّ اللفظِ للداري
لا غرو أن جاءَ جبريلُ الكريمُ بما مقروهُ حيثُ يُتلى يعجب القاري
معرَّب عبَّرت عنهُ براعتهُ عبارةٌ اظهرتهُ ايَّ اظهارِ
منثورهُ دررٌ في سمطهِ نُظمت نظماً بلاغتهُ جاءت باسرارِ
واذ زها حسنهُ بالطبع مبتهجاً أرَّختُ ازهى بهيجٍ روضَ ازهارِ

(مارون النقَّاش) هو مارون بن الياس بن مخائيل النقَّاش ولد في صيدا سنة ١٨١٧ ثم انتقل مع والدهِ الى بيروت وانكبَّ على درس اللغات والآداب العربيَّة حتى حذق فيها واخذ عن المرسلين اللاتينيين مبادئ اللغتين الفرنسوية والايطاليَّة . وكان مارون مع سعة علمهِ فاضلاً تقيّاً متشبثاً بالدين مثابراً على تعاليمهِ وقد جعلتهُ الحكومة السنية باشكاتباً لدواوين (كمارك) بيروت وملحقاتها . ثمَّ تجوَّل مدَّة في القطر المصري واجتمع بادبائهِ ثم ساح في انحاء اوربا ورجع مغرًى بفنّ التمثيل فعرَّب عدَّة روايات وسعى بتشخيصها وكان اول من مهَّد الطريق لهذا الصنف من الملاهي في هذه البلاد . وقد طبع بعد وفاتهِ اخوهُ نقولا المحامي الشهير قسماً من رواياتهِ في كتاب سمَّاهُ ارزة لبنان يحتوي روايات البخيل والمغفَّل والحسود حذا فيها مارون حذوَ الراوية موليار الفرنسويّ واودعها كثيراً من العادات الشرقيَّة . وجاراهُ في عملهِ اخوهُ نقولا المذكور وسليم ابن اخيهِ خليل فراجت بذلك سوق الروايات ويا ليتها كسدت مع كثرة مضارّها وقلَّة من يراعون فيها الآداب الصالحة . ثمَّ سافر مارون

النقّاش الى طرسوس للمتاجرة وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٨٥٥ فقال اخوهُ نقولا يرثيه :

بدرُ هوى لا بل ذوى غصنُ وذا مرقدُهُ
نقّاشُ علمٍ سيّد العلم ارتقى يسعدهُ
يا رحمة المولى على مارونا تعضدُهُ
ويصبّ هاطل غيثها أرّخ وتغمدهُ

ثمَّ نقلت بعد ذلك رفات المرحوم الى بيروت ودفنت فيها سنة ١٨٥٦ فقال شقيقهُ :

ناديتُ مذ عاد سؤلي منتهى الاملِ طرسوسُ لا ناقتي فيها ولا جملي
عودًا كبدرٍ تولّاهُ الخسوف لذا ها قد أرّختُ سناهُ غير مكتملِ

وكان مارون صديقًا للشيخ ناصيف اليازجي يتناوبان على الرسالات الوديّة الادبية منها رسالة وجّهها الشيخ ناصيف الى مارون اذ كان في طرسوس اوّلها :

ماذا الوقوفُ على رسوم المنزلِ هيهات لا يجدي وقوفك فارحلِ

قال فيها :

يا ايها النحريرُ جهبذَ عصرهِ ما لي ابثّك علمَ ما لم تجهلِ
انّ المقدّمِ للحكيم افادةً كمقدّمٍ للشمس ضوءَ المشعلِ
بَعُدَ المزارُ على مشوقٍ لم يكن يشفى على قرب المزار الاولِ

وختمها بقولهِ :

ان كان قد بَعُدَ اللقاء لعلّةٍ فابعث اليَّ بلُهنةِ المتعلّلِ

فاجابهُ مارون بما مطلعهُ :

وردت اليَّ من المقام الافضلِ غررُ الوشاح من الطراز الاولِ

الى ان قال :

يا من اذا سمح الزمان بنعمةٍ ابقاك نورًا في الظلام لينجلي
كلُّ الرجال اذا مضوا يُرجى لهم بدلٌ سواك فلست بالمُستَبدَلِ
جاريتَني فقصرتُ دونك همّةً حتى عجزتُ فقد يحقُّ العُذرلي
انَّ الضعيف مقيّدًا بلسانهِ مثلُ الاسيرِ مقيّدًا بالارجلِ

فلما نُعي الى الشيخ صديقهُ بعد اشهرٍ نظم في رثائهِ قصيدتين من اجود مراثيه

قال في الواحدة:

مات الحبيبُ الذي مات السرور بهِ من القلوب وعاش الحُزن والضَرَمُ
قد كنت اشكو بعاد الدار من قِدَمٍ فحبَّذا اليوم ذاك البعدَ والقدَمُ

ومنها:

ايُّ الفضائل ليست فيك كاملةً وايُّ عيبٍ تراهُ فيك يُتَّهمُ
فيك التُّقى والنقا والعلم مجتمعٌ والحلم والحزم والاحسان والكرمُ
نرثيك بالشعر يا نقَّاش بردتهِ والشعرُ يرثيك حتى تنفذ الكلِمُ
تبكي عليك القوافي والمحابر وا أقلام والصحفُ والاراءُ والهِمَمُ
وكلُّ ديوانِ شعرٍ كنتَ تنظمهُ وكلَّ ديوانِ قومٍ فيكَ ينتظمُ

وفي ختامها:

ان كنتَ قد سرتَ عن دار الفناء فقد نلتَ البقا حيث لا شيبٌ ولا هرمُ
انَّ السعيد الذي كانت عواقبهُ بالخير في طاعة الرحمان تُختتمُ

ومما قال في المرثاة الثانية:

الموت يختار النفيس لنفسهِ منَّا كما نختار نحن فما اعتدى
قد نال منَّا درَّةً مكنونةً كانت لبهجتها الدراري حُسَّدا
كنزٌ ذخرناه لنا فاغتالهُ لصُّ المنيَّة خاطفاً متمرِّدا

وختمها بهذا التاريخ:

لو غبتَ عن نظرٍ فقد خلَّفت بالتـاريخ ذكرًا في القلوب مخلَّدا

وكذلك رثاهُ الشاعر المفلق اسعد طراد بقصيدة طنَّانة اولها:

دهرٌ يغرُّ فخذ من دهرك الحذرا أما تراه يريك العُجب والعبرا

وختمها بتاريخ هذا منطوقهُ:

لو غابَ قُلْ في السما تاريخهُ سُرى فانهُ في نعيم الله قد حضرا

ولمارون النقاش ما خلا رواياتهِ قصائدُ متفرّقة وفقرات ورسائل جمع اخوهُ قسماً منها في آخر كتاب ارزة لبنان منها منظومة في نحو مئتي بيت في علم العروض والقوافي. ومن نظمهِ قصيدة قالها في الشاعر الفرنسوي دي لامرتين لما احتلّ الربوع السوريّة دعاها كوكب المغرب. ومنها ايضاً قصيدة تهنئة رفعها الى سعيد باشا خديوي مصر سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) اولها:

لِسعد سُعودِ مَن سلفوا حدودُ وسعدُ سعيد مصرَ لهُ خلودُ
أتاه النيلَ معترفًا بفضلٍ لهُ اذ فاضَ من كفّيهِ جودُ
فهذا حكمةٌ مدٌّ وجزرٌ وهذا حلمةٌ طامٍ مديدُ
فقد بلغت مناقبهُ كمالًا ومهما ازداد مدحًا لا يزيدُ

وكتب من الاسكندرية مجيباً على قصيدة للخوري يوسف الفاخوري معلمه:

هل هلالٌ هلَّ ام اهلُ الكرمْ نثروا التبر على خط القلمْ

الى ان قال:

أيْ ابي الروحي ولولا لائمي قلتُ مَن يشبهْ اباه ما ظلمْ
فهو بحرٌ نلت من فيضانهِ وانا تلميذ ذيّاك العلَمْ
مخزنُ العلم وفي تدريسهِ معدن الحلم وكلّيُّ الهممْ
قد كساني ثوبَ تعليمٍ بما فتح الله عليهِ وقسمْ
لست انسى جودهُ حاشا ولم انسَ اياماً تقضّت في نعمْ

وللمرحوم عدَّة تواريخ منها تاريخ على لسان اسعد ابن اخيهِ حبيب ومات صغيرًا سنة ١٨٤٢:

اني هلالٌ قد دنوتُ من الثرى قبل أن أتمّ فهكذا ربي امرْ
لكن لعمري لم اغب عن منزلي الّا لاشرق في النعيم كما القمر
وكما روى النقّاش نَقْش تأرُخي لأفوز اسعد بالسعادة عن صغرْ (١٨٤٢)

ومنها قولهُ موْرخاً لوفاة البطريرك يوسف الخازن وارتقاء خلفهِ غبطة السيد بولس مسعد سنة ١٨٥٤:

في افق كرسيّ انطاكيةٍ عجبٌ بدرٌ توارى وبدرٌ فوقَ سدَّتهِ
ان غاب ذاك واضنانا بميتتهِ فناب هذا واشفانا بنوبتهِ
دعا الاله لذاك المرتقي خلفاً ارّخت بولس مختارٌ لدعوتهِ (١٨٥٤)

(ابرهيم بك النجار) وهو المعروف بابرهيم افندي ولد في دير القمر سنة ١٨٢٢ كان رجلًا هماماً محباً للاداب منذ نعومة اظفارهِ فلما قدم لبنان الدكتور الفرنسويّ كلوط بك رئيس اطباء العساكر المصرية سنة ١٨٣٧ نال من محمَّد علي باشا بان يُدخلهُ مع غيره من السوريين في مدرسة القصر العيني في مصر فتلقّى فيها الدروس الطبيَّة ونال الشهادة الموْذنة ببراعتهِ سنة ١٨٤٢ ثمَّ سافر الى الاستانة العليَّة ودرس على اساتذتها المتطبيين وبقي مدَّة هناك يتعاطى مهنتهُ فاصاب شهرةً عظيمة حتى

عيَّنتهُ الدولة العليَّة كطبيب اول للعساكر الشاهانيَّة في مارستان بيروت العسكري. وفي سنة ١٨٤٦ تجوَّل في انحاء اوروبة وطبع في مرسيلية سنة ١٨٥٠ كتابهُ «هديَّة الاحباب وهداية الطلَّاب» في المواليد الثلاثة وملخص العلوم الطبيعيـة ثمَّ عاد الى بيروت ومعهُ ادوات طبعيَّة فانشأ مطبعتهُ الشرقيـة (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠]: ١٠٣٢) نشر فيها تاريخ رحلتهِ الى مصر واعقبها بتاريخ السلاطين العظام (سنـة ١٢٧٢—١٢٧٥هـ — ١٨٥٥—١٨٥٨م) وسمَّاهُ مصباح الساري ونزهـة القاري فقرَّظهُ مفتي زاده السيد محمَّد مفتي بيروت بقوله:

جزا الله المؤلفَ كلَّ خيرٍ لهذا العقد في جيد الحسانِ
امصباحٌ بدا ام بدرُ سارٍ بافق سما البلاغـة والمعاني

ومن حسن مساعي ابراهيم بك انهُ عُني باستجلاب ادوات الطباعة لدير طاميش سنة ١٨٥٥ كما ذكرنا سابقاً (المشرق ٤ [١٩٠١]: ٤٧٣). وكان للمترجم شعرٌ قليل منهُ قولهُ في مدح السلطان عبد المجيد:

ملكٌ اضا على الانام بسبعـة احيا الزمان بها فمات الجُسَّدُ
حزمٌ وعدلٌ رحمةٌ وطلاقـةٌ حلمٌ وبذلٌ غيرةٌ لا تُجحَدُ
دانت لباب جلالـهِ امم الورى فغدت بشوكتهِ تسرُّ وتسعـدُ
خضع السدادُ لحزمهِ وبعزمـهِ هزم العدى بالسيف حيث يُجرَّدُ
فاذا الخطوبُ تجمَّعت فاتلوا لها عبدُ المجيد فانها تتبدَّدُ
واذا تصوَّر في الدجنَّة ذاتهُ لاح الصباح ونوره يتوقَّدُ

وتوفي ابراهيم بك بعزّ كهولتهِ في ١٢ ايلول سنة ١٨٦٤. وكان المذكور قليل الدين في حياتهِ الا انهُ قبل وفاته انعم الله عليهِ بالارتداد الى التوبة على يد المرحوم الخوري جرجس فرج فقال الشيخ ناصيف اليازجي يرثيه:

ضاق الرثاء بنا من فرط ما اتَّسعا كالماء طال عليه الورد فانقطعا

ومنها:

قد كان في طبّهِ للناسِ منفعةٌ فاذ الى الموت ذاك الطبُّ ما نفعا
وكان يبري من الناس الجراحَ فهل يبري جراحَ فؤادٍ بعدهُ انصدعا
سارت الى الله تلك النفس تاركةً جسماً يُرى في تراب الارض مضطجعاً
كلٌّ الى اصلهِ قد عاد منقلباً فانحطَّ هذا وهذا طار مرتفعا

(طنوس الشدياق) هو الشيخ طنوس بن يوسف بن منصور الشدياق ولد في اوائل القرن التاسع عشر في الحدث من سلالة قديمة اصلها من حصرون يُعرف نسبها من القرن السادس عشر . درس طنوس مع اخوتهِ في مدرسة عين ورقة وتعاطى التجارة مدَّة ثمَّ انقطع الى خدمة الامراء الشهابيين فارسلوهُ الى عكا ودمشق وقام باعباء خدمتهِ بكل نشاط وأُقيم بعد ذلك قاضياً على النصارى في لبنان . وقد اشتهر طنوس بمعارفه التاريخية . وكان كلفاً بتاريخ لبنان فصنَّف كتابهُ المسمى باخبار الاعيان في تاريخ لبنان جعلهُ ثلاثة اقسام في جغرافيَّة لبنان ثم في انساب اعيانهِ ثمَّ في اخبار ولاتهِ وقد راجع في تأليف كتابهِ عدَّة مخطوطات سرد اسماءها في المقدَّمة . وهو ادقُّ واضبط ما وضع الى يومنا لا سيما في تاريخ الازمنة الاخيرة وساعدهُ في تهذيبهِ وتنقيحهِ ونفقات طبعهِ المعلم بطرس البستاني . وكان نجازهُ سنة ١٨٥٩ بعد شغل نحو خمس سنوات وانما نقصته فهارس للاستدلال على مضامينه . وقد عُرف صاحب هذا الكتاب بتجردهِ عن الاغراض كما قال :

خلا تاريخنا من كل ميلٍ   ومين بين اخبار الزمانِ
وجاء بعون مولانا سديداً   مفيداً ما لهُ في النفع ثانِ

توفي سنة ١٨٦١ ولهُ شعر لم يُطبع وكان شديد التمسك بالدين مستقيم السيرة محباً للصدق . وهو اخو فارس الشدياق لكنه لم يتبعه في ضلاله . ومما يُذكر من آثارهِ ايضاً انهُ كان يشتغل بمعجم الالفاظ العاميَّة ولم ينجزهُ (١

(ابراهيم العورا) هو ابن المعلم حنا العورا الروميّ الملكيّ الكاثوليكيّ ولد في عكة في اواخر القرن الثامن عشر وتخرَّج بالاداب هو واخوه ميخائيل على ابيهما الذي خدم في ديوان انشاء محمد باشا الجزَّار ثمَّ في ديوان خلفهِ سليمان باشا . فبرع ابراهيم في الكتابة وضُمَّ الى كتَّاب ديوان الانشاء تحت نظارة والده وخالهِ ابراهيم نحّاس وذلك سنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م) . وكان مغرماً بتاريخ بلاد الشام يدوّن من حوادثها ما امكنهُ ثمَّ جمع ذلك في كتاب ضمنهُ تاريخ سليمان باشا وافتتحهُ بمجمل اخبار القرن الثامن عشر ثمَّ اتسع في تاريخ الاحوال التي جرت في آخر ايَّام الجزَّار

---

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG, IX : 269)

ولاسيا في عهد خلفهِ سليمان باشا الى وفاتهِ سنة ١٢٣٤ (١٨١٨) ولم يزل يحسّن هذا التاريخ ويهذّبهُ حتى اتمّهُ سنة ١٢٦٩ (١٨٥٣) وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة منهُ وهو سفر جليل يحتوي امورًا عديدة وتفاصيل لا تكاد تجدها في غيرهِ روى اكثرها عن ادباء عصرهِ وعن معرفتهِ الخاصة مما عاينهُ بنفسهِ فزادت بذلك خطورتهُ . توفي ابراهيم العورا سنة ١٨٦٣ فكتب الشيخ ناصيف اليازجي هذا التاريخ على قبرهِ :

لا تجزعوا يا بني العوراء واصطبروا فمن ذخر لكم بالامس قد فُقدا
من فوقهِ احرف التاريخ ناطقة في طاعة الله ابرهيمُ قد رقدا

(ناصيف المعلوف) هو احد الذين اشتهروا في هـذه المدَّة بين نصارى الشرق بآدابهِ ومعارفهِ اللغويَّة . وقد مرَّ لـهُ في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٧٧٣ : ٨٤٧ الخ) ترجمة مطوَّلة بقلم الكاتب البارع عيسى افندي معلوف نقتطف منها ما يليق بالمقام . هو ناصيف بن الياس بن حنا المعلوف . كان ابوهُ في خدمة الامير بشير الشهابيّ يقطن مع اسرتهِ قرية زبوغا وفيها ولد ابنهُ ناصيف سنة ١٨٢٣ فسلمهُ ابونا الى بعض افاضل المعلمين من كهنة ومرسلين فانكبَّ على درس اللغات والعلوم بكل رغبة ثمَّ رافق التاجر الشهير يوحنا عرقتنجي في رحلتهِ الى ازمير سنة ١٨٤٣ واتمَّ هناك دروسـهُ في مدرسة الآباء اللعازاريين واتقن اللغات التركيَّة واليونانيَّة الحديثة والافرنسيـة والايطاليَّة حتى امكنهُ ان يصنف عدَّة كتب في كل هذه اللغات (اطلب قائمتها في المشرق ٨ : ١٠٤٩) لكنهُ برَّز خصوصاً في التآليف التركيَّة التي اقبل عليها المستشرقون وافاضوا في مدحها ونال بسببها الاوسمة الشرفية والامتيازات الخاصَّة . وبين تآليفهِ ما يشهد لهُ ايضاً بمعرفة آداب لغتهِ العربيَّة وحسن انشائهِ فيها وكان وجوه الاوربيين واعيانهم يحبون ان يتخذوهُ كترجمان في امورهم لكثرة آدابهِ وطلاقة لسانهِ في كل لغات الشرق . توفي ناصيف في وباء الهواء الاصفر في ازمير سنة ١٨٦٥

هذا ما امكننا جمعهُ من مآثر النصارى في تلك المدَّة ولا غرو انهُ قد فاتنـا من اعمالهم شيء كثير كما اننا لم نذكر بعض الذين عُرفوا بآدابهم ولم يصبر على الزمان الّا القليل من كتاباتهم كالدكتور يوسف الجلخ الذي وردت لهُ بعض خطب في اعمـال الجمعيَّة السوريَّة . توفي سنة ١٨٦٩ وقد جُمعت في كرّاس المراثي التي قالها الادباء في وفاتهِ منها تاريخ للشيخ ناصيف اليازجي :

قِفْ عند تُرْبَةِ يوسف الجلخ الذي ما زال يغلبُ دينُهُ دنياهُ
ولذاك نال ختامَ خيرٍ فائزًا أرِّخ برحمة ربّهِ ورضاهُ

ومنهم الشيخ حبيب اليازجي ابن الشيخ ناصيف توفي سنة ١٨٧٠ وسنذكرهُ مع والدهِ واخوتهِ في تسطير تاريخ الآداب في الطور الرابع ان شاء الله • ومنهم الشيخ مرعي الدحداح (١٧٨٢ — ١٨٦٨) كان درس في عين ورقة وكتب في دواوين الامراء وتنقَّل في البلاد ولهُ رسائل وكتابات متفرّقة وقد نُشرت سيرة حياته في كرّاس خاصّ • قال الشيخ ناصيف في تاريخ وفاتهِ :

مضى الشيخ مرعي راحلًا عن ديارنا ولكن مقيمًا في السماء لهُ قصرُ
واولى بني الدحداح حزنًا مخلَّدًا يدومُ كما يبقى لهُ عندهم ذكرُ
همامٌ تلقَّى الحادثاتِ بنفسهِ فتمَّ له من بعدها المجدُ والفخرُ
اذا زرتَ مثواهُ فأرِّخ وقل بهِ عليك الرضى والعفوُ يا ايها القبرُ

(الامير حيدر الشهابي) ذكرناهُ ذكرًا خفيفًا (ص ٢٢) فنفرد لهُ بابًا اوسع هنا لوقوفنا على بعض اخباره • هو ابن الامير احمد بن حيدر الشهابي الذي حكم لبنان مدَّة مع اخيه الامير منصور (١٧٥٤ — ١٧٦٣) • ولد سنة ١٧٦٣ وتخرَّج في الآداب منذ حداثة سنهِ فعشقها واحبَّ الفضيلة واهلها وكان محسنًا الى الفقراء انفق عليهم جانبًا عظيمًا من مالهِ وكذلك اوقف على رهبان طائفتي الموارنة والروم الكاثوليك املاكًا كثيرة • وكان زاهدًا في الدنيا يفضل العيشة المعتزلة على الشغل بالسياسة حتى انهُ ابى غير مرَّة الولاية على لبنان • ولهُ تاريخهُ المشهور بغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان قسمهُ ثلثة اجزاء تبتدئ باوَّل الهجرة وتنتهي بتولي الحكومة المصرية على الشام • طُبع هذا الكتاب بتصرف ودون فهارس في مصر سنة ١٩٠٠ • ومنهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان في عدَّة مجلدات • ويُذكر للمؤلف تاريخ آخر مخطوط يتناول حوادث الشام في عهد الامير بشير الكبير وما بعدهُ لم نقف عليهِ • توفي الامير حيدر سنة ١٨٣٥

(بعض ادباء الروم) نذكر هنا بعض الافادات عن ادباء الروم الاورثذكس وكنا سهونا عن ذكرهم فألقت اليهم نظرنا الكاتب الشهير عيسى افندي اسكندر المعلوف • نبغ منهم في القسم الاول من القرن التاسع عشر قوم من الاكليروس

الاورثذكسي عُرفوا بآدابهم منهم اثاسيوس المخلّع الدمشقيّ اسقف حمص الذي ذكرنا في المشرق (٢٠ [١٩٢٢]: ٢٨٨) بعض آثارهِ مع آثارسميّهِ مطروبوليت عكا. قال جنابه: انهُ انتقل الى كرسي بيروت ولبنان وكان عالماً بارعاً اقتنى مكتبةً نفيسة وتوفي سنة ١٨١٣

ومنهم الخوري يوسف مهنّا الحداد الذي قُتل في دمشق في حركة سنة ١٨٦٠ وكان مغرماً بالعلم واشتهر بالوعظ والتدريس في الفيحاء وعرَّب لطائفتهِ بعض الكتب الدينيَّة (اطلب المشرق ٥ [١٩٠٢]: ١٠١٢ و ٢٠ [١٩٢٢] ١٠١٠). ومنهم الخوري اثناسيوس قصير الدمشقي مؤسس مدرسة البلمند سنة ١٨٣٣. والخوري يوحنا الدوماني منشئ المطبعة العربية في دمشق (المشرق ٤ [١٩٠١]: ٨٧٨) والخوري اسبيريديون صرّوف الذي درَّس في المصلَّبة بالقدس الشريف وصحَّح مطبوعات القبر المقدَّس والَّف وعرَّب وتوفي سنة ١٨٥٨ (اطلب العدد الخامس من هذه السنة ص ٣٧١). والمطران اغابيوس صليبا مطران اداسيس (الرها) الذي الَّف وعرَّب كثيرًا من الكتب التي طُبعت في روسيا

المستشرقون الاوربيُّون في هذا الطور *

(الفرنسويون) بقي السبق في درس اللغات الشرقيَّة عموماً والعربيَّة خصوصاً للعلماء الفرنسويين في هذا الطور الثالث الذي بلغنا اليهِ في سياق تاريخنا للاداب العربيَّة. وكان تلامذة العلَّامة دي ساسي يمشون على آثار معلّمهم فيخوضون بحر الآداب الشرقيَّة ويستخرجون من اغوارها اللآلئ الفريدة فينظمونها قلائد تزيد يوماً بعد آخر ثمناً وفخراً وها نحن نذكر بعض الذين وقفنا على اخبارهم وهي الى اليوم متفرقة لم تُجمَع في سفر خاصّ

فمنهم فلجانس فرينل (F. Fresnel) ولد سنة ١٧٩٥ وانقطع في شبابهِ الى درس اللغات الشرقيَّة حتى ارسلتهُ حكومتهُ سنة ١٨٣٧ الى جدَّة وتعيَّن هناك بصفة قنصل لدولتهِ. وفي سنة ١٨٥٢ توجَّهت انظار العلماء الى خرائب بابل فتشكَّلت بعثة

* كنا اثبتنا في طبعتنا الاولى في هذا الباب اسماء بعض المستشرقين الذين لم نقف على تاريخ وفاتهم. وقد تحققنا ان بعضهم مات بعد السنة ١٨٧٠ فتركناهم في مكانهم لئلَّا يحصل تشويش في الكتاب بنقلهم الى القسم الثاني

علميَّة وكانت فرنسة نظارتها الى فرينل لما عهدت فيه من الاهليَّة فسافر الى بغداد وقام باعباء مهمَّتهِ بنشاط مدَّة ثلاث سنوات وكانت وفاتهُ في حاضرة العراق في ٣٠ ت ٢ سنة ١٨٥٥ وعمرهُ ٦١ سنة وقد خلَّف فرينل عدَّة آثار تدلُّ على سعة معارفهِ منها ترجمة لاميَّة العرب للشنفرى ومنها رسائل واسعة في تاريخ العرب في ايام الجاهلية ولهُ ايضاً مقالات اخرى مفيدة في الكتابات الحميَريَّة التي وجدت في جهات اليمن طُبعت في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة

واشهر منهُ نابغةٌ همام وعالم عامل جارى في فضلهِ امام عصره العلَّامة دي ساسي نريد بهِ اتيان كاترمار (Et. Quatremère) كان سليل اسرة شريفة كثر فيها الادباء والعلماء واصحاب السيف والقلم وزادها هو باعمالهِ شهرةً . وُلد اتيان في باريس في ١٢ تموز سنة ١٧٨٢ وتخرَّج منذ حداثة سنّهِ في العلوم الشرقيَّة على دي ساسي المومأ اليهِ . واستحقَّ بفضلهِ ان يدخل في جملة نظَّار المكتبة العمومية ومخطوطاتها الثمينة ثمَّ تولَّى التدريس في المدارس العليا قبل ان يبلغ العشرين من سنّهِ وفي السنة ١٨١٥ نظمهُ مجمع فرنسة العلميّ في سلك اعضائهِ ثمَّ ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغات العبرانيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والفارسيَّة في مدارسها الخاصة فاحرز لهُ في تعليمها شهرة عظيمة حتى اضحى بعد وفاة دي ساسي نسيج وحدهِ في كل العلوم الشرقية الى سنة وفاتهِ في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٧ . ومن يطَّلع على تآليف هذا الرجل المقدام يقضي منهُ العجب لانهُ خلَّف بعدهُ نيفاً ومئة كتاب في كل ابواب الفنون الشرقية وكل اللغات الساميَّة وغيرها وقد اودع كلَّ هذه المصنَّفات كنوزاً من المعارف يتحيَّر لها عقل المطالعين . اما تآليفهُ العربية فعديدة ونهاية في الحسن والضبط منها ترجمته لتاريخ المماليك في مصر للمقريزي في اربعة اجزاء وحواشٍ ضافية . ولهُ مجلدان في مبهمات تاريخية وجغرافية مصريَّة وتأليف عن النبطيين ومآثرهم . ومن مطبوعاتهِ العربية نشره لمقدمة ابن خلدون في ثلثة اقسام وترجمتها الفرنسوية مع ملحوظات وفهارس في ثلثة اقسام أُخر ومنتخبات من امثال الميداني وكتاب الروضتين ومقالات متَّسعة في جغرافيي العرب وفي مؤرّخيهم وفي عادات اهل البادية ولهُ في التركية ترجمة تاريخ المغول لرشيد الدين في مجلَّد ضخم آية في حسن الطبع . وقد أَلَّف كتباً عديدة في آثار القبط والبابليين والهند والسامرة والافريقيين والعبرانيين ومجمل القول لم يدع

فنًا الّا صنّف فيهِ كتباً تُعَدُّ الى يومنا معادن ثمينة غنيّة بمضامينها العلميَّة

ومن تلامذة دي ساسي المعدودين غرانجره دي لاغرانج (J-B. Grangeret de la Grange) ولد سنة ١٧٩٠ واحكم درس العربية والفارسية فوكلت اليهِ دولتهُ سنة ١٨٣٠ تصحيح المطبوعات الشرقية في مطبعتها العمومية فقام بالعمل القيام المشكور. وتوفي سنة ١٨٥٩ وقد ابقى من الآثار مجموعاً في النظم والنثر نقلهُ الى الافرنسية ولهُ منتخبات من شعر المتنبي وابن الفارض علّق عليها الحواشي وترجمها. وقد صنّف كتاباً في تاريخ العرب في الاندلس ودافع عن محاسن الشعر العربي

واشتهر في هذا الوقت نويل دي ڤرجه (Noël des Vergers) بين المستشرقين الفرنسويين وكان مولدهُ سنة ١٨٠٥ ووفاتهُ في كانون الثاني سنة ١٨٦٧ نشر عدّة تآليف شرقية كقسم من تاريخ ابي الفداء وتاريخ بني اغلب لابن خلدون ولهُ تاريخ افرنسي في عرب الجاهلية اختصرهُ عن تاريخ معلمهِ دي برسڤال واضاف اليهِ مختصر تاريخ الخلفاء الى عهد المغول. وهو من التآليف الحسنة المفيدة وكان ضليعاً بالمعارف الشرقية يلتجئ اليهِ العلماء في مشاكلهم

وفي سنة وفاة دي ڤرجه توفي مستشرق آخر ذائع الشهرة جوزف رينو (J. V. Reinaud) المولود في ٤ كانون الاول سنة ١٧٩٥ والمتوفى في ١٤ ايار سنة ١٨٦٧ كان ايضاً من تلامذة دي ساسي وانكبّ على مثال استاذه على درس آثار الشرق ولغاتهِ وكان احد حفظة خزانة المخطوطات الشرقية في باريس فاستقى من تلك المناهل الطيّبة ما شاء. وفي سنة ١٨٣٨ بعد وفاة دي ساسي تولّى تدريس اللغة العربيّة في مدرسة اللغات الشرقية الحيّة ثمّ رُئس عليها سنة ١٨٦٤ وبقي في وظيفتهِ الى سنة وفاتهِ. وللعلامة رينو منشورات جليلة منها في الآثار الشرقية كوصفهِ لمتحف الكنت دي بلاكاس في جلدين وهو سفر خطير في تعريف العاديّات الاسلامية. واشتغل بتاريخ الشرق فنقل الى الفرنسويّة معظم ما كتبهُ العرب في الحروب الصليبية وترجم رحلة تاجرَين عربيين الى الصين تُدعى سلسلة التواريخ ونشر كتاب تقويم البلدان لابي الفداء ونقلهُ الى الافرنسية وزيّنهُ بالمقدّمات الاثيرة والحواشي. ولهُ ما خلا ذلك عدّة مقالات لغويّة وتاريخية في العرب وغيرهم من شعوب الشرق يطول تعدادها وفي ما سبق ما ينبئ بفضلهِ الواسع

وفي السنة ١٨٦٧ توفي مستشرق ثالث فرنسوي موسويّ الدين وهو سليمان مُنْك (S. Munk) ولد في بلاد بروسيا سنة ١٨٠٥ وتخرَّج بالآداب العبرانية على بعض الربّانيين في بلدهِ ثمّ جاء فرنسة سنة ١٨٢٨ وتجنّس بالجنسيّة الفرنسوية وحضر دروس دي ساسي وكاترمار فتعلّم العربيّة والفارسية والسنسكريتية وبرع فيها وتجوّل مدّة في القطر المصري مع الوزير كريميو . ثمّ تفرّغ لكتابة والتعليم وقصدتهُ التلامذة ليدرسوا عليهِ العبرانيّة . وقد أُصيب في آخر عمرهِ ببصرهِ فلم ينقطع عن التأليف والاملاء على الكتبة وهو في هذه الحالة عشرين سنة . ولهُ عدّة تآليف في العبرانية والعربية والفارسية في تاريخ الشرق نخصُّ منها بالذكر تاريخ فلسطين وكتابات شتى في الشعر العربي والشعر العبراني ونشر مصنّفات بعض فلاسفة اليهود في العربية والعبرانية وترجمها الى الفرنسويّة كدليل الحائرين لابن ميمون ومعين الحياة لابن جبرول وكتب ايضاً في فلسفة الهنود والعرب . وقد نقل الى الفرنسويّة مقامات الحريري . ومن مصنّفاته ايضاً مقالات عديدة في آداب الفينيقيين وشرح كتاباتهم المكتشفة في سواحل الشام

واشتهر في الجزائر مستشرق فرنسوي من تلامذة دي ساسي ايضاً وهو لويس جاك برنْيه (L. J. Bresnier) ولد في فرنسة سنة ١٨١٤ وتوفي في الجزائر في ٢١ حزيران ١٨٦٩ . كان درس على كبار المستشرقين الفرنسويين منذ حداثة سنهِ فخلفهم في نشاطهم وعلمهم . وقد علّم اللغة العربية في حاضرة الجزائر ٣٣ سنة بهمة عظيمة اكسبتهُ شكر تلامذتهِ . ومن ثمار اجتهادهِ عدّة مطبوعات عربية مدرسية نشرها في فرنسة والجزائر مهّدت الطريق لكثيرين لدرس العربية الفصيحة واللغة الشائعة في بلاد الجزائر فمن تآليفهِ شرح اصول العربية من صرف ونحو وعروض ولهُ ابحاث في اللغة العاميّة ومجاميع عربية مختلفة مع ترجمتها الى الافرنسية واعتنى ايضاً بالخط العربي وتعليمهِ . ومن آثارهِ ترجمتهُ للاجرومية مع تعليقات عليها

وفي زمن المسيو برنيه خدم الآداب العربيّة معلّم آخر وهو المعلّم كُنباريل (E. Combarel) نشر ايضاً عدّة مطبوعات مدرسية لتعليم العربيّة في الجزائر بين السنتين ١٨٤٥ و١٨٦٥ ولم نعرف سنة وفاتهِ

وكذلك عُرف بين المستشرقين العلّامة بيبرستَين كازمرسكي (B. Kazimirski) الذي ولد في پولونية واستوطن فرنسة ونشر فيها مطبوعات شرقية مفيدة اخصُّها معجمهُ

و تجتمع الـ ... الـ ...

للغتين العربية والفرنسويَّة الذي جُدِّد طبعهُ في مصر بعد طبعتهِ الباريزيَّة في مجلَّدين ضخمين. وقد نقل القرآن الى الفرنسويَّة وترجمتهُ معروفة بدقتها وسلاستها . مات نحو السنة ١٨٧٠

وممن لم نهتدِ الى سنة وفاتهِ من المستشرقين الفرنسويين واشتهر بآثاره العربية المسيو پارّون (A. Perron) نشر تآليف جمَّة ونقلها الى الفرنسوية ففي سنة ١٨٣٢ ألَّف كتاباً في اصول اللغة العربيَّة وطبعهُ على الحجر ثمَّ نشر مقالات مفيدة في بعض مشاهير العرب كطرفة والمتلمّس وعنترة ونقل طرفاً من اشعارهم الى لغتهِ ونقل ايضاً رواية سيف التيجان ورحلة محمَّد التونسي الى الدرفور وكتاب الطبّ النبويّ وكتاب كامل الصناعتين المعروف بالناصري لابي بكر ابن بدر في مجلَّدين وكتاب ميزان الخضريَّة للشعرانيّ في الفقه والمختصر في الفقه لخليل بن اسحاق المالكيّ في سبعة مجلَّدات انتهى من طبعهِ سنة ١٨٥٤ بعد ست سنوات وعلَّق عليهِ تعليقات واسعة

ونضيف الى هؤلاء المشاهير من الفرنسويين الاستاذ كليمان موّله (J.J. Clément-Mullet) الذي ادَّى للمستشرقين خدماً مشكورة بابحاثهِ عن الزراعة عند العرب ومن آثارهِ الباقية ترجمتهُ الفرنسويَّة لكتاب الفلاحة للشيخ أبي زكريَّا يحيى الاشبيلي المعروف بابن العوَّام. وكان الاصل العربي قد طُبع في مجريط سنة ١٨٠٢ فنقلهُ المسيو موّله في مجلَّدين وعلَّق عليهِ التعليقات الخطيرة. ولهُ ايضاً في المجلَّة الاسيوية الفرنسويَّة مقالات متَّسعة في المواليد الطبيعيَّة عند العرب واصطلاحاتهم . توفي المسيو موّله سنة ١٨٧٠.

(الالمانيُّون) تقدَّمت الدروس العربيَّة في المانية في هذه المدَّة بهمَّة بعض الافاضل الذين اصبحوا اسوةً لاهل بلادهم

ويستحقُّ السبق على جميع مواطنيه جرج وليام فريتاغ (G. W. Freytag) ولد سنة ١٧٨٨ وتوفي في ت٢ من السنة ١٨٦١ وكان مثالاً للعزم والثبات فكلف بالاداب العربيَّة ودرس اللغات الشرقيَّة في باريس على فخر زمانهِ دي ساسي فاتقنها وعُهد اليهِ تعليمها في كلية بونة سنة ١٨١٩ فلم يزل مذ ذاك الوقت الى سنة وفاتهِ يفرغ كنانة مجهودهِ في نشر الآثار العربيَّة منها قاموسهُ العربي اللاتيني في اربعة مجلَّدات ضخمة اتمَّهُ بسبع سنوات وكان يواصل الدرس كل يوم احدى عشرة ساعة لا يكاد يأخذ فيها

راحة . ثم اختصر ذلك المعجم بمجلد واحد . وقد نشر لاوّل مرّة كتاب حماسة ابي تمّام مع شروح التبريزي ونقلها كلها الى اللاتينيّة . ونشر كتاب عبد اللطيف البغدادي في وصف مصر وقسماً من تاريخ حلب لكمال الدين وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه . وقد نقل كل هذه الآثار الى اللاتينيّة وحشّاها بالحواشي المفيدة . ومن مآثره الجليلة امثال الميداني في اربعة مجلّدات نشرها وترجمها واضاف اليها الفهارس مع الملحقات العجيبة في كل ما كتبهُ العرب عن الامثال ونشر معجم البلدان لياقوت الحموي في عدّة مجلّدات مع تذييلات وفهارس غاية في الدقة وسرد لائحة ممتعة في كل مؤرخي العرب . ولهُ كتاب واسع في فن العروض بالالمانيَة ومنتخبات شتى بالنثر والنظم وقد بقي اسمهُ الى يومنا هذا بين مواطنيهِ كمثال حي للحزم والنشاط

ومن افاضل الالمان الذين خلّدوا لهم ذكرًا طيّباً في هذا الزمان جان غدفريد كوسغارتن (J. G. Kosegarten) ولد في أَلتِنكرخن من اعمال بروسية سنة ١٧٩٢ ودرس العلوم في مدرسة غريسفالد الشهيرة ثمّ تعشّق اللغة العربية فارسلهُ ابوهُ ليروي غليلهُ منها بالدرس على الاستاذ دي ساسي محور العلوم الشرقية في زمانهِ فتلقّن اللغة العربيّة ثمّ درس التركية والفارسيّة والارمنيّة واستنسخ قسماً من مخطوطات باريس ولم يلبث ان نشر في بلاده منها طرفاً استوقفت انظار اهل وطنهِ فدعاه اصحاب الامر الى تدريس اللغات الشرقية في غريسفالد وبقي في منصبهِ الى وفاتهِ فيها سنة ١٨٥٠ منقطعاً الى نشر التآليف المهمّة اخصّها غراماطيق اللغة العربية في اللاتينيّة ثمّ قسمٌ من شعر الهذيليين طبعهُ في لندن وكذلك نشر مجلّدًا من كتاب الاغاني لابي الفرج ونقلهُ الى اللاتينيّة وزيّنهُ بالمقدّمات والشروح ونشر ايضاً مجلّدين من تاريخ الطبري مع ترجمتها وطبع معلّقة عمرو بن كلثوم وذيّلها بالملحوظات المفيدة ولهُ غير ذلك من الآثار العربيّة والسنسكريتيّة والهيروغليفيَة

وليس دون السابقَين همّة ونشاطاً واتساعاً في التأليف وطنيّهما غستاف فلوغل (G. Flügel) ولد سنة ١٨٠٢ في بلاد سكسونيا ودرس في ليبسيك على مشاهير علمائها واخذ عن بعضهم مبادئ اللغات الشرقيّة ثمّ سافر الى فيّنا وبقي سنتين ينعم النظر في مخطوطات مكتبتها الشهيرة وتجوّل بعدئذٍ في عواصم اوربّة الى ان احتلّ باريس سنة ١٨٢٩ وسمع معلّميها ودرس مخطوطاتها الشرقية ثمّ عاد الى بلادهِ فتولّى

التدريس في معاهدها العلميَّة مدَّة وصار لهُ نفوذ كبير عند امراء وطنهِ الذين عهدوا اليهِ بتآليف عديدة استوفى شروطها وهي تبلغ نحو خمسين مجلَّدًا منها كتاب كشف الظنون للحاج خليفة في سبعة مجلَّدات ضخمـــة مع ترجمتها الى اللاتينيَّة وفهارسهـــا الواسعة وملحقاتها الخطيرة ومنها وصف مخطوطات فينَّا العربيَّة في ثلاثة مجلَّدات . ونشر عدَّة كتب قديمة مع ترجمتها مثل كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي وتعريفات الجرجاني ونجوم الفرقان وهو فهرس للقرآن بديع في بابهِ . ولهُ تآليف في فلاسفـــة العرب ونحاتهم ونقلتهم ونشر كتاب الفهرست لابن النديم من انفس ما كتبهُ القدماء . وصنَّف تاريخًا موسَّعاً للعرب في ثلاثة مجلَّدات فكل هذه المصنَّفات ممـــا يدهش العقل لسعة علم كاتبها الذي يُعدّ من اكبر المستشرقين واغزرهم فضـــلًا . كانت وفاتهُ سنة ١٨٧٠

وممن برَّزوا في هذا الزمان في درس كتب العرب الرياضية والجبرية الالماني فرانتس ڤوبك (Fr. Woepke) ولد في بلدة قريبة من ليبسيك سنة ١٨٢٦ ودرس في ويتمبرغ ثمَّ رحل الى برلين وتفرَّغ لدرس الرياضيات وفي سنة ١٨٤٨ التقى بالمستشرق الشهير فريتاغ في بونة فعلَّمهُ العربية وفتح لهُ باباً لدرس آثار العرب في الحساب والمقابلة والجبر والهندسة والهيئة فخصص مذ ذاك الحين نفسهُ لاحياء دفائنها فنشر رسالة ابي الفتح عمر بن ابراهيم الخيَّامي في الجبر والمقابلة وكتاب الفخري فيهما لابي حسن الكرخي وتفسير مقالة اوقليدوس العاشرة في الأعظام المنطقة والصمّ لابي عثمان الدمشقي وقد كتب نيفاً وخمسين مقالة في كل الفنون الرياضية عند العرب نشرها في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة وفي المجلَّات العلميَّة في برلين وروميه وباريس وبطرسبرج وكان اذا نشر اثرًا ما قديماً نقلهُ الى اللغات الاوربيَّة وعلَّق عليـــهِ التعليقات الخطيرة حتى اصبح اماماً في هذه الفنون يُشار اليهِ بكل بنان . وكانت ادَّت بهِ دروسهُ الى البحث في العلوم الرياضيَّة عند الهنود وقدماء اليونان وارباب القرون الوسطى فقابل بينها وبين آثار العرب وقد فاجأهُ الموت في ٢٤ اذار سنة ١٨٦٤ وهو في منتصف العمر

وقد اشتهر غير هؤلاء ايضاً بين مستشرقي الالمان وان لم يبلغوا شأوهم منهـــم جرج هنري برنستين (G. H. Bernstein) صنَّف كتاباً في نحو العربية ونشر بعض الاثار القديمـــة منها قصيدة لصفي الدين الحلي مع ترجمتها وشرحها ومنها كتاب

في مبادئ واصول الاديان المتفرّقة في الشرق· وكانت شهرتهُ في معرفة السريانيَّة اكثر منها في العربية قد علّم تلك اللغة في برسلو ولهُ فيها عدَّة مطبوعات· توفي برنستين سنة ١٨٦٠ وعمرهُ ٧٣ سنة

ومنهم جان اوغست ڤولرس (J. A. Vullers) احد تلامذة دي ساسي وكاترمار وفريتاغ ولد في المانية سنة ١٨٠٣ وكانت وفاتهُ في ٢١ ك ٢ سنة ١٨٨٠ في غيسِّن علّم اللغات الشرقية في كلية غيسن· وقد برَّز ڤولرس خصوصاً في اللغة الفارسية فنشر معجماً فارسيًا لاتينيًا يُعدّ من اتقن المعاجم وابرز عدَّة آثار لمؤرخي العجم وشعرائهم· وكان عالمًا باللغة العربية نشر معلّقتي الحارث بن الحلزة وطرفة مع شروح الزوزنيّ عليهما ونقلها الى اللاتينية وصنَّف ايضاً كتاباً في اصول لغة العرب

ومنهم ايضاً فرنتس أوغست ارنُلد (F. A. Arnold) اشتهر بين اساتذة مدرسة هال في المانية ولهُ مجموعة حسنة من تآليف العرب لطلبة المدارس الشرقية في جلدين طُبعت سنة ١٨٥٣ ونقلها اليونان في القدس الى لغتهم فجدَّدوا طبعها بهمَّة استيفان اثاسياديس سنة ١٨٨٥· وكان سبق قبل ذلك ونشر سنة ١٨٣٦ معلّقة امرئ القيس ونقلها الى اللاتينيَّة وذيَّلها بالشروح· ولم نقف على سنة وفاته

ومنهم ايضاً الدكتور جان غدفريد وتسشتين (J. G. Wetzstein) أقام مدَّة في دمشق بصفة قنصل دولتهِ وعُني بدرس اللغات الشرقيَّة وجمع عدَّة مخطوطات وصفها وصفاً حسناً وارسلها الى برلين وقد كتب تفاصيل رحلته الى جهات حوران وبادية الشام ومن مطبوعاتهِ كتاب مقدّمة الادب لجار الله الزمخشري طبعهُ في ليبسيك على الحجر سنة ١٨٥٠ توفي معمّرًا في برلين في ١٨ ك ٢ سنة ١٩٠٥

ومنهم ايضاً هنري جوزف ڤتزر (H. J. Wetzer) ولد سنة ١٨٠١ ودرس اللغات الشرقية على علماء زمانهِ في المانية وفرنسة ولاسيما دي ساسي وكاترمار ثم درَّس اللغات الشرقيَّة في كلية فريبورغ الكاثوليكيَّة فاصاب لهُ فيها ذكرًا طيباً وقصدتهُ الطلبة من انحاء البلاد وهو اوَّل من نشر مقالة المقريزي في نصارى الاقباط وترجمها الى اللاتينيَّة ولهُ آثار أُخرى في العلوم الكتابيَّة· توفي سنة ١٨٥٣

ومنهم فيليب ڤولف (Ph. Wolff) عُني بدرس آداب العرب ونشر البعض منها· ولهُ كتاب دليل السيَّاح لمصر والشام وفلسطين ضمنهُ اصول العربية العاميَّة ·

وقد نقل الى الالمانية كتاب كليلة ودمنة وطبع المعلّقات ونقلها ايضاً الى الالمانيَّة وبيّن خفايا معانيها . ونشر شيئاً من ديوان ابي الفرج البيغاء كانت وفاتهُ في غرَّة كانون الثاني سنة ١٨٩٤

ومنهم اخيراً ثيودور هاربروكر (Th. Haarbrücker) من علماء مدينة هال نقل الى الالمانية كتاب ابي الفتح الشهرستاني الذي نشرهُ وليم كورتون في لندن وذيَّلهُ بالتذييلات الحسنة . ولهُ مقالة في كتاب مجموع العلوم لمحمد بن ابراهيم السخاوي طبعهُ سنة ١٨٥٩ . ونشر في العربية تفاسير على اسفار يشوع بن نون واسفار الملوك الاربعة والانبياء من تأليف احد علماء اليهود الرّبي تنحوم بن يوسف الاورشليمي ونقلها الى اللاتينيَّة توفي في ١٧ ك ٢ سنة ١٨٨٠

(النمسويّون) لم يبلغ النمسويّون في درس العلوم الشرقيَّة مبلغ الالمان في اواسط القرن التاسع عشر . وانما اشتهر منهم رجل مقدام كانت لهُ قريحة عجيبة في تعلُّم اللغات والكتابة في كل فنون الشرقيين اعني بهِ البارون جوزف دي هامّر بورغشتال (J. d. Hammer- Purgstall) ولد في غراتس سنة ١٧٧٤ ودرس في كلية فينّا لغات الشرق حتى امكنهُ قبل العشرين من سنّهِ ان يتكلّم بالعربيّة والفارسيَّة والتركيَّة ثمَّ ارسلتهُ الحكومة الى الاستانة بصفة ترجمان ووكلت اليهِ نظارة قنصليَّاتها فتجوَّل في الشام ومصر ودرس احوال البلاد ثم لم يزل يتقلَّب في كل المناصب الشريفة حتى دخل في شورى الدولة . فانقطع حينئذٍ الى التأليف وكان يحسن الكتابة في عشر لغات اجنبيَّة فألّف عددًا لا يحصى من الكتب والمقالات في كل المواضيع الكتابيَّة وتغلّب عليهِ التاليف في تاريخ الشرق وآدابه نسرد هنا اسماء بعضها : تاريخ الدولة العثمانيَّة في عدَّة مجلَّدات . تاريخ الآداب العربيَّة في سبعة مجلدات ضخمة من عهد الجاهليَّة الى آخر الدولة العباسيَّة ضمَّنهُ عشرة آلاف ترجمة من كتبة العرب وشعرائهم وكبار علمائهم . وقد نقل الى الالمانية كتاب « ايُّها الولد » للغزَّالي وقلائد الذهب للزمخشري وتائية ابن الفارض ومقالات في موسيقى العرب ونشر قصصاً لم تعرف من كتاب الف ليلة وليلة وديوان خلف الاحمر ونظم بالشعر الالماني كل ديوان المتنبي . وكتب ايضاً تاريخ فارس ودولها وتاريخ الآداب التركية . ونقل عدَّة مصنَّفات فارسيَّة الى لغتهِ وادار المجلّات الشرقية فاصبح في بلاده محورًا للاداب

الشرقيّة الى سنة وفاته في ٢٣ ت ٢ سنة ١٨٩٦ وكان البارون هامر شديد التمسّك بالدين الكاثوليكي وكان يقيم صلاتهُ بالعربية وألّف كتاباً في ذلك. ومجمل القول انهُ يُعَدُّ مع بعض مشاهير عصره كمُحيي الآداب الشرقيّة بين الاوربيين

(الهولنديون) سبق لنا وصف همتهم في درس اللغات الشرقية عموماً والعربية خصوصاً. ودونك اسماء بعض الذين ازهروا في الطور الذي نحن في صدده

اشهرهم ثاودور جوينبول (T. G. J. Juynboll) ولد سنة ١٨٠٢ ودخل في سالك خدمة الدين في بلاده وكان متضلعاً باللغة العربية متقناً لتاريخ دول الشرق وآدابهم. فعلّم اللغة العربيّة في مدارس مختلفة حتى صار من اساتذة كلية ليدن الى سنة وفاته في ١٦ ايلول سنة ١٨٦١. ومن آثاره انهُ نشر قصائد المتنبي وشعراء زمانه في مدح سيف الدولة واضاف اليها ترجمةً لاتينية ونشر ايضاً كتاب الجبال والامكنة والمياه للزمخشري وسفر يشوع بن نون عن النسخة السامريّة ونقلهُ الى اللاتينية. وكذلك نشر كتاب مراصد الاطلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي. وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة مع مساعدة احد المستشرقين الهولنديين المدعو بنيامين ماتس (B. J. Matthes) وقد اجتمع ببعض ادباء وطنه فنشروا مجموعاً دعوهُ بالشرقيات (Orientalia). ومن مآثره ايضاً مقالة في الترجمة العربيّة السامريّة المحفوظة في مخطوطات باريس. وكان لجوينبول ابن تقفّى خطوات والده فاشتهر ايضاً بعلومهِ الشرقية اسمهُ ابراهيم وليلم (A. W. Juynboll) عاش بعدهُ نحو عشرين سنة ونشر كتاب التنبيه في الفقه الشافعي لابي اسحاق ابراهيم ابن علي الشيرازي ونقله الى اللاتينية وقدّم عليهِ المقدّمات الحسنة وكذلك عُني سنة ١٨٦١ بطبع كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي

ومن معاصري جوينبول الاستاذ تاكو رورْدا (T. Roorda) احد افاضل الهولنديين الذين عُرفوا بالهمّة والثبات. باشر سنة ١٨٢٥ منشوراته الشرقية بدرس اخبار ابي العبّاس احمد ابن طولون والدولة الطولونية ثمَّ ألّف كتاباً في قواعد العربية وشرحهُ باللاتينية والحقهُ بمنتخبات ومعجم. وقد ساعد جوينبول في نشر مقالاته الشرقية المار ذكرها. توفي رورْدا نحو السنة ١٨٦٥

ومنهم ايضاً هنريك فايرس (H. F. Weijers) لهُ كتابات حسنة في

شرقيات جوينبول المذكورة انفاً ثمَّ اتسع في وصف كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ونشر مع احد مواطنيه الدكتور مورسنغ (A. Meursinge) كتاب درَّة الاسلاك في دولة الاتراك لابي الحسن بن عمرو بن حبيب واشتغل بوصف مخطوطات مكتبة ليدن الغنيَّة بكنوزها الأدبية. ولا نعرف سنة وفاة ثاينوس كما اننا لم نقف على اخبار مورسنغ الذي كان نشر قبل ذلك كتاب طبقات المفسرين للسيوطي

(الانكليز) اشتهر قليل منهم في هذا الطور بالاداب العربية. اخصُّهم وليم كورتون (W. Cureton) ولد سنة ١٨٠٨ وتوفي في لندن في ١٧ حزيران سنة ١٨٦٤ كان من خدَمة الدين البروتستاني وتخرَّج في كليَّة اوكسفرد وكان جلُّ اهتمامه باللغة السريانيَّة وآدابها. وقد خدم الآداب العربية ببعض المصنَّفات الدينيَّة منها ما نشرهُ سنة ١٨٤٣ من تفاسير تنحوم بن يوسف الاورشليمي على مراثي ارميا النبي وكذلك نشر مقالةً في الكهنوت من كتاب مصباح المرشد ليحيى بن حزير (ويروى جرير) التكريتي. ومن اثاره الباقية التي أتقن طبعها كتاب الملل والنحل للشهرستاني تجزَّ طبعهُ في لندن سنة ١٨٤٢. وكان طبع قبل ذلك عهدة عقيدة اهل السنَّة لحافظ الدين عبدالله ابن احمد النسفي وهذان الكتابان نُشرا في جملة منشورات أُخرى تولَّت طبعها في بريطانيا شركة طبع التآليف الشرقية Society for the Publication Oriental Texres) نفعت الدروس الشرقية نفعاً جزيلاً. ومما كانت نشرتهُ ترجمة رحلة البطريرك الانطاكي مكاريوس التي سبق للمشرق الكلام عنها (٥: ١٠٠٩) وبهمَّة كورتون طُبع ايضاً القسم الأوَّل من وصف مخطوطات لندن العربية الذي اتمَّهُ بعدهُ الطيب الذكر ريو (C. Rieu)

وممن احرزوا لهم بعض الشهرة في الآداب العربيَّة بين الانكليز وليم ناسّو ليس (W. Nassau Lees) كان هذا مقدَّماً على جمعية بنغال الاسيويَّة وورث عن خلفه ماثيو لومسدن (M. Lumsden) حبهُ للآداب العربية. فكان لومسدن افرغ المجهود في تجهيز مطبعة كلكوتّا ونشر فيها مطبوعات مفيدة كمقامات الحريري سنة ١٨٠٩ ونفحة اليمن لاحمد الشرواني سنة ١٨١١ وشرح المعلَّقات ومختصر المعاني للقزويني وقاموس المحيط للفيروزابادي وكتب أُخرى اوسعت شهرة تلك المطبعة

الهندية. ثمَّ توفي في ١٨ اذار سنة ١٨٣٥ فلما قام بعدهُ لِيس زاد على خلفهِ نشاطاً واهتمَّ بنشر تآليف اوسع واكثر فائدة فطبع تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ونوادر القليوبي والكشاف للزمخشري وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشّاف اصطلاحات الفنون لمحمَّد علي الفاروقي التهانويّ ونخبة الفكر ونزهة النظر لابن حجر العسقلاني. وكان لِيس يستعين في تلك المطبوعات ببعض علماء الهند كالمولوي كبير الدين والمولوي عبد الحق غلام قادر وكان ايضاً يساعدهُ في نشر تلك المطبوعات المستشرق سپرِنْغر (A. Sprenger) الوارد ذكره بعد هذا توفي ناشو لِيس في ٩ اذار سنة ١٨٨٩

وقد نشر ايضاً في هذا الزمان الانكليزي هاريس جونس (J. Harris Jones) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم القرشيّ المصريّ فطبعهُ في غوتا سنة ١٨٥٨ ونقلهُ الى الانكليزيّة

(الروسيُّون وغيرهم) كانت حركة الدروس الشرقيـة خامدةً في روسيا في اواسط القرن التاسع عشر ثمَّ اخذت الاكادمية الملكية تبعث الهمم وتنشط العزائم فنشأت بذلك نهضة محمودة وعُقدت بعض الجمعيات العلميَّة لترويج تلك المقاصد . وهذه اسماء التآليف العربية التي نُشرت في روسيا في الطور الذي يشغلنا

نشر منهم الاستاذ غوتولد (J. M. E. Gottwald) معجماً للقرآن وللمعلَّقات في قازان سنة ١٨٦٣ ونشر في بطرسبرج تاريخ سني ملوك الارض والانبياء تأليف حمزة الاصفهاني ونقلهُ الى اللاتينية توفي غوتولد في قازان سنة ١٨٩٧ — وفي بطرسبرج نشر الاستاذ كولسون (D. A. Chwolson) سنة ١٨٦٩ كتاب الاعلاق النفيسة لابن دسته (والصواب رسته) وترجمـهُ الى الروسية ولهُ ايضاً بحث خطـير في آثار الآداب البابلية في كتب العرب سنة ١٨٥٩ في مجلَّة بطرسبرج العلميَّة توفي كولسون وعمرهُ ٩٢ سنة في ٥ نيسان سنة ١٨٧٩ في مدينة فيلْنا وكان يهوديـاً فتنصَّر وهو الذي اثبت ان الصابئين المذكورين في القرآن هم المندئيون وعلَّم في بتروغراد اللغات العبرانية والسريانية والكلدانيـة — واهتمَّ الاستاذ اسكندر كريستيانوفتش (Al. Christianowitsch) بالموسيقى العربية فوضع فيها مقالة وزيَّنهـا برسم الآلات الشائعة عند العرب وطبعها في كولونية سنة ١٨٦٣ — وفي هذا الزمان لزهر

احد الاعاجم المتنصرين اسكندر قاسم بك الذي علّم مدّة اللغات الشرقية في قازان وبطرسبرج وجعلهُ القيصر من اعضاء الشورى. كان يعرف اللغات التترية والفارسيّة والعربية وقد نشر في كلها تآليف عديدة ولهُ في العربيـة مختصر الوقفيّات ورسائل دينية ومقالات لغويّة وفصول تاريخية في اخبار الدول الاسلامية

ونشر قنصل الروس في تبريز نيقولا خانيكوف (N. Khanikoff) كتاب ميزان الحكمة للخازنيّ وطبعهُ في المجلّة الشرقيّة الاميركانية سنة ١٨٥٩ وهو سفر جليل في الواليد والفلزّات والجواهر وترجمهُ الى الانكليزية

وكذلك (الاسبانيّون) في هذه البرهة من الدهر شعروا بحاجتهـم الى درس اللغات الشرقية ولا سيَّما العربية لما فيها من الآثار المفيدة لمواطنهم ونال لهـم بعض الشهرة وطنيُّهم كَاينكَوس (Pasc. de Gayangos) الذي نشر في لندن ومجريط بعض التآليف العربية منها ترجمة نفح الطيب للمقري في مجلّدين كبيرين ومنها وصف قصر الحمراء مع بيان آثارهِ وتفسير كتاباتهِ الحجريّة وكذلك نشر ترجمـة كتاب كليلة ودمنة وتاريخ احمد بن محمَّد الرازي

اما (الايطاليّون) فانَّ درس اللغات الشرقيـة كان عندهم منحصرًا في بعض المبادي ولم ينشروا في تلك المدّة من الآثار العربية شيئاً يُذكر اللهمَّ الّا الكردينال العظيم انجلو ماي (Ang. Maï) الذي دخل في الرهبانية اليسوعية في العشر الاوَّل من القرن التاسع عشر وتوفق الى الاكتشافات العجيبة التي خلَّدت لهُ ذكرًا في العالم كلهِ في اعادة الكتابة على الرقوق التي حُكّت نصوصها السابقة (Palimpsestes). واقامهُ الحبر الاعظم الى رتبة الكرادلة ووكل اليهِ نظارة المكتبة الواتيكانية. وقد نشر في السريانية والعربية ايضاً بعض مـا وجدهُ من الآثار النصرانيـة واثبتها في مجموع مطبوعاتهِ. توفي الكردينال ماي سنة ١٨٥٤

وممن نلحقهـم بهؤلاء المستشرقين بعض المرسلين الذين خدموا بمدارسهـم ومنشوراتهـم الآداب العربيـة. فمن اليسوعيـين الاب اسكندر بوركنود (Al. Bourquenoud) الذي سبق رينانَ الى درس آثار الشام ووصفها وصفـاً مدققاً فمهد الطريق لابحاث رينان الاثريّة. توفي الاب بوركنود في ١ ت١ سنة ١٨٦٨ في غزير ومنهم اليسوعيان الاب لويس فنيك (+ ١٨٦٨) والاب بولس ريكادونا

(+ ١٨٦٣) ألّفا في العربيَّة ارشادات وكتباً دينية وقصائد تقوية

اما المرسلون الاميركان فاشتهر بينهم عالي سميث الذي تجوَّل في انحاء الشام ونظَّم احوال الجمعية الاميركية ووسع اعمال مطبعتهم وباشر مع الشيخ ناصيف اليازجي ترجمة الكتاب المقدَّس وقد انجزهُ من بعده الدكتور ڤان ديك. توفي عالي سميث سنة ١٨٥٧ وكان منهم ايضاً هنري دي فورست(H. de Forest)وادورد سالسبوري (Ed. Salisbury) ولكليهما مآثر حسنة من تاريخ وجغرافية وعادات ووصف اديان نشراها في المجلة الشرقية الاميركانية (Journal of the American Oriental Society) وكانت هذه المجلة صدرت سنة ١٨٥٠ فاخذت تباري بمقالاتها المجلّات التي تقدّمتها

وبهذا النظر الاجمالي نختم تاريخ الآداب العربية في طورها الثالث من القرن التاسع عشر وبهِ ايضاً ختام القسم الاوَّل من تأليفنا هذا الذي جمعناهُ في كتاب مستقلّ والحقناهُ بفهرس الأُدباء الذين اوردنا ذكرهم في مطاوي كلامنا

كلمة الختام

ويسوغ لنا ان نختصر بكلمة هذا القسم فنقول ان الشرق والغرب تباريا في نهضة الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر بعد خمولها. استخرج الغرب من خزائنهِ كنوزهُ المدفونة فسُحرت لدى نشرها ألباب ابناء الشرق فتسارعوا الى إحراز جواهرها والاستقاء من مناهلها فاتسعت بهما دائرة مداركهم وشحذت اذهانهم وتحسن ذوقهم ولم يأنفوا ان يستعيروا من اهل الغرب ما وجدوهُ موافقاً لرقي آدابهم فمهّدوا للآتين بعدهم السبيل لتبليغ اللغة الى صرح كمالها



فهرس

للجزء الاوّل من كتاب الآداب العربية في القرن التاسع عشر

المقدّمة على هذه الطبعة ٣

توطئة ٥

الفصل الاول : نظر عمومي في الآداب العربيّة في خاتمة القرن الثامن عشر وغرّة القرن التاسع عشر ٦ — ١٠ = الطباعة العربيّة في الاستانة وبلاد الشام ومصر ٦ — ٧ = كتبة الدواوين المصريّة والشاميّة ٧ — ٨ = مدرسة الازهر ومعلّموها ٨—٩ = الآداب العربيّة بين الطوائف الكاثوليكية : الموارنة ٩ الروم الملكيين والسريان والارمن والكلدان ١٠

الفصل الثاني : الآداب العربيّة في اوربّة في بدء القرن التاسع عشر ١١—١٨ = همّة الكنيسة الكاثوليكيّة في نشر الآداب الشرقيّة منذ القرون الوسطى ١١ = الاداب الشرقية في الرهبانيّتين الدومنيكيّة والفرنسيسيّة ١١— ١٢ = مدارس اللغات الشرقيّة في رومية وباريس وبولونية واكسفرد وسلمنكة ١٢ = تاريخ الطباعة العربية في اوربة ١٢ = المدرسة المارونيّة في رومية ١٢—١٣ = مدرسة اللغات الشرقيّة في باريس ١٣ = الجمعيّات الاسيويّة في باتافيا وكلكوتّة وبنغالي ١٤ = المستشرقون الفرنسويون ١٤—١٥ الالمانيون والسويسريون والانكليز والهولنديّون والنمساويّون والدنيمركيّون ١٦ الاسبانيّون والبرتوغاليون والايطاليّون ١٧ = الشرقيّون في اوربّة ١٧ — ١٨

الفصل الثالث : الاداب العربيّة في غرّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٣٠ ١٩ —٤٧ = نظر عمومي في الاداب في الدولة العثمانية ١٩ — ٣٠ في مصر ٣٠ = المؤرخون في هذه المدة : المسلمون ٣٠ — ٣١ النصارى ٣٢ — ٣٥ = الادباء والشعراء : المسلمون ٣٥ — ٣٢ النصارى ٣٢ — ٤٥ = المستشرقون الفرنسويون ٤٥ الجمعيّة الاسيويّة الباريسية ٤٦ المستشرقون الانكليز ومجلّتهم الاسيويّة ٤٦ المستشرقون الالمان ومنشوراتهم ٤٦— ٤٧ المستشرقون الايطاليّون ٤٧

الفصل الرابع : الآداب العربيّة من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠ ٤٧ — ٧٣ = الطباعة في هذا الطور ٤٧—٤٨ المدارس ٤٨—٤٩ = المرسلون اللاتينيون وراهباتهم ٤٩ = المدارس الوطنية ٤٩ — ٥١ = مشاهير ادباء المسلمين في هذا الطور ٥١ — ٥٦ = أدباء النصارى ٥٦ — ٦٨ = العلوم الشرقية في اوربة ٦٨ = المستشرقون الفرنسويون ٦٨—٧٠ الالمانيون ٧٠—٧٣ الانكليز والهولنديّون والبلجيكيون ٧٣—٧٣

الفصل الخامس : الاداب العربية من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠ ٧٣—١٢٧ = في تاريخ الجرائد

العربيّة في الاستانة ومصر ٧٣–٧٤ في تونس وبيروت ٧٤–٧٥ الجمعيات العلميـة الشرقية في الاستانة وبيروت ٧٥-٧٦ =مدارس المرسلين والاميركان والمدارس الوطنية ٧٦= المطابع في بيروت ولبنان ٧٦–٧٧ في دمشق والعراق ٧٧–٧٨ = الدروس الشرقية في اوربة ٧٨ في الطوائف الكاثوليكية ٧٨–٧٩في الرسالة الاميركية ٧٩–٨٠ = الاداب الاسلاميّة في هذا الطور: في الشام ٨٠ في مصر ٨٣ في العراق ٨٩في المغرب ١٠٣ = أدباء النصارى في هـذا الزمان ١٠٥ = المستشرقون الاوربيّون في هـذا الطور: الفرنسويّون ١١٤ الالمانيّون ١١٨ النمسويّون ١٢٢ الهولنديّون ١٢٣ الانكليز ١٢٤ الروسيّون وغيرهم ١٢٥ ختام الجزء الاول ١٢٧ فهارس ١٢٨–١٤٠

فهرس

اعلام الادباء الذين ورد ذكرهم في هذا الجزء

١ الادباء المسلمون

※ ا ※ آل مقرن ١٠٣
ابراهيم باشا ٨
ابراهيم باشا اوزون ٧
ابرهيم فخري بك ٧٥
ابراهيم يحيى العاملي (الشيخ) ٦٣
ابن جميل (عبد الغنيّ) ١٠٣
ابن الجوهري (الشيخ محمد الخالدي) ٩
ابن الصبّاغ (عبد الحميد الموصلي) ٦٤،٦٦
ابن عبد الكريم (الشيخ محمّد) ٣٥
ابن عبد الهادي (حسين العمري) ٩،٢٠
ابو السعود (محمّد بن عليّ) ٣٦
الاحدب (الشيخ ابرهيم) ٨١
احمد عارف (حكمت بك) ٩٠
احمد عبد الرحيم ٨٨
الاخرس (السيّد عبد الغفّار) ٩٨
الاخفش (محمّد البغدادي) ١٠٣
ارسلان (الامير محمّد) ٨١ – ٨٣
اسعد باشا ٣٦
الاسير (الشيخ يوسف) ٦٦
الالوسيّون ٨٩ – ٩٣
الالوسيّ (السيّد عبد الحميد) ٩١– ٩٣
« (عبد الرحمان) « «
« (محمود الشهاب) ٨٠ و ٩٠ و ٩١ ,٩٧
« (نعمان افندي) ٩٨
الانبر (الشيخ) ٥١
※ ب ※ بدران (عبد الرحيم) ٧٥
البربير (ابراهيم) ٨١
« (احمد) ٣٥، ٣٨، ٣٢
« (مصباح) ٨٠
البزري (الشيخ احمد) ٤٤
بشر بن عوانة ١٠٤
البنديجيّ (الشيخ عيسى) ١٠٣

البنوشيّ (ابو محمَّد عبدالله) ٩٣ — ٩٤
البيجوري (الشيخ ابراهيم) ٨٧
بيهم (حسين) ٧٥
※ ت ※ التميمي (الشيخ صالح) ٦٤، ٩٧
التونسيّ (الشيخ محمَّد) ١٠٤
※ ج ※ الجابري (السيد عبدالله) ٩٦
الجبرتي ٨ ، ٣٠ ، ٣١
الجزّار (احمد باشا) ٧ ، ٨ ، ٢٣ ، ٣٩ ، ١١١
جعمان (اسمعيل بن الحسين) ٣٩
الجندي (الشيخ امين) ٣٧ ، ٥٤ — ٥٦
※ ح ※ الحرّ (الشيخ يوسف) ٤٤
الحرائري (سليمان التونسيّ) ٧٤، ٨٠، ١٠٣، ١٠٤—١٠٤
حسن باشا (والي بغداد) ٣٣
الحفني (محمَّد) ٧٨
حمد (محمود الاسكندري) ٨٨ ، ٨٩
※ خ ※ خالد (عبدالله افندي البيروتي) ٨٠
الخالدي (اطلب ابن الجوهري)
الخشّاب (اسمعيل بن سعد) ٣٠
※ د ※ داود باشا (والي بغداد) ١٩ ، ٩٤
الدرويش (السيد علي) ٨٤
الدسوقي (الشيخ محمد) ٣١
※ ر ※ رشدي باشا (محمَّد) ٧٦
رشيد الدين ٢١٥
رضا باشا (علي) ٩١، ١٠٣
الرفاعي (الشيخ الطحطاوي) ٨٠
رمضان (سليم) ٧٥
※ ز ※ الزيّاني (الشيخ ابو القاسم) ٣١
الزيلعيّ (الشيخ عبد الرحمان) ٨٨، ٨٩
※ س ※ السعدي (صلاح الدين) ١٠٥
سعيد باشا (الخديوي) ١٠٨
سلامة (الشيخ مصطفى) ٨٤، ٨٨
〃 (المهندس) ٨٥
السلفي (السيد عبد الفتّاح) ٩٨
سليم خان الاول ٣١
سليم خان الثالث ١٩
سليمان باشا (والي عكّا) ٣٦ ، ١١١، ١١٢
سليمان باشا القتيل ١٦
السويديُّون ٩٢ — ٩٣
السويدي (ابو البركات عبد الله) ٩٣
〃 (ابو الخير عبد الرحمان) ٩٣
〃 (ابو الفوز محمَّد امين) ٩٣
〃 (الشيخ احمد) ٩٢—٩٣
〃 (الشيخ علي بن محمد) ٩٣
〃 (نعمان بن محمد) ٩٣
〃 (محمد امين البغدادي) ٣٣
※ ش ※ الشرقاوي (الشيخ عبدالله) ٨، ٣٠، ٣١
شهاب الدين العلوي ٩٦
شهاب الدين (السيد محمَّد بن اسمعيل) ٨٤— ٨٥، ١٠٦
※ ص ※ صالح (نائب طرشيحا) ٣٠
الصاوي (الشيخ مصطفى) ٩
الصبّان (الشيخ) ٥١
الصلاحي (مصطفى بن عبد الوهّاب) ٣٥ — ٣٦
※ ط ※ طوسون باشا ٣١
※ ع ※ عبّاس باشا الخديوي ٨٧
عبدالله الحلبي) ٣٩
عبد الباقي (اطلب الفاروقي)
عبد الجليل البصري ٦٤، ٩٦، ٩٧
عبد الحميد الموصليّ (اطلب ابن الصبّاغ)
عبد الرحمان الموصلي ٣٦
عبد السلام (الشيخ البغدادي) ٩٨
عبد العزيز (السلطان) ٩٩
عبد الفتّاح (شوّاف زاده) ٩٧، ٩٨
عبد اللطيف (السيد البيروتي فتح الله) ٨٣
عبد المجيد (السلطان) ٩٠ ، ١٠٥، ١١٠
عبده محمَّد السنوسي ١٠٤

عبدي باشا ٩٠
عثمان (الشيخ الموصلي) ٨٣, ٩٩
عثمان بن سند البصري ٩٤
عرفي افندي ٨٤
العروسي (الشيخ محمَّد) ٥٣, ٨٤
العطَّار (الشيخ حامد) ١٠٣
العطَّار (الشيخ حسن) ٣٠ , ٥١ — ٥٣, ٨٤
العظم (عبدالله باشا) ٧, ٥٤
العظم الدمشقي (محمود بن خليل) ٨٣
علاء الدين الموصلي ٩٤ — ٩٥
علي ابن السيد البكري (الحاج) ٨٣
علي باشا الاسعد ٥٩, ٨٣
عمر البكري ٨٣
عُمر اليافي (السيد قطب الدين البكري)
٣٧ — ٣٩, ٥٤
العمري (الشيخ علي) ٣١
« (الشيخ ياسين «
العُمَّادي (الشيخ يحيى المروزي) ١٠٣
* ف * الفارابيّ (الحكيم ابو نصر) ١٠٠
الفاروقي الشيخ عبد الباقي العمري ٦٣ , ٩٩ —
١٠٠
فاضل باشا ٧٦
الفضالي (الشيخ محمَّد) ٨٧
فؤَاد باشا ٧٦
* ق * قبَّادو (الشيخ محمود ابو الثناء)
١٠٤, ١٠٥
القلعاوي (الشيخ مصطفى) ٣١
قويدر (الشيخ حسن) ٥٣
القويسني (الشيخ حسن) ٨٧
* ك * كامل باشا (يوسف) ٧٦
كامل التبريزي ٧٨
الكزبري (الشيخ عبدالله) ٥٩
« (الشيخ عبد الرحمان) ١٠٣
كنج (يوسف آغا) ٧, ١٩
الكوَّاز (الشيخ جمال الدين) ١٠٣
الكيلاني (عمر افندي) ٨٣
* ل * اللقَّاني (الشيخ حسن) ٨٨, ٨٩
* م * محمَّد (ابو راس الناصري) ٣٠
محمَّد امين الدمشقي ٥٤,٧٥
محمَّد باشا خسرو ٨
محمَّد سعيد (ابن محمد امين) ٩٨
محمد عاقل (كاشف زاده) ٨٨
محمد عليّ الخديوي ٧ , ٨ , ٣٠
محمد (مفتي زاده) ١١٠
محمد بن عثمان (باي تونس) ٣٠
محمود خان الثاني ١٩
المرزا عباس ٧٨
مرزوق(ابراهيم بك الشاعر) ٨٧
المشهدي (الشيخ موسى بن شريف) ٦٣
مصطفى خان الرابع ١٩
مصطفى الكردي ٨٣
المهدي (الشيخ محمد) ٣١
* ن * النحاس (الشيخ عبد الرحمان) ٨٠
* ي * ياسين (اطلب العمري)

٢ ادباء النصارى

* ا * آدم (المطران جرمانوس)
٤٤
ابرهيم بك (اطلب النجَّار)
ابن الصائغ (فتح الله الحلبي) ٣٤
ابو قالوش (ابراهيم) ٨
ابيلا (جرجس) ٦٥ — ٦٦

ابيلا (رفول) ٦٦ — ٦٧
اده (الياس) ٨, ٣٩ — ٤٠
ارسانيوس (المنسنيور بطرس) ٥٠
اسطفان (المطران خيرالله) ٤٩
اسكاروس (الباش كاتب المصري) ٨٧
امين ابن الامير بشير ٥٩
ودو (البطريرك يوسف) ٧٩
※ ب ※ باز (جرجس) ٨
〃 (عبد الاحد) ٨
باسيل (فيليب الحلبي) ٦٧
البحري (ابراهيم) ٣٤
〃 (جرمانوس) ٧, ٣٣
〃 (حنا) ٧, ٣٣, ٨٦
〃 (عبدالله) ٣٤
〃 (عبود) ٧, ٣٣
〃 (ميخائيل) ١١, ٢٦ — ٢٧, ٣٢ — ٣٣
البستاني (المعلم بطرس) ٧٥, ٧٦
〃 (سليم) ٧٦
بشير (الامير الشهابي الكبير) ٨, ٣٣, ٣٩, ٥٩ — ٩٣, ١١٢
بنيامين (مطران الروم في القدس) ٤٨
※ ت ※ الترك (نيقولا) ١٥, ٢٣ — ٢٤, ٢٩ — ٣, ٤٠ — ٤٤
توما (نقولا بك) ٦٦
التيان (البطريرك يوسف الماروني) ٩
※ ث ※ ثابت (المطران جرمانوس) ٥٠
※ ج ※ جراسيموس (اسقف حلب الارثوذكسي ٤١
جروه (اغناطيوس بطرس) ١٠, ٦٧ — ٦٨, ٧٩
〃 (اغناطيوس ميخائيل) ١٠
الجلخ (حبيب) ٧٥
الجوهري (جرجس القبطي) ٨
※ ح ※ حبيش (البطاريرك يوسف) ٥٠
الحداد (حنا) ٧٨
حسون (البطريرك انطون) ٧٩
حسُّون (رزق الله الحلبي) ٦٥
الحلو (البطريرك يوحنا) ٥٠
حنا النزّي وزّي ٦٧
حوقا سيرافيم (الراهب اللبناني) ٦
حيدر (الامير احمد الشهابي) ٢٢, ٢٣, ٣٦, ١١٣
※ خ ※ الخازن (البطريرك يوسف) ١٠٩
خالد (حبيب) ٧٧
الخضرا (رزق الله) ٧٥
الخوري (حنين) ٧٥
〃 (خليل) ٧٤, ٧٧
※ د ※ داود باشا متصرف لبنان ٧٧
دباس (البطريرك اثناسيوس) ٦
دبَّاس (بولس) ٧٥
الدبس (المطران يوسف) ٧٥, ٧٧
الدحداح (الشيخ رشيد) ٦٤, ١٠٤ — ١٠٥
〃 (〃 سلوم) ٨
〃 (〃 مرعي) ١١٣
〃 (〃 منصور) ١١٣
دنبو (القس جبرائيل الماردبني) ١٠
الدوماني (حنا) ٧٧ — ٧٨
※ ر ※ رافائيل (الراهب المخلّصي) ١٥
رزق (المطران يوسف الجزيني) ٤٩
※ س ※ سابا الكاتب (الخوري الحمصي) ٤٤ — ٤٥
سباط (الخوري ميخائيل) ٧٦
سركيس (خليل) ٧٧
〃 (يوسف اليان) ٧٥
سكروج (بطرس) ٨
〃 ميخائيل ٨
سليمان باشا ٧, ١٩
السمحيري (البطريرك انطون) ٧٩

السمعاني (اسطفان عواد) ١٨
« (شمعون) ١٨, ٤٧
« (يوسف سمعان) ١٧ — ١٨
« يوسف لويس ١٨
* ش * شاشاتي (القس اندراوس) ١٠
شاهين (جرجس) ٧٧
شحاده (سليم) ٧٥
الشدياق (الشيخ طنوس) ٢٢, ٧٥, ١١١
« (احمد فارس) ٧٤, ٨٣, ١١١
شفيق بك منصور ٢١
الشلفون (يوسف) ٧٥, ٧٧
شلهوب (اسكندر) ٧٤
* ص * الصابونجي (فضول) ٨
الصابونجي (القس لويس) ٧٥
الصبّاغ (ابراهيم) ٧, ٢٣
« (بشاره) ٨
« (حبيب) ٧
« (رزق الله) ٨
« (عبود بن نقولا) ٢٢, ٢٣
« (ميخائيل) ١٥, ٢٢ — ٢٣ , ٢٤ — ٢٥
صبّاغ (الخوري انطون) ٢٣
صرّوف (الخوري اسبيريديون) ١١٤
صريون (المعلم منصور) ٨
صعب (حنا بك) ٧٧
صليبا (اغابيوس مطران الرها) ١١٤
صوله (سليمان) ٣٣
* ط * الطرابلسيّ (نصرالله) ٥٦ — ٥٨ , ٦٤, ٨٦
طراد (اسعد) ٨٣
الطويل (جرجس) ٨
« (حنا) ٨
* ع * عبدالله (الامير الشهابي) ٦٣
عرقتنجي (يوحنا) ١١٣
عريضة (الخوري انطون الطرابلسي) ١٨
العضم (المطران يوحنا) ٥٠
عمّون (اسكندر بك) ٣١
عوراء (ابراهيم) ٧, ١١١-١١٣
« (حنا) ٧, ١١١
« (ميخائيل) ٧, ١١١
العينطوريني (انطونيوس) ٢٤
* غ * غالي (المعلم القبطيّ) ٨
الغرزوزي (حنا جرجس) ٧٧
غريغوريوس الاول (بطريرك الارمن) ١٠
« بطرس الثامن ٧٩
« يوسف (البطريرك الرومي الكاثوليكي) ٧٦
الغزيري (القس ميخائيل) ١٨
* ف * الفاخوري (الخوري يوسف) ١٠٩
فرنسيس (المعلم القبطي) ٨
فرج (الخوري جرجس) ١١٠
فريج (موسى) ٧٥
« (يوحنا) ٧٥
فريفر (المطران يوسف) ٥٠
فلتاوس (المعلم القبطي) ٨
* ق * قصير (الخوري اثناسيوس الدمشقي) ١١٤
قطّان (البطريرك اغناطيوس) ٤١
* ك * كحيل (عبد العزيز وجبرائيل نقولا) ٣١
كرامة (ابراهيم بك) ٦٦
« (بطرس) ٢٣ — ٢٤ ; ٥٣, ٥٨ — ٦٥, ٩٥
« (الخوري روفائيل الحمصي) ٢٣
كوبلي (السيد ابرهيم) ٦٨
كيرلس الثاني (بطريرك الروم في القدس) ٤٨
* م * مارون (يوسف) ٨
مازجي (الشماس رفائيل) ٧٨

المخلّع (اثناسيوس اسقف حمص) ١١٤
〃 (جبرائيل) ١٠٥ — ١٠٦
مراد (همّام) ٧٦
مرّاش (الشهيد بطرس) ٤١
مسعد (البطريرك بولس) ٧٩
مسك (فرنسيس) ٧٥
مشاقه (ابرهيم) ٧٥
مطر (البطريرك اغابيوس) ١٠
〃 (المطران يوسف) ٧٨
مظلوم (البطريرك مكسيموس) ٦٢ ، ٧٨ — ٧٩
المعلوف (عيسى اسكندر) ١١٢ ، ١١٣
〃 (ناصيف) ١١٣
منش (المنسنيور جرجس) ٣٥
منصور بن حيدر الشهابي ١١٣
المنيّر (القس حنانيا) ٢٢ ، ٢٩ — ٣٦
مهنّا (الخوري يوسف الحدّاد) ١١٤
※ ن ※ النجّار (ابرهيم بك) ٨ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٠٩ — ١١٠
النجّار (ملحم) ٧٧
النحّاس (ابرهيم) ٧ ، ١١١
〃 (خليل) ٧، ١١١
〃 (نقولا) ٦٧
النقاش (سليم) ١٠٦
〃 (مارون) ٧٥ ، ١٠٦ — ١٠٩
〃 (نقولا) ١٠٦
※ ه ※ هرمزد (البطريرك يوحنّان الكلداني) ١٠
※ ي ※ اليازجي ابرهيم ٨٠
〃 (حبيب) ٧٥ ، ١١٣
〃 (الشيخ ناصيف) ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ — ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١٠٧ — ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢
يزبك (جرجس) ٧٧
يمين (جرمانوس) ٧٧
يوسف الامير الشهابي واولاده ٨ ، ٣٩
يوسف رزق (المطران الجزيني) ٤٩

فهرس

اسماء المستشرقين المذكورين في هذا الجزء

اسماؤهم بالعربية

※ أ ※ اربنيوس ١٦
ارنولد (فرنتس اوغست) ١٢١
البرتس الكبير ١١
اليانو (الاب يوحنا اليسوعي) ١٢
انكتيل دوبرّون ١٤ ، ٤٥
اوبيشيفي ٧٤
ايفلد ٦٨
※ ب ※ بارثون ١٠٤ ، ١١٨
باكون (الراهب روجار) ١٢
برتلمي (جان جاك) ١٥
برنستين (جرج) ١٢٠ — ١٢١
برنيه (لويس جاك) ١١٧
بطرس المكرّم ١١
بكتي بطرس (قنصل روسية) ٨٥
بلاك (ا.) ٧٣
بلانشه (الاب مبارك اليسوعي) ٤٩

بلفنطي السرديني ٧٨
بوركنود (الاب إسكندر اليسوعي) ١٢٦
بوركهَرْت السويسري ١٥
بوكوك (ادورد) ١٥
« (توما) ١٥
بولس (ه .) ٧٣
بونابرت (اطلب نابوليون)
پيپر (كرل رودلف) ٤٦
بيلن ٧٤
بيوس السابع (البابا) ٣٤
* ت * تيكسن ١٥
* ج * جاكه (اوجين) ٧٣
جزنيوس ٧١
جنسنون ٤٦
جوبار (پيار) ٧٠
جوردان (امابل) ٤٥
جوستنياني (اوغسطينوس الاسقف) ١٣
جونس (هاريس) ١٣٥
جونس (وليم) ١٤
جوينبول (ابرهيم وليلم) ١٣٣
« (تيودور) ١٣٣
جوهَنْسِن ٤٦ (كرل تيودور)
جيرَرْد دي كريمونا ١١
* د * دون برترو البندكتي ٦٨
دي دومباي (فرنسوا) ١٦
دي روسّي (الكاهن جان) ٤٧
دي ساسي (البارون سلوستر) ١٤, ٤٥, ٦٨, — ٦٩, ١١٥
دي شازي ٤٥
دي غيني (يوسف) ١٤, ٤٤
ديفرانج ٣٤
دي لا فرانج (ع .) ١١٥ — ١١٦
* ر * رازموسن ٤٦
روديغر ٦٨
روردا (تاكو) ١٣٣
روزغولر (ارنست) ٧٠ — ٧١
روسو (يوسف لويس ٥٧
رومي (برنرد) ٤٧
رَنِسك (جان جاك) ١٥
ريكادونا (الاب بولس اليسوعي) ١٢٦
ريمند لول (الراهب الفرنسيسي) ١٣
رينو (جوزف) ١١٦
ربو (ش.) ١٢٤
* ز * زوينا (جرج) ١٧
* س * سالسبوري (ادورد) ١٢٧
سپرنغر (ا.) ١٢٥
ستونتن ٤٦
سكوت (ميشال) ١٣
سميث (عالي) ٧٥
سوكه (الدكتور) ٧٥
سوزا (حنا الراهب الفرنسيسي) ١٧
سيديليو (جان جاك) ٦٩
* ش * شال ٧١
شرشل (اللورد) ٧٣
شولتنس (ا.) ١٦
« (جان جاك) ١٦
شيد ١٦
* ط * طمسن (الدكتور) ٨٠
* غ * غابلنس ٦٨
غريغوريو (الكاهن روزاريو) ١٧
غوتولد ١٢٥
غوليوس ١٦
غويس (هنري) ٣٥
* ف * ڤان ديك ٨٠, ١٢٧
ڤايرس (هندريك) ١٢٣ — ١٢٤
ڤُزر (هنري) ١٢١
فراهن (ك. م.) ٧٣
ڤزنجه (نوال دي) ١١٦

فريتاغ (جورج وليم) ١١٨ - ١١٩
فرينل (فولجنس) ١١٤
فلسمت ٤٦
فلوغل (غستاف) ١١٩
فنيك (الاب لويس اليسوعي) ١٢٦ — ١٢٧
فورست (هنري دي) ١٢٧
فورس (جان اوغست) ١٢١
فولف (فيليب) ١٢١ — ١٢٢
فويك (فرنس) ١٢٠
فيتو (اريك) ٥٢
* ك * كاترمار (اتيان) ١١٥
كازمرسكي (بيبرستين) ١١٧ — ١١٨
كانيس (الراهب الفرنسيسي) ١٧
گاينكوس ١٢٦
كردين ٢١
كرلتي (ب . ف) ٧٤
كريستيانوفتش (اسكندر) ١٢٥ — ١٢٦
كرليل (ج . د .) ١٦
كلابروث ٧١
كلوط بك ١٠٩
كلبان موركه ١١٨
كمبارل ١١٧
كورتون (وليم) ١٢٤
كوسان دي پرسفال ٦٩ — ٧٠
كوسغرتن (جان) ٦٨ ، ١١٩
كولبروك ٤٦
كولسون ١٢٥
* ل * لامرتين ٢٥
لسكاريوس (تيودور) ٢٤
لنغلاي (لويس) ١٤، ٤٤
لول (اطلب ريمنود)
لومسدن (ماثيو) ١٢٤ — ١٢٥
ليس (وليم ناسو) ١٢٤
* م * ماتس (بنيامين) ١٢٣
مارسدن (وليم) ٧٢
ماريتي (ج .) ١٧
ماي (الكردينال انجلو) ١٢٦
مرسال ٧، ٢٠، ٣١
منك (سليمان) ١١٦ — ١١٧
منو (عبدالله جاك) ٢٠
مهرن ٧٢
مورسنغ ١٣٤
ميكائيليس (جان داود) ١٥
* ن * نابوليون الاول ٧، ١٥، ٢١، ٢٣،
٣١ ، ٣٤
نيبوهر ١٧
* ه * هابخت ٧١
هاربروكر (تيودور) ١٢٢
هاغن ٧١
هامر بورغشتال (جوزف دي) ١٩، ٤٦،
١٢٢ — ١٢٣
هربان ١٤، ٤٤
هماكر ٧٢
همبرت (جان) ٧٠
هوارت ٢١
هوداس ٢١
هوغتون ٤٦
هونوريوس الرابع ١٣
هيتسما ١٦
* و * وَيْت (يوسف) ١٦
وتشتين (جان غدفريد) ١٣١
* ي * ياهن (جان) ١٦
يوحنا الثاني والعشرون ١٣ (البابا)
يوليوس الثاني (البابا) ١٣

اسماء المستشرقين بالافرنسية

TABLE

des Orientalistes mentionnés dans la 1re partie de l'ouvrage

Albert le Grand 11
Anquetil-Duperron 14, 44
Arnold (F. A.) 121
Bacon (Roger) 12
Barthélemy (J. J.) 15
Belfonte 78
Belin 74
Bernstein (G. H.) 120—121
Blacque (Al.) 73
Bourquenoud (Al. s. j.) 126
Bresnier (L. J.) 117
Burckhardt (J. L.) 15
Canes (Fr.) 17
Cardin (A.) 21
Carletti (P. V.) 74
Carlyle (J. D.) 16
Caussin de Perceval (J.J. A)69-70
Chézy (L. de) 45
Christianowitsch (Al.) 125—126
Churchill (Lord) 73
Chwolson (D. A.) 125
Clément-Mullet (J. J.) 118
Clot-Bey 109
Colebrooke 46
Combarel (E.) 117
Curton (W.) 124
Dom Berthereau 68
Desgranges (M.) 24
Dombay (F. de) 16
Erpenius (T.) 16
Ewald (G. H.) 68
Fenech (L. s. j.) 126 — 127
Flügel (G.) 119
Forest (H. de) 127
Fraehn (C. M.) 72
Fresnel (F.) 114
Freytag (G, W.) 118—119
Gabelentz (V. d.) 68
Gayangos (Pasc.) 126
Gérard de Crémone 11
Gesenius (F. H. W.) 71
Giustiniani (Augustin) 12
Golius (J.) 16
Gottwaldt (J. M. E.) 125
Grangeret de la Grange (J. B) 115 — 116
Gregorio (R.) 17
Guignes (J. de) 14, 45
Guys (H.) 35
Haarbrucker (Th) 122
Habicht (G. M. 71
Hagen (V. d.) 71
Haitsma (A.) 16
Hamaker (H. A.) 72
Hammer-Purgstall (J. de) 19, 46, 122 — 123
Haughton 46
Herbin (A.) 14, 45
Honorius IV, 12
Houdas (O.) 21
Huart (Cl.) 21
Humbert (G.) 70
Jacquet (E.) 73
Jahn (L'abbé J.) 16
Jaubert (P. A.) 70
Jean XXII, 12
Johannsen (C. T.) 47
Johnsten 46
Jones (J. Harris) 125
Jones (W,) 14

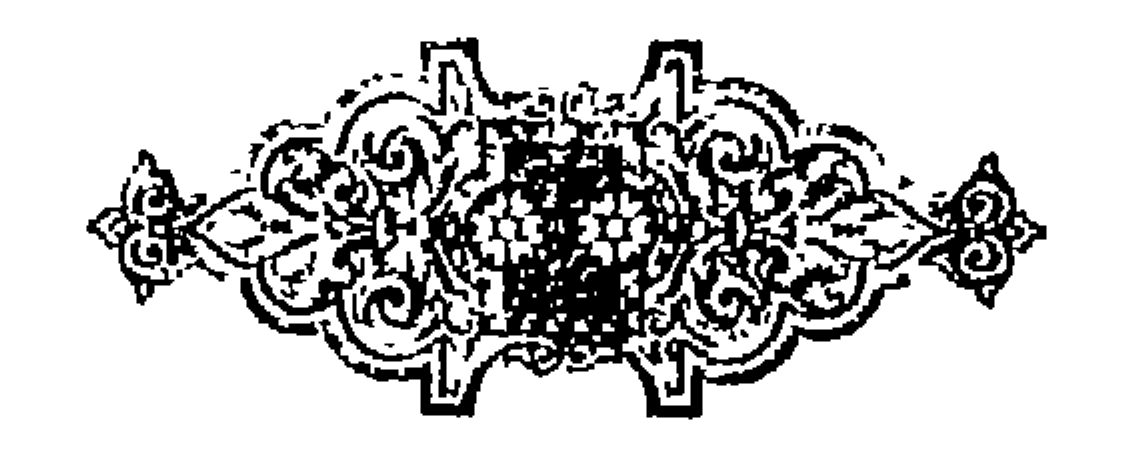
Jourdain (A. J.) 45
Jules II, 12
Juynboll (A. W.) 123
« (T. G. J.) 123
Kazimirski (B.) 117—118
Klaproth (H. G.) 71
Kosegarten (J. G.) 68, 119
Lamartine 25
Langlès (L. M) 14, 45
Lascaris (Théodore) 24
Lees (W. Nassau) 124
Lumsden (M.) 124—125
Maï (Cal A.) 126
Marcel (J. J.)7, 20, 31
Mariti (G.) 17
Marsden (W.) 72
Matthes (B. J.) 123
Mehren 68
Menou (J.) 20
Meursinge (A.) 124
Michaelis (J. D.) 15
Munk (Sal.) 116—117
Napoléon (Bonaparte) 7, 15, 21, 23, 31, 34
Niebuhr (C.) 17
Paulus (H. Eb. G.) 72
Peiper (C. R. S) 46
Perron (A.) 104, 118
Pie VII, 34
Pierre le Vénérable 11
Planchet (Mgr B. s. j.) 49
Pocock (E.) 15
« (Th.) «
Quatremère (Et.) 115
Rasmussen 46
Raymond Lull 12
Reinaud (J. T.) 116
Reiske (J. J.) 15
Rieu (C.) 124
Roediger 68
Roorda (T.) 123
Rosenmüller (E. F.) 70—71
Rossi (J.B. di) 47
Rousseau (J. L.) 57
Sacy (le Baron Sylvestre de) 14, 44, 68—69, 115
Salisbury (Ed.) 127
Schall (C.) 71
Schultens (A.) 16
« (J. J) «
Scot (Michel) 12
Sédillot (J. J. E) 69
Sheid (J.) 16
Smith (Eli) 75, 127
Souza (G.) 17
Sprenger (A.) 125
Staunton 46
Suquet (Dr) 75
Thompson (Dr) 80
Tychsen (O. G.) 15
Ubicini 74
Van Dyck (Dr) 30, 127
Vergers (Noël des) 116
Vitto (Eric) 53
Vullers (J. A.) 121
Weijers (H. F.) 123—124
Wetstein (J. G.) 121
Wetzer (H. J. 121
White (J.) 16
Wilmet (J.) 46
Woepcke (Fr.) 120
Wolf (Ph.) 121 — 122
Zoëga (G.) 17

فهرس

اعلام الامكنة المذكورة في الكتاب

※ ا ※ ازمير ٧٣
الازهر (المدرسة) ٨
الاستانة (مدارسها ومطبوعاتها) ٦, ١٩, ٤٨, ٧٣,
٧٣ — ٧٤
الاسكندرية (مدارسها) ٦
اعبيه ٥١
اكسفورد ١٢, ١٥
القوش (ديرها) ١٠
اهدن (مطبعتها) ٧٧
※ ب ※ بارما ٤٦
باريس(مدرستها الشرقية) ١٢, ١٣
بزمار (مدرستها) ١٠
بغداد ١٩, ٧٨, ٩١
بولاق (مطبعتها) ٢٠ , ٤٨
بولونية ١٢
بيت الدين ٤٣
بيروت (مطابعها) ٤٨ , ٧٦ — ٧٧ مدارسها
٤٩ جرائدها ٧٤ — ٧٦ مدحها ٨٨
※ ت ※ تورينو ٤٦
※ ح ※ حلب (مدارسها ومطابعها ٦ .٧٨
حيفا ٤٩
※ د ※ دمشق (مدارسها) ٦, ٥١, ٧٨
دير القمر ٧٧
※ ر ※ رومية العظمى (مدرستها الشرقية)
ومطبعتها ١٢ مدرستها المارونية ١٢ — ١٣
الرومية (مدرستها) ٥٠
ريفون (مدرستها) ٥٠
※ س ※ سلمنكة ١٢
سيوستبول ١٠٠
※ ش ※ الشرفة (مدرستها) ١٠
شفا عمر ٤٩
الشوير (مطبعتها) ٦, ٧٧
※ ص ※ صربا (مدرستها) ٥٠
صور ٧
※ ط ※ طاميش (مطبعتها) ٧٧ , ١١٠
طرابلس ٤٣, ٥٨
※ ع ※ العراق ٩١
عرمون (مدرسة مار عبدا) ٥٠
المرية (« مار نقولا) ٧٦
عكا ٧
عين تراز (مدرستها) ١٠, ٤٦, ٧٣ —
عين طورا (مدرستها) ٤٩
عين ورقه (مدرستها) ٩, ٤٩
※ غ ※ غزير (مدرسة الآباء اليسوعيين
فيها) ٤٩
※ ق ※ القاهرة (مدارسها) ومطبعتها
الاولى ٦ — ٧ جرائدها ٧٣
القدس الشريف (مطابعها) ٤٨
قزحيا (مطبعتها) ٦, ٧٧
※ ك ※ كربلاء ٧٨
الكريم ٥٠
كفرحي (مدرستها) ٥٠
كمبردج ١٥
كوبنهاغن ٤٦

* ل * لندن ٤٦
لَيْدِن (مطبعتها) ١٦
* م * مراكش ٣١
مرسيلية ٧٤
الموصل (مطابعها) ٧٨
* ن * الناصرة ٤٩
* ه * الهند ١٤ , ٤٦



naux, des Périodiques contribuèrent à étendre et à développer le goût de l'arabe.

D'autre part, l'Orientalisme a joui, durant le dernier siècle, d'une faveur toujours croissante. De la France où les de Sacy, les Langlois, les Quatremère lui imprimèrent une impulsion si vive, il se propagea en Allemagne, en Hollande et jusqu'aux confins de l'Europe.

Cette époque, on le voit, n'est pas la moins intéressante pour l'histoire des études orientales. L'Europe et l'Orient y figurent ensemble pour la première fois et voient leurs communs efforts couronnés de succès. A elle seule cette période réclamerait une histoire indépendante et c'est pour y contribuer dans une faible mesure que nous avons réuni ici, en les complétant, une quinzaine d'articles sur la littérature arabe au XIX[e] siècle parus dans notre Revue al-Machriq. Cette première partie qui embrasse les trois premiers quarts du siècle, a été suivie d'une seconde qui comprend les restes du siècle avec le commencement du vingtième.Nous les avons offerts l'une et l'autre aux Orientalistes du Congrès de Copenhague en les priant de se souvenir que ces pages ont été écrites surtout pour les Orientaux. Nous espérions néanmoins qu'elles pourraient leur être de quelque utilité pour un ouvrage plus considérable que nous leur souhaitions d'entreprendre. Les nombreuses recherches qu'il nous a fallu faire pour tirer de l'oubli plusieurs personnages leur serviront de jalons pour ce travail ultérieur, C'était là notre unique ambition.

Cette première édition de la première partie s'étant écoulée depuis quelque temps, on nous a demandé de la rééditer. Nous l'avons fait en revoyant le texte, en faisant un certain nombre de corrections, et en y ajoutant de nouveaux renseignements trouvés par nous ou suggérés par nos lecteurs

Beyrouth, 2 Décembre 1923



PRÉFACE

de la seconde édition

L'Histoire de la Littérature arabe reste toujours à faire. Les ouvrages parus sur ce sujet, malgré leur mérite réel, ne sont encore que des pierres d'attente ou des matériaux pour un édifice plus considérable que tout le monde désire. Hammer en Autriche, Brockelmann en Allemagne, Huart en France, Arbuthnot et Nicholson en Angleterre, Pizza en Italie et Guirgas en Russie ont abordé ce sujet ; quelques Orientaux comme G. Zaïdan les ont suivis. Ces efforts louables n'ont pourtant abouti jusqu'ici qu'à nous donner une série de notices d'auteurs, des nomenclatures bibliographiques plus ou moins étendues, ou des esquisses rapides et par trop succinctes. Une véritable histoire littéraire exige autre chose. Il faudrait remonter aux origines de la langue, étudier ses monuments, suivre pas à pas sa formation, ses progrès, ses modifications multiples, ses manifestations diverses à toutes les époques et dans les nombreux pays de la domination arabe, jusqu'à sa décadence au XV^{e} siècle.

Une telle œuvre dépasserait sans doute les forces d'un seul homme ; mais plus d'une Société Asiatique pourrait l'entreprendre et la mener à bonne fin. Ce serait là un service signalé rendu aux Lettres Orientales. Cette œuvre devra nécessairement avoir un corollaire; ce sera l'histoire de l'Orientalisme, et tout particulièrement de la Renaissance des études arabes, au XIX^{e} siècle. Tel a été en effet l'essor donné à l'arabe depuis le début de ce siècle, que cette langue est entrée dans une phase toute nouvelle. De nombreuses écoles ont surgi sur tous les points de l'Orient, et avec elles toute une pépinière de savants, grammairiens, littérateurs, poètes, publicistes de toute sorte qui ont enrichi la langue arabe d'une longue série d'ouvrages. Le zèle intelligent des Missionnaires a été pour une grande part dans ce mouvement. Non contents d'être auprès des Orientaux les pionniers de la civilisation européenne, ils se sont efforcés de leur faire apprécier leur langue et de leur en faciliter l'étude. L'imprimerie leur a prêté un admirable concours pour la diffusion de nombreux manuels classiques et d'autres publications importantes. Grâce à leur activité et à celle des élèves qui se formèrent sous leur conduite, des Jour-

LA LITTÉRATURE ARABE

AU XIXe SIÈCLE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

1re partie

de 1800 à 1870

SECONDE ÉDITION

revue et augmentée



BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1924

LA LITTÉRATURE ARABE

AU XIXe SIÈCLE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

1re partie

de 1800 à 1870

SECONDE ÉDITION

revue et augmentée



BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1924